السبت 23 آذار 2024
العدد 5164 السنة الثامنة عشرة
Samedi 23 Mars 2024 no 5164 18ème année

24 صفحة
50000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

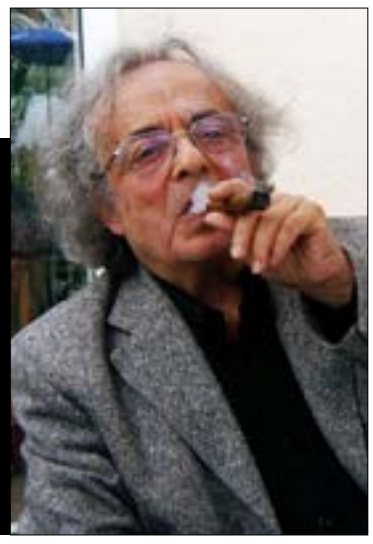

كلمات

أدونيس
يحيي الشعراء
الأوائل في «اللوفر»

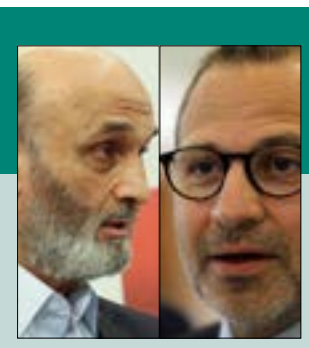

حوارات مسيحية بحثاً عن الدور

التيار - القوات: معراب تنتقم بمفعول رجعي!
اجتماع بكركي: هدنة المتحاورين أم جرس إنذار؟ [13.12]

آذان إسرائيل صمّاء
سندخل رفح!

(أ ف ب)

قضية

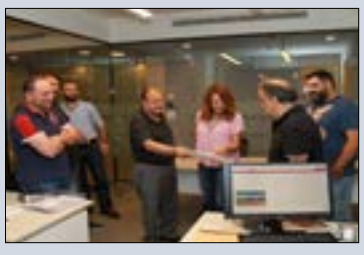

«نداء الوطن» تطلق نداء استغاثة مالية!

12

رأي

سلسلة الاقتصاد والسياسة
البحث عن دبيّ

10

تقرير

اقتصاد النازحين: التكيّف مع مجريات الحرب

14

طوفان الأقصى

إسرائيل لأميركا: مصمّمون على دخول رفح!

انتهت زيارة وزير الخارجية الأميركي أنتوني بلينكن، للمنطقة. وقد غادر تل أبيب أمس، بعد لقاءات دامت 4 ساعات، تخللها حضوره اجتماعاً لـ«كابينت الحرب» الإسرائيلي. وقد وصل إسرائيل، آتياً من زيارتين للسعودية ثم مصر. وفي خلاصة الزيارة، يبدو أن بلينكن واجه آذاناً صمّاء في تل أبيب، وخصوصاً لدى رئيس الحكومة بنيامين نتنياهو، الذي سارع إلى التأكيد، بعد اللقاء على أن إسرائيل عازمة على الدخول إلى رفح.

> موقف نتنياهو، بدا رداً واضحاً

اجتماع «حاسم» في الدوحة اليوم لقادة المخابرات بشأن مصير المفاوضات حول الهدنة مع حماس

على مطالبة أميركا بعدم الذهاب نحو عملية واسعة في رفح. وهو ما كان مدار البحث بين بلينكن ووزراء خارجية العرب في «اللجنة السداسية» في القاهرة أمس. حيث تركز النقاش على تصوّرات وأفكار تتعلق بتحديات اليوم التالي للحرب على غزة، إلا أن نقاشات الرجل في تل أبيب لم تبلغ هذا المستوى، بل بقيت عالقة في المرحلة المقبلة من الحرب التي لا يزال الإسرائيليون مصرّين على الاستمرار فيها، على الرغم من تقييم حلفاء العدو بأن مزيداً من الشيء نفسه في غزة، لن يؤدي سوى إلى مزيد من الفشل.

ونسب موقع «أكسيوس» الأميركي إلى مصادر مطّلعة، أن «بلينكن حذّر نتنياهو ومجلس الحرب من أن أمن إسرائيل ومكانتها في العالم معرّضان للخطر». وأشار إلى أنه «من دون خطة واضحة لليوم التالي للحرب، ستواجه تمرّداً كبيراً لا تستطيع التعامل معه». وشدد بلينكن أمام المسؤولين الإسرائيليين على أن «إسرائيل بحاجة الى خطة متماسكة، وإلا ستظل عالقة في غزة». وأوضح أنه «في المسار الحالي ستبقى حماس في حكم غزة، أو ستكون هناك الإرهاب».

في المقابل، أفادت قناة «كان» العبرية، بأن «إسرائيل عرضت على وزير الخارجية الأميركي أنتوني بلينكن خطة إخلاء المواطنين من رفح، لكنه لم يقتنع». وما بدا لافتاً، هو ما نقلته «بولتيكو» عن مسؤولين أميركيين، بأن «المشكلة في ما يتعلق برفح، تتجاوز نتنياهو، لأن مجلس الحرب بأكمله متّحد في هذا الصدد». وبالفعل، ظهر ذلك من خلال المواقف التي أعلنها نتنياهو وغانتس، قطبا «كابينت الحرب»، إذ قال نتنياهو في بيان، إنه «أبلغ وزير الخارجية الأميركي أنه لا توجد طريقة لهزيمة حماس دون دخول رفح». مضيفاً: «قلت له إنني أمل أن نفعل ذلك بدعم من الولايات المتحدة، لكن إذا اضطررنا، سنفعل ذلك بمفردنا». فيما لاقاه عضو مجلس الحرب بيني غانتس، بقوله إنه شدد لبلينكن على «التزام إسرائيل بمواصلة المهمة وتفكيك البنية التحتية العسكرية لحماس، بما في ذلك رفح».

من جهته، قال بلينكن، في ختام الزيارة، إنه أجرى «محادثات صريحة في إسرائيل كما تجري بين الأصدقاء». وأشار إلى «(إننا) لا نزال نعتقد أن عملية عسكرية في رفح لن توفّر الأمن لإسرائيل على المدى البعيد (...) والهجوم على رفح يهدد بعزل إسرائيل عن العالم». وفي السياق ذاته، أعلن في واشنطن أن «الحكومة الإسرائيلية سترسل وفداً خلال أيام للتحدث عن بدائل لعملية برية في رفح». وأكد ناطق باسم البيت الأبيض «أننا لم نرَ حتى الآن أي خطة إسرائيلية ذات مصداقية لنقل المدنيين».

من جهة أخرى، تناولت محادثات بلينكن ملف المفاوضات حول الهدنة، وقال: «لقد ركّزت على المحادثات بشأن الرهائن، وأحرزنا تقدماً، وأنهينا الفجوات في الأسبوعين الماضيين». وكشف بلينكن عن وجود فريق أميركي في الدوحة. لكنه أوضح أنه «كلما اقتربنا من إبرام اتفاق ستكون المفاوضات أصعب».

وكان «كابينت الحرب» بحث بعد الاجتماع مع بلينكن، في تفاصيل المفاوضات. وبحسب «القناة 12» العبرية، فإن «انشقاقاً في مجلس وزراء الحرب، وقع قبل مغادرة الوفد إلى قطر. حيث أراد نتنياهو منح الوفد تفويضاً محدوداً، في مقابل جبهة موجدة ضده تطلب توسيع التفويض - وهو ما حدث بالفعل». كما هدد رئيس «الشاباك» بعدم مغادرته إلى قطر، «إذا لم يكن هناك مجال حقيقي للمناورة». ونقلت قناة «كان» عن مسؤول إسرائيلي كبير، قوله ان رؤساء المخابرات الإسرائيلية والقطرية والأميركية والمصرية «سيناقشون اليوم الخلافات التي تعطل الصفقة، وسنعرف أيضاً ما إذا كانت حماس جادة ومهتمة حقاً بالتوصل إلى اتفاق».

(الأخبار)

(أ ف ب)

غالانت إلى واشنطن غداً: تباين أولويات

بيروت حمود

في ضوء الزيارة التي يُرتقب أن يقوم بها، غداً، وفد إسرائيلي، يتقدّمه وزير الأمن يوآف غالانت، إلى واشنطن، تحدّث هذا الأخير هاتفياً إلى نظيره الأميركي، لويد أوستن، مبشّراً إيّاه بأنه سيحمل معه إلى «البنتاغون» قائمة طويلة من الأسلحة التي تحتاجها إسرائيل لمواصلة حربها على قطاع غزة. وخلال المحادثة، أوضح أوستن، لغالانت، حجم «الضغط المتفاقم» على الإدارة الأميركية، مشدّداً على أن «عليك أن تستوعب الأجواء السائدة هنا»، وأنه في ضوء ذلك، «عليك زيارة واشنطن محمّلاً باقتراحات جديدة لمعالجة الأزمة الإنسانية في غزة». وردّ غالانت قائلاً إن «هناك معبراً جديداً بدأت إسرائيل من خلاله أخيراً بإدخال المساعدات إلى غزة»، مشيراً إلى الرصيف البحري المؤقت الذي بنشته جيشه مقابل سواحل القطاع، وأن الجيش يقوم بتأمين هذا الرصيف الذي من المفترض أن تدخل المساعدات عبره. ووفقاً لما نقل مراسل الشؤون السياسية لموقعَي «والا» العبري و«أكسيوس» الأميركي، بارك رافيد، عن مصادر إسرائيلية وأميركية، فإنه سيتعيّن على إسرائيل أن تثبت تغييراً في توجّهها الخاص بإدخال المساعدات الإنسانية إلى غزة، وذلك عبر اتّخاذ خطوات عملية تسمح بزيادة كبيرة في كميتها، خصوصاً أن الإدارة الأميركية «ترزح تحت ضغوط ما فتئت تتفاقم، من جانب المشرّعين الديموقراطيين في الكونغرس، تخصّ كلّ ما يتعلّق بدعمها لإسرائيل، وحقيقة أن إدارة جو بايدن لا تطالب بوقف صريح وفوري لإطلاق النار».

من جهة ثانية، عرض غالانت على نظيره الأميركي أفكاره في شأن «اليوم التالي» للحرب، وكيفية صياغة بديل من «الحكم السلطوي لحماس»، متحدثاً أيضاً عن قائمة الأسلحة التي سيحملها معه، و«الحاجة إلى توفيرها عاجلاً». وفي هذا الجانب، لفت مسؤول إسرائيلي رفيع إلى أن قائمة الطلبات الإسرائيلية تتضمّن طائرات جديدة من طراز «إف-35» و«إف-15»، تحتاجها إسرائيل في أسرع وقت. وقال غالانت، لأوستن، إنّه «سيصطحب معه المدير التنفيذي لوزارة الأمن، أيال زامير»، طالباً من الوزير الأميركي أن «يعقد المسؤولون عن عمليات توفير السلاح في البنتاغون اجتماعات مع زامير لمناقشة الدفع بالموضوع»، خصوصاً وأن الجيش الإسرائيلي أصبح، منذ بدء الحرب، «متعلّقاً جدّاً بالدعم الأميركي، ليس بسبب الحرب في غزة فقط، وإنّما لمواجهة احتمال تطوّر حرب شاملة في الجبهة الشمالية مقابل حزب الله».

على المقلب الآخر، فإن الدعم التسليحي الأميركي لإسرائيل يواجه انتقادات متفاقمة، سواء على مستوى الجمهور المناهض للحرب، أو من جانب مسؤولين في الحزب الديموقراطي باتوا يطالبون الإدارة بتقييد استخدام إسرائيل لأسلحة من إنتاج أميركي، وهو ما «يقلق المسؤولين الإسرائيليين»، وفقاً لرافيد؛ إذ «يتخوّف هؤلاء من أن الضغط السياسي في الولايات المتحدة قد يدفع الإدارة إلى إبطاء وتيرة دعمها التسليحي لإسرائيل، أو أن يفضي إلى وقف جزئي للأسلحة». ومع ذلك، نقل رافيد عن مسؤول أميركي، قوله إنه «في الوقت الحالي، لا يوجد أيّ قرار بإبطاء وتيرة إرسال الأسلحة إلى إسرائيل، وأن الإبطاء ناجم عن أن قسماً من احتياطي الأسلحة قد فرغ، وثمة حاجة إلى تمويل آخر من الكونغرس من أجل استئناف هذه الإمدادات».

وفي الأسبوع الماضي، وقّع غالانت على مذكرة تتعهّد إسرائيل بموجبها للإدارة الأميركية بأنها «ستستخدم الأسلحة الأميركية فقط بناءً على القانون الدولي، وأنها لن تعرقل وصول المساعدات الأميركية أو مساعدات تحظى بدعم أميركي إلى القطاع». وأتى ذلك في ضوء «سياسة جديدة» أعلنها البيت الأبيض، عقب ضغوط مارسها أعضاء الكونغرس الديموقراطيون عليه، عنوانها أنه من دون التوقيع على تلك المذكّرة، فإن شحنات الأسلحة قد تتوقّف. وسيكون على وزير الخارجية الأميركي، أنتوني بلينكن، أن يقرّر بدوره، مطلع الأسبوع المقبل، ما إذا كان التعهّد الإسرائيلي موثوقاً بنظره. وفي شهر أيار المقبل، على بلينكن أن يبلغ الكونغرس ما إن كانت إسرائيل قد التزمت بتعهدها، كشرط لمواصلة تسليحها.

موسكو وبكين تسقطان المشروع الأميركي: واشنطن تخادع

(أ ف ب)

استخدمت الصين وروسيا، أمس، حق النقض «الفيتو»، لإسقاط مشروع قانون أميركي «معدّل» في «مجلس الأمن»، يدعو إلى «وقف فوري ومستدام لإطلاق النار في غزة»، مع «إطلاق سراح جميع الأسرى الذين تحتجزهم (حماس)». كما عارضت الجزائر، من جهتها، مشروع القرار، الذي حظي بتأييد 11 دولة، فيما امتنعت دولة واحدة، هي غويانا، عن التصويت. وإذ يبدو، للوهلة الأولى، أنّ النسخة «المعدلة» من مشروع القرار الأميركي تعطي المزيد من الأولوية لوقف إطلاق النار الفوري في القطاع، في ما من المفترض أن يعكس «تحوّلاً» في موقف الولايات المتحدة، التي شكلت، حتى اللحظة، العقبة الأساسية أمام إنهاء العدوان الإسرائيلي على المدنيين ، إلا أنّ نقطة الخلاف تكمن، هذه المرة، في إصرار الولايات المتحدة على ربط الدعوة إلى وقف إطلاق النار بصفقة الرهائن، جنباً إلى جنب إدانة «حماس»، بعدما دعت كل من روسيا والصين، في غير محطة، إلى وقف «غير مشروط» للنار. كما أنّ من الواضح أنّ الهدف من الطرح الأميركي الأخير، والمتزامن مع «حراك» دبلوماسي أميركي نشط للتوصل إلى صفقة جديدة بين إسرائيل و«حماس»، تشمل وقف إطلاق نار «مؤقت» لنحو ستة أسابيع، مقابل الإفراج عن الأسرى الإسرائيليين لدى المقاومة، هو مجرد الضغط من أجل إتمام هذه الصفقة، التي لا تبدو قادرة فعلياً

> **رات موسكو أن نص القرار الأميركي لم يتضمّن «في أي من بنوده»، أي دعوة فعلية لوقف إطلاق النار**

على منع إسرائيل من شنّ غزو محتمل على مدينة رفح.

وعليه، رأت موسكو أنّ نص القرار الأميركي الذي «يؤكد على ضرورة التوصل إلى وقف فوري ومستدام لإطلاق النار لحماية المدنيين»، لم يتضمن، «في أي من بنوده»، أيّ دعوة فعلية لوقف إطلاق النار. وقال فاسيلي نيبينزيا، مندوب روسيا لدى «الأمم المتحدة»، إن القرار الأميركي «مُسيَّس بشكل كبير، ويمنح فعلياً الضوء الأخضر لإسرائيل لتنفيذ عملية عسكرية في رفح». وكان المندوب الروسي قد انتقد القرار حتى قبل بدء عملية التصويت عليه داخل المجلس، داعياً الدول الأخرى إلى عدم دعمه، ومذكراً بوجود «مشروع قرار آخر، أعدّه عدد من الأعضاء غير الدائمين في المجلس»، يدعو «بوضوح إلى وقف إطلاق النار، والإفراج الفوري وغير المشروط عن جميع الرهائن»، بحسب وكالة «تاس» الروسية للأنباء. وطبقاً لنيبينزيا، فإنّ المندوبة الأميركية اعترفت بالحاجة إلى التوصل إلى وقف لإطلاق النار، بعدما تمّ تدمير غزة في ستة أشهر، معتبراً أنّ واشنطن تمارس نوعاً من «النفاق»، ومؤكداً أنّ اعتماد مثل ذلك القرار المسيّس «سيغلق النقاش بشأن وضع غزة، ويطلق يد إسرائيل هناك»، لقتل الفلسطينيين وطردهم. وانسحب موقف المندوب الروسي على نظيره الصيني، تشانغ جون، الذي دعا إلى أخذ مشروع القرار الآخر بالاعتبار، مشيراً إلى أنّ الطرح الأميركي «كان يتهرب دائماً من القضية الأكثر مركزية، وهي وقف إطلاق النار». كما وصف المندوب الصيني النص النهائي لمشروع القرار بـ«الغامض»، مؤكداً أيضاً أنّه «لا يدعو» فعلياً إلى وقف فوري لإطلاق النار. بدوره، أكّد المندوب الجزائري، عمار بن جامع، أنّ «نص مشروع القرار الأميركي يسمح ضمنياً باستمرار قتل المدنيين، ويفتقر إلى أيّ ضمانات واضحة».

وبصورة أعمّ، يرى مراقبون أنّ مشروع القرار الذي طرحته واشنطن في «مجلس الأمن» أمس، والمقترن بجملة من الخطوات الأميركية «التصعيدية» إزاء إسرائيل، يعكس رغبة أميركية في الاستحواذ مجدداً على «زمام المبادرة» على الساحة العالمية، في ما يتعلق بالأزمة الإنسانية المتفاقمة في القطاع، وذلك بهدف الحدّ من الضرر الكبير الذي لحق بـ«سمعتها»، حتى في أوساط «شركائها» العرب، جراء دعمها المستمر للمجازر المرتكبة بحق الفلسطينيين، ووقوفها عقبة أمام تمرير أي مشروع قرار لوقف فوري ودائم لإطلاق النار في «مجلس الأمن».

(الأخبار)

واشنطن للقاهرة: اقتحام رفح ليس مُلغًى

(أ ف ب)

القاهرة - الأخبار

فيما يواصل الاحتلال الإسرائيلي الضغط للتوصل إلى صفقة تهدئة وفقاً لمطالبه، بما يسمح له بالاستمرار في التنكيل بالفلسطينيين في غزة، بعد إتمام الإفراج عن جميع أسراه لدى المقاومة، حمل وزير الخارجية، أنتوني بلينكن، خلال زيارته للقاهرة، طروحات حول التعامل مع الوضع في رفح، بما يسمح لإسرائيل باقتحام المدينة الحدودية، بعد أن يتم نقل المدنيين إلى مناطق أخرى داخل قطاع غزة، حسبما أفادت مصادر مصرية مطّلعة «الأخبار». وبحسب المعلومات، رفضت مصر الطروحات هذه، على اعتبار أنها «تحتاج إلى وقت طويل لتنفيذها ولا يمكن المضي قدماً فيها في ظل الوضع الإنساني الكارثي الذي بات يهدد حياة الفلسطينيين داخل القطاع»، وهو ما تساوق مع التحذيرات المصرية التي أُطلقت على مدار الأيام الثلاثة الماضية، في المفاوضات الجارية في الدوحة. وبينما تحدّث بلينكن عن رغبة أميركية في تبديد مخاوفها على «زمام المبادرة» على الساحة العالمية، في ما يتعلق بالأزمة الإنسانية المتفاقمة في القطاع، وعرقلة وقف إطلاق النار لأسباب سياسية خاصة بالداخل الإسرائيلي».

وتركّز جزء من المناقشات بين المسؤولين المصريين وبلينكن حول مستقبل غزة في مرحلة ما بعد «التهدئة الأولى»، إلا أن الوزير الأميركي «لم يبدِ تأكيداً لقدرة بلاده على تحقيق وقف الحرب، قبل نهاية العام على الأقل»، مشيراً إلى أن «الإسرائيليين يتحركون بشكل منفرد أحياناً ولا يستجيبون لكل ما تريد واشنطن تحقيقه على الأرض». الذي بات يهدد حياة الفلسطينيين داخل القطاع»، وهو ما تساوق مع التحذيرات المصرية التي أُطلقت على مدار الأيام الثلاثة الماضية، في المفاوضات الجارية في الدوحة. وبينما تحدّث بلينكن عن رغبة أميركية في تبديد مخاوفها على «زمام المبادرة» على الساحة العالمية، في ما يتعلق بالأزمة الإنسانية المتفاقمة في القطاع، وذلك بهدف الحدّ من الضرر الكبير الذي لحق بـ«سمعتها»، حتى في أوساط «شركائها» العرب، جراء دعمها المستمر للمجازر المرتكبة بحق الفلسطينيين، ووقوفها عقبة أمام تمرير أي مشروع قرار لوقف فوري ودائم لإطلاق النار في «مجلس الأمن».

وفيما لا يزال الاتفاق على الهدنة أبعد من التحقق رغم استمرار مباحثات وفود التفاوض، فإن جزءاً رئيسياً مما تعمل عليه مصر في الوقت الحالي «مرتبط بزيادة وتيرة إدخال المساعدات عبر معبري رفح وكرم أبو سالم، بدعم أميركي، مع ضغوط لإرسال المساعدات براً إلى شمال القطاع، وليس فقط عبر الإسقاط الجوي». وفي السياق، طلبت مصر من بلينكن الضغط من أجل إدخال المساعدات إلى شمال غزة، عبر شاحنات يجري تفتيشها، والانتهاء، منها عبر المعابر، في خطوة أولى ضمن سلسلة تصورات تعمل القاهرة على مناقشتها مع الأطراف المعنية لإيصال المواد الإغاثية إلى أكبر عدد من الفلسطينيين.

أيضاً، من المقرر أن يكون الوضع الإنساني في غزة على أجندة لقاء الرئيس المصري، عبد الفتاح السيسي، ونظيره الإماراتي، محمد بن زايد، الذي يصل إلى القاهرة اليوم السبت لمناقشة ملفات عدة، في الوقت الذي بدأت فيه الإمارات «الدخول على خط قنوات التواصل مع إسرائيل، من أجل فتح المعابر الإسرائيلية وإدخال مساعدات إلى القطاع، بالتعاون مع أبو ظبي وعدة دول أوروبية». وتعوّل أبو ظبي - رغم ابتعادها عن الانخراط في التفاصيل منذ بداية العدوان -، في هذا الشأن، على «تواصلها المباشر مع حكومة الاحتلال»، وتقول إن هذا التواصل قد يسفر عن «نتائج تدعم المساعدات لتحسين الوضع الإنساني في أقرب وقت»، وهو أمر «لا تراه القاهرة متعارضاً مع دورها، لكنها تبدي بعض التحفظات بشأن بعض التفاصيل التي طُرحت حوله، ومن بينها إمكانية إشراك دول عربية أخرى في إدخال المساعدات عبر المعابر الإسرائيلية.

طوفان الأقصى

إسرائيل تستكشف خيارات السلطة

لا بدائل جاهزة في غزة

رام الله ـ **أحمد العبد**

فشلت إسرائيل، إلى الآن، في تحقيق أحد أهدافها، والمتمثّل في تقويض حُكم حركة «حماس» في قطاع غزة، عسكريّاً، وخلْق بديل لها يتولّى إدارة الأمور هناك. لكنها لا تزال تواصل البحث وطرق الأبواب، بعدما تلقّت لطمة قوية، عقب التوصّل إلى تفاهم بين «حماس» والعشائر و«الأونروا» على صياغة آلية لاستقبال المساعدات وتوزيعها في شمال القطاع، وذلك إثر الموقف الصارم الذي أعلنته العشائر برفْض أيّ دور لها بعيداً من السلطات في غزة، وهو ما يفسّر الجنون الإسرائيلي في اغتيال

> **لجأت إسرائيل إلى قيادات من السلطة ورجال أعمال لتحقيق هدفها المتمثل بتقويض حكم «حماس» في غزة**

مهندسي الاتفاق، وتحديداً الشهيد فايق المبحوح.

ويبدو أن إسرائيل لجأت هذه المرّة إلى قيادات من السلطة الفلسطينية ورجال أعمال لتحقيق هدفها، إذ كشفت «القناة 13» العبرية، مساء الخميس، أن مسؤولين كبيرَين في الجيش و«الشاباك»، التقيا مسؤولاً رفيعاً في حركة «فتح»، وناقشا معه مسألة «اليوم التالي» في غزة، وإمكانية أن يتولّى مسؤولو غزة المرتبطون بـ«فتح» إدارة الحياة في القطاع، فوراً وعلى المدى الطويل. وبحسب القناة، عرض المسؤول الفتحاوي تصوّره، قائلاً: «ما دامت حماس تتمتّع بالسيطرة العسكرية والمدنية، فإنّ أيدينا مقيّدة. لكننا نمتلك القدرة على تجنيد أشخاص ليكونوا 'عمال توصيل' نتولّى من خلالهم تسليم المساعدات الإنسانية»، مشيراً إلى أنه «في الإطار الزمني المباشر، سنكون قادرين على تحديد مسؤولينا المحلّيين الذين سيقودون شاحنات مساعدات إلى الأماكن التي سيوجّههم إليها الجيش الإسرائيلي وإلى الأماكن التي لا سيطرة لحماس عليها».

وأثار هذا التسريب غضب بعض الوزراء في حكومة بنيامين نتنياهو، والذين لم تتمّ إحاطتهم بخبر اللقاء، الذي من الصعب أن ينعقد من دون موافقة رئيس الحكومة، علماً أن الأخير أعلن سابقاً رفْضه أيّ دور للسلطة الفلسطينية في غزة بعد الحرب، كما رفض خطّة أعدّها وزير الأمن، يوآف غالانت، حول تولّي رئيس المخابرات الفلسطينية، ماجد فرج، مسؤولية إدارة القطاع، وهو ما قد يكون مؤشّراً جديداً إلى مسار آخر تريد إسرائيل تفعيله بعد فشل المسارات الأخرى. وخرج وزير الأمن القومي، إيتمار بن غفير، ليقول إن «اللقاء يثير العديد من الأسئلة»، وتوقّع من رئيس الحكومة أن يوضح ما إذا كانت اللقاءات مع أحد كبار أعضاء فتح، بتوجيه منه، أم أن وزير الدفاع والمستوى العسكري فعلوا ذلك من تلقاء أنفسهم»، مجدداً التأكيد أنه «إذا كان نتنياهو مهتمّاً حقّاً بالنصر الكامل، عليه أن يرفض بوضوح فكرة أن السلطة الفلسطينية، التي تموّل القَتَلة، ستحكم قطاع غزة بعد الحرب». بدوره، ردّ وزير المالية، بتسلئيل سموتريش، على التسريبات، قائلاً: «لقد قرّر مجلس الوزراء بشكل لا لبس فيه أن منظمة التحرير الفلسطينية ليست خياراً لليوم التالي للحرب في غزة». وأضاف: «إذا كانت الاجتماعات المذكورة قد عقدت من دون تفويض من المستوى السياسي، فهذا عمل خطير من الدرجة الأولى. ومن ناحية أخرى، إذا علم رئيس الوزراء بذلك، وقام بذلك خلافاً للاتفاقات في مجلس الوزراء، فهذا عمل خطير من الدرجة الأولى. وفي كلتا الحالتَين، هناك حاجة إلى توضيحات، ليس من أجلي، بل من أجل الجمهور الإسرائيلي».

وجاءت هذه التطورات بعد ساعات فقط من كشف صحيفة «وول ستريت جورنال» الأميركية عن خطة يعكف مسؤولون أمنيون إسرائيليون على تطويرها لتوزيع المساعدات في قطاع غزة «يمكن أن تؤدّي في النهاية إلى إنشاء تصوّر لحكم في غزة بقيادة فلسطينية»، ويحظى بدعم عربي وإقليمي. وضمن هذا السياق، «أجرى مسؤول دفاعي إسرائيلي كبير، محادثات مع مصر والإمارات والأردن لبناء دعم إقليمي لجهود ناشئة لتجنيد القادة الفلسطينيين ورجال الأعمال الذين ليست لهم صلات بحركة حماس في توزيع المساعدات»، وفقاً للصحيفة التي نقلت عن مسؤولين، قولهم إن «المساعدات ستدخل برّاً وبحراً بعد التفتيش الإسرائيلي، وستتوجه إلى مستودعات كبيرة في وسط غزة، حيث سيقوم الفلسطينيون (المجنّدون لهذه الغاية) بعد ذلك بتوزيعها، على أن يتولّى هؤلاء «سلطة الحكم في غزة» بعد انتهاء الحرب، وذلك «بدعم من قوات الأمن التي تموّلها الحكومات العربية الثرية». ونقلت الصحيفة عن مسؤولين قولهم إن «إسرائيل تواصلت مع فلسطينيين بارزين للمشاركة في الخطّة، بمن فيهم مدير المخابرات، ماجد فرج، ورجل الأعمال المقيم في الضفة الغربية، بشار المصري، ومحمد دحلان»، فيما قال مسؤول إسرائيلي إن نتنياهو «يعارض» أن يؤدي دحلان وفرج أيّ دور في غزة.

(أ ف ب)

ما بعد خطاب شومر... «غليان ديموقراطي» ضدّ إسرائيل

خَضر خروبي

جاءت المواقف التصعيدية الأخيرة الصادرة عن زعيم الأغلبية الديموقراطية في مجلس الشيوخ، تشاك شومر، ضدّ رئيس حكومة الاحتلال بنيامين نتنياهو، لتفتح فصلاً جديداً من فصول التوتّر الشخصي والسياسي الذي طبع علاقة الأخير بالرئيس الأميركي جو بايدن. فالرئيس الذي بدأ يتوجّس من احتمال الهزيمة الانتخابية، بعد تحذير خطّي وجّهه إليه أكثر من 100 شخصية من مموّلي الحزب الديموقراطي، ينذرونه فيه من التبعات السلبية لمضيّه في «دعمه غير المشروط» لإسرائيل على حظوظه الرئاسية، شرع، كما يبدو، في «تصويب» جانب من سياساته الإسرائيلية. أمّا شومر، الزعيم الأميركي اليهودي، الذي رفض طلب السماح لنتنياهو بمخاطبة أعضاء الكونغرس من الحزب الديموقراطي في جلسة منفردة، بدعوى أن إقحام الموقف من الدولة العبرية في اللعبة السياسية داخل الولايات المتحدة «لا يعود بالفائدة على إسرائيل»، فكان قد وجّه دعوة ضمنية للجمهور الإسرائيلي، من أجل تنحية نتنياهو، مفنّداً أوجه اعتراض الإدارة على سياسات الحكومة الإسرائيلية، بدءاً بالخلاف حول بعض التفاصيل الميدانية والإنسانية المتّصلة بالوضع في غزة، واتهام واشنطن لتل أبيب بـ«تقويض حل الدولتَين»، و«تسييس» ملف العلاقات الأميركية - الإسرائيلية، بالتعاون مع الجمهوريين، في موازاة محاولة شومر التفريق بين دعم إسرائيل «الدولة»، وانتقاد السلطة فيها.

في المقابل، وجد نتنياهو نفسه أمام معضلة الشروع في ردّ مماثل على الخطاب الـ«لئيم» لشومر، إذ عاد، خلال كلمة ألقاها في اجتماع افتراضي مغلق يوم الأربعاء الفائت أمام أعضاء الحزب الجمهوري في مجلس الشيوخ، إلى اللعب على التناقضات الحزبية في الولايات المتحدة، متعمّداً تحريض حلفائه، خصوصاً أولئك المحسوبين على الجناح المؤيد للرئيس السابق دونالد ترامب، على فريق الإدارة وقادة الديموقراطيين، في وقت تتعمّق فيه التصدّعات في العلاقات بين الجانبين. وقد تجلّى ذلك، في إقرار وزير الخارجية، أنتوني بلينكن، باستمرار الخلافات مع المسؤولين الإسرائيليين حول عدّة عناوين، في طليعتها إصرار نتنياهو على اقتحام رفح بزعم أنه «ليست لدينا طريقة لهزيمة حماس، من دون الدخول إلى رفح والقضاء على بقية الكتائب هناك».

> **تتزايد الضغوط على بايدن من داخل حزبه، ولا سيما من قواعد وقيادات الديموقراطيين في الولايات الحاسمة في السباق الرئاسي**

خطاب شومر: أين تقاطعات مع سياسة بايدن؟

ليس من قبيل المصادفة أن يتزامن كلام شومر، مع تزايد حدّة انتقادات مسؤولي الإدارة لحكومة نتنياهو، ومنها تأكيد نائبة الرئيس، كامالا هاريس، مثلاً، أنه «لا أعذار» لإسرائيل في عدم السماح بإدخال المزيد من المساعدات الإنسانية إلى غزة. وفي هذا الإطار، استندت صحيفة «نيويورك تايمز» إلى تكثيف قيادات الحزب الجمهوري هجومها على شومر، ومنها اتهام زعيم الأقلية الجمهورية في مجلس الشيوخ، ميتش ماكونيل، خصومه الديموقراطيين بالتسبّب في «تصدّع على مستوى دعم إسرائيل، والذي لطالما كان عابراً للانقسامات الحزبية»، ليرد السيناتور الديموقراطي، كريستوفر مورفي، عليه بالقول إن «تكريس العلاقة بين إسرائيل والولايات المتحدة كقضية حزبية ليس هو الحلّ»، للدلالة على أن خطاب نتنياهو يسهم في «تفاقم الانقسامات الحزبية، تحت قبة الكونغرس». ولفتت إلى أن احتضان الجمهوريين لنتنياهو، وتحديداً عبر السماح له أخيراً بإلقاء خطاب أمام أعضاء الكونغرس من حزبهم دون سواهم، إنّما يشكّل «نسخة متطرّفة من التكتيك السياسي الذي دأب السواد الأعظم من الجمهوريين على اتّباعه منذ فترة طويلة، والذي يركز على تصوير الديموقراطيين الذين يتبنّون مقاربة نقدية إزاء نتنياهو أو سياساته، على أنهم يحملون توجّهاً مناهضاً لدولة إسرائيل، أو «معادياً للسامية»، بدورها، توقفت صحيفة «واشنطن بوست» عند التحالف الانتخابي الموضوعي بين نتنياهو وترامب، لتقول إن خطاب نتنياهو المشار إليه يندرج ضمن «مساعي الجمهوريين في الكونغرس لإبراز ولاء حزبهم غير المشروط لإسرائيل، في مقابل الحزب (الديموقراطي) الذي اجتذب تاريخيّاً معظم الناخبين الأميركيين اليهود» من جهة، ويعكس «حالة الغليان التي تنتاب الديموقراطيين إزاء استراتيجية الحرب التي تتّبعها إسرائيل في غزة» من جهة ثانية.

دوافع الإدارة الأميركية للصدام مع نتنياهو

في محاولتها شرح خلفيات الهجوم المتصاعد تواليّاً من جانب أركان البيت الأبيض، والحزب الديموقراطي ضد «زعيم الليكود»، رأت «واشنطن بوست» أن حرب غزة «كشفت عن بعض خطوط الصدع الحادّة في أروقة الحزب الديموقراطي، حيث يدفع الجناح الليبرالي داخل الحزب بأجندة متّصلة بالمخاوف المتعلقة بحقوق الإنسان في القطاع، ضمن سياق سياسي متّصل بالعلاقة التحالفية الأكثر ثباتاً بالنسبة إلى الولايات المتحدة». وتضيف أن بايدن يواجه ضغوطاً متزايدة من التيار المناهض للحرب داخل حزبه، والداعي إلى قطع المساعدات العسكرية الأميركية لإسرائيل، ولا سيما أن قطاعاً واسعاً منهم شارك في الفعاليات الاحتجاجية ضدّ الرئيس الثمانيني في الانتخابات التمهيدية للديموقراطيين التي جرت أخيراً في عدد من الولايات المتأرجحة الرئيسية.

وتتوقّف الصحيفة عند الضغوط المتزايدة على بايدن من داخل حزبه، ولا سيما من قواعد وقيادات الديموقراطيين في تلك الولايات الحاسمة في السباق الرئاسي، مستعرضةً عريضة كان قد بعث بها، قبل أيام، 18 عضواً من الحزب الديموقراطي في مجلس الشيوخ، بمن فيهم السيناتور عن ولاية ويسكونسين تامي بالدوين، والسيناتور عن ولاية أوهايو شيرود براون، والسيناتور عن ولاية ديلاوير توم كاربر، يحثّون فيها الرئيس على وضع «خارطة طريق» علنية تؤسّس للاعتراف بالدولة الفلسطينية، مشدّدين على أن الوضع في غزة «وصل إلى منعطف حاسم»، وأن «دورك القيادي بات مطلوباً في هذا الوقت أكثر من أيّ وقت مضى». وتأسيساً على ذلك، تجزم الصحيفة بأن بايدن عمد إلى النأي بنفسه عن نتنياهو في الأسابيع الأخيرة، وسط تفاقم حالة الإحباط لدى البيت الأبيض من رفض رئيس الوزراء الإسرائيلي المتكرّر للطلبات الأميركية، مبيّنة أن «ما يثير غضب إدارة بايدن والعديد من الديموقراطيين يتمثّل في الظروف المروّعة في غزة، وخصوصاً في مناطق الشمال، حيث حذّرت منظمات إغاثية من أن خطر المجاعة أصبح وشيكاً».

بدائل أميركية لنتنياهو؟

أطلق دفء العلاقات بين الإدارة الأميركية، وعضو حكومة الحرب الإسرائيلية، بيني غانتس، الذي لاقى حفاوة لافتة خلال زيارته لواشنطن أخيراً، تكهنات حول «تزكية» الولايات المتحدة للرجل ليكون حليفها المفضّل، على رأس حكومة مقبلة في تل أبيب، علماً أن وزير الحرب الإسرائيلي تقاطع مع نتنياهو، لدى لقائه بلينكن، أمس، على تأييد البدء في عملية عسكرية في رفح، إلا أنه تمايز عنه، في تبنّيه لهجة «أكثر نعومة» حيال الضيف الأميركي. وفي هذا الصدد، يؤكد محلّلون غربيون وإسرائيليون أن غانتس يُعدّ «زعيماً أكثر عقلانية ومقبولية» في نظر إدارة بايدن، على اعتبار أنه، وخلافاً لنتنياهو، الذي يربط مستقبله السياسي باستمرار الحرب في غزة، لا يواجه اتهامات بالفساد، ولم يعهد عنه التدخّل في السياسة الداخلية للولايات المتحدة. والسيناريوهات عن موقف أميركي يدفع إلى تغيير المشهد السياسي في تل أبيب، تناقلها الإعلام الإسرائيلي، على غرار صحيفة «هآرتس» التي اعتبرت أن «غانتس، وإن كان سيعتمد بصورة مؤكدة نهجاً متشدداً تجاه الفلسطينيين أسوة بنتنياهو، إلا أنه لا يحمل اسم نتنياهو وسمعته المشوّهة (سياسياً)». وتختم الصحيفة القول إن «المشرّعين الديموقراطيين في الولايات المتحدة يدركون تماماً حقيقة الموقف الصعب الذي يجدون أنفسهم فيه أثناء محاولتهم التوفيق بين انتقادهم السياسة الإسرائيلية، والحفاظ على دعمهم لإسرائيل كحليف»، مشدّدة على أن «غانتس يوفر لهم آلية تصحيح تلقائية» لهذه المعضلة.

فظائع العدو في «الشفاء»: هذه صورة النصر

غزة - **يوسف فارس**

لليوم الخامس على التوالي، تتواصل العملية العسكرية الإسرائيلية في مستشفى الشفاء في مدينة غزة، حيث يرتكب جيش الاحتلال جرائم الإعدام الميداني والتطهير والتهجير القسري، بل ويُمعن في التنكيل بالجرحى والمصابين، ويُخضع الطواقم الطبية لتحقيقات قاسية، ويمنعها من أداء دورها في رعاية الجرحى والمرضى. آخر الشهادات الميدانية التي حصلت عليها «الأخبار»، أشارت إلى أن جيش العدو احتجز 240 مصاباً بجروح في الأطراف والأجزاء العلوية من الجسد، من الذين لا يستطيعون الحركة، بسبب بتر الأقدام أو وجود جسور معدنية في أطرافهم، بالإضافة إلى المئات من مرافقيهم، وعشرة من العاملين ضمن الطواقم الطبية، في مبنى الأمير نايف في المستشفى. ويتابع الشهود أن «جيش العدو يحتجز المصابين في قاعة واسعة، منذ ثلاثة أيام على هذه الحالة، ويُخضع بعض المصابين لتحقيقات ميدانية قاسية، ولا يسمح للطواقم الطبية برعاية الجرحى الذين هم بحاجة ماسة إلى المسكّنات والمضادات الحيوية»، مضيفين أن «الديدان بدأت تخرج من جروح المصابين». وفي باحة المستشفى، يواصل جيش العدو ارتكاب كل أنواع الجرائم، حيث داست جنازير الدبابات العشرات من النازحين أحياء، وتتم عمليات الإعدام الميداني التي يعلن جيش الاحتلال عن تضاعف أعدادها

> **جيش الاحتلال يقرّ بالخطأ بعد عرض صور لمقاومين ادّعى بأنه اعتقلهم**

يومياً، بناءً على الحالة المزاجية للجنود. كل ذلك يحصل وسط حالة قاسية من الجوع ونقص الطعام، إذ يمنع جيش العدو الأهالي من التحرّك من أماكنهم للحصول على الطعام، ويحرمهم من تناول وجبتي الإفطار والسحور منذ بدء الاقتحام، الطريقة التي يتحرك فيها جيش العدو من مبنى إلى آخر في داخل مجمع المستشفى، عمادها اتخاذ المدنيين دروعاً بشرية، حيث يُجبر عدداً كبيراً من النساء والأطفال على السير برفقة جنوده والإحاطة بهم وهم ينتقلون بين المباني التي يخشى أن يلاقي فيها مواجهة من بعض النازحين الذين يرفضون تسليم أنفسهم. أم محمود، وهي نازحة أُجبرت على الخروج مع عائلتها من مستشفى الشفاء باتجاه جنوب قطاع غزة، ثم استطاعت العودة إلى الشمال بعد أن رفضت الانصياع لأوامر جيش العدو، تقول لـ «الأخبار»: إن «الجيش الإسرائيلي لا يتحرّك إلا ونحن نحيط به من كل جانب. وعندما يرفض أيّ من الأهالي الانصياع لأوامره، يقوم الجنود بإطلاق الرصاص عليه. بهذه الطريقة قُتل العشرات من النازحين في المستشفى».

وتصل شهادات مروّعة من المناطق التي تحيط بمستشفى الشفاء، وآخر ما تم تداوله في مواقع التواصل في هذا الخصوص، هو قيام جيش العدو بقتل أب أمام أطفاله عند دوار حيدر جنوب غرب المستشفى. ويقول الطفل فاروق حمد، إن «قوات الاحتلال اعتقلتني مع والدي محمد وشقيقي يوسف، وكان والدي يحتضننا ويجلس أمام دبابة إسرائيلية، في محاولة منه لإنقاذنا». ويضيف: «عندما اقتربت الدبابة منّا صرخ بي دافعاً إياي إلى الأمام وهو يقول، بحبك يا فاروق، أشرد». ولما لاذ الطفلان بالفرار من أمام الدبابة، أطلق جندي إسرائيلي رصاصة على رأس الوالد وأرداه قتيلاً، ثم قصف بقذيفة شقيقه يوسف وقتله. وتمكّن فاروق البالغ من العمر 14 عاماً من الفرار والوصول إلى أبناء عمومته، مضرّجاً بالدم ومصاباً بجروح جراء عن شظايا القذائف.

كذلك، واصل جيش العدو سياسة قصف المنازل في محيط مستشفى الشفاء وحرقها بمن فيها من سكان. وبحسب مصادر أهلية تحدّثت إلى «الأخبار»، فقد أطلقت مدفعية الاحتلال العشرات من القذائف الحارقة باتجاه الشقق السكنية المحيطة بالمجمع من جهاته الأربع، وقضت عائلات بأكملها حرقاً، من دون أن يستطيع أحد إنقاذها. وكذلك، واصلت الطائرات الحربية الإسرائيلية تدمير العشرات من الأبنية والأبراج السكنية في القطاع، من دون أن تسمح لسيارات الدفاع المدني أو الإسعاف التدخل لإنقاذ المصابين وانتشال جثث الشهداء.

من جهته، فنّد المدير العام للمكتب الإعلامي الحكومي الذي تديره حركة «حماس»، مزاعم الناطق باسم جيش الاحتلال دانيال هاغاري عن قتل واعتقال المئات من عناصر «حماس» و«الجهاد الإسلامي» خلال اقتحام مجمّع الشفاء، قائلاً إن «الخطأ في التعرّف إلى الهويات وإدراج صور لأفراد من الطاقم الطبي وأشخاص خارج البلاد يظهر أن الجيش الإسرائيلي ينشر روايات كاذبة لتبرير هجومه على المستشفى».

وكان هاغاري قد قدّم العشرات من الجرحى الذين اعتقلتهم قواته في المجمع على أنهم من مقاتلي «حماس» و«الجهاد الإسلامي»، ومن بينهم عدد من مسؤولي الأمن والقادة العسكريين، خلال الاقتحام. وادّعى أن «من لم يستسلموا لقواتنا قاتلوا وتمّ القضاء عليهم». وعرض في إفادته صورة مركّبة لمن قال إنهم المعتقلون.

ولاحقاً أقرّ جيش العدو بالخطأ، قائلاً إن هناك بعض الصور لمسلحين لم يتم اعتقالهم ولكن تمّ تضمين صورهم عن طريق الخطأ.

جيش الاحتلال يعيد تهجير المهجّرين إلى «الشفاء» (أ ف ب)

طوفان الأقصى

لا «راحة» إسرائيلية في الضفة
«المشتبك النوعي» يوجع الاحتلال

رام الله ـ **أحمد العبد**

من أين يخرج المقاومون؟ من الجبال، من أشجار الزيتون، من بين الصخور، مع آخر العتمة وأوّل شعاع شمس؟ يسأل ضابط الاحتلال نفسه، من دون أن يستطيع إيجاد جواب شافٍ، وهو يرى أمام عينيه الجنود الذين تحت إمرته يسقطون أرضاً بالرصاص، فيما هو عاجز عن تحديد مصدر إطلاق النيران لساعات. هكذا كان الحال، صباح أمس، عندما أصيب 7 من جنود العدو، أحدهم بحالة حرجة جداً (موت سريري)، و2 بجروح خطيرة، والبقية بين متوسطة وخفيفة، في اشتباك مسلّح خاضه مقاوم واحد لأكثر من 4 ساعات، بين قريتي دير بزيع وكفر نعمة غرب رام الله، مع مئات الجنود الإسرائيليين الذين فشلوا في الوصول إليه، ليستنجدوا بسلاح الجو الذي ظلّ مستنفراً لساعات طويلة بحثاً عن المشتبك، قبل أن تستهدفه طائرة «أباتشي» ويرتقي شهيداً.

والاشتباك المسلح هذا، سبقته عملية إطلاق نار نفّذها المقاوم الشهيد نفسه، مجاهد بركات منصور (من قرية دير بزيع)، استهدف عبرها حافلة مستوطنين في وادٍ متاخم لمستوطنتي «دوليف» و«طلمون»، المقامتين على أراضي القرى الفلسطينية هناك، لكنها لم تسفر عن وقوع إصابات، رغم حدوث أضرار كبيرة في الحافلة. وفي أعقاب العملية، دفع جيش الاحتلال بتعزيزات إلى ما بين قريتي دير بزيع وكفر نعمة، فيما شرعت طائراته الحربية في عملية تمشيط بحثاً عن المقاوم. وخلال ذلك، وقعت اشتباكات مسلحة مع الأخير، بعد أن نجح في الانسحاب إلى منطقة جبلية تزخر بأشجار الزيتون والصخور. وفي السياق، تؤكد مصادر محلية، في حديثها إلى «الأخبار»، أن «جيش الاحتلال والعناصر الأمنية استنفروا على الشوارع ومحاور الطرق بشكل غير مسبوق، مع وصول تعزيزات عسكرية من دون توقف إلى المنطقة، تحت غطاء الطيران»، قبل أن «تهبط طائرة مروحيّة في محيط موقع الاشتباك، ويُسجّل قدوم سيارات إسعاف إسرائيلية لنقل الجرحى».

وتحمل العملية الفدائية الجديدة مؤشرات عدة، أهمها النوعية العالية والكفاءة في القتال، وهذا ما أشارت إليه الصحافة العبرية التي صنّفت المقاتل بأنه من «وحدات النخبة»، نظراً إلى أنه أرهق جيشاً بأكمله، رغم أن جيش الاحتلال دفع منذ بدء شهر رمضان بـ23 كتيبة عسكرية إلى الضفة، بينما كثّف من حواجزه العسكرية التي ناهزت 750 حاجزاً تقطع أوصال المناطق المحتلة وتخنقها، فضلاً عن تحوّل المستوطنين إلى مليشيات مسلّحة. ومع توارد أنباء الاشتباك وصوره، استذكر الفلسطينيون عملية «عيون الحرامية» التي وقعت في 3 آذار 2002، والتي نفّذها الأسير ثائر حماد من بلدة سلوان، على أحد حواجز العدو شمالي رام الله، وتمكن آنذاك من قتل 11 جندياً ومستوطناً وجرح 9 آخرين بـ26 رصاصة، قنصاً، قبل أن ينسحب من المكان بهدوء إثر انفجار بندقيته، ليعجز الاحتلال طوال 30 شهراً عن الوصول إليه.

وتأتي عملية دير ابزيع، استكمالاً لسلسلة عمليات نوعية شهدتها الضفة في الأسابيع القليلة الماضية، آخرها استدراج ضابطين من «الشاباك»، وإطلاق النار عليهما قرب بيت فجار في بيت لحم، وهو ما سبقه استدراج لجنود الاحتلال قرب جنين وتفجير عبوة ناسفة بهم، ما أدى إلى إصابة 7 منهم. كما تأتي العملية بعد ساعات من عمليات الاغتيال الإسرائيلية التي استهدفت مقاومين فلسطينيين في جنين وطولكرم وأريحا، وأسفرت عن سقوط 9 شهداء، وهو ما يعدّه مراقبون مؤشراً إلى تصاعد غليان الضفة، وإمكانية تدحرج الأوضاع فيها نحو مزيد من التصعيد. ومساء الخميس، استشهد الشاب محمد مأمون حواشين (28 عاماً)، متأثراً بإصابته جراء قصف العدو مركبة على أطراف مخيم جنين أول من أمس، ليرتفع عدد شهداء قصف المركبة المذكورة إلى 4، فيما استشهد شاب وأصيب شخصان برصاص قوات الاحتلال خلال اقتحام الأخيرة مخيم عقبة جبر في أريحا.

وعلى خط موازٍ، شهدت مدينة طوباس، فجر الجمعة، اشتباكات مسلحة عنيفة بين قوات الاحتلال ومقاومين، أظهرت مقاطع مصورة تفجيرهم سيارة مفخّخة بآلية عسكرية. ووفقاً لبيان مشترك لـ«كتائب القسام» و«سرايا القدس»، فإن المقاومين نجحوا في «تفجير وإعداد كمين محكم لآليات العدو وجنوده داخل المدينة واستهدافهم بالعبوات والأسلحة الرشاشة»، أيضاً، أعلنت «القسام» في الضفة أن مقاتليها تصدوا، في الساعات الـ48 الماضية، لاقتحامات الاحتلال وآلياته في مخيم نور شمس بطولكرم، ومدينة طوباس، ومخيم عقبة جبر في أريحا، وقد تمكنوا من استهداف عدد من الآليات بعبوات ناسفة مجهّزة سلفاً وحققوا فيها إصابات مباشرة، كما نفذوا عدة عمليات إطلاق نار هجومية استهدفت حشوداً عسكرية للاحتلال ومواقع مستحدثة في شمال ووسط الضفة. ومساء الخميس، أصيب 3 مستوطنين بجروح، جراء إلقاء قنبلة يدوية على حافلة قرب مستوطنة «غوش عتصيون» جنوب شرق مدينة بيت لحم، جنوبي الضفة. وحول الحادثة، قالت مصادر عبرية إن «حافلة للمستوطنين تعرضت لإلقاء عبوة ناسفة، جنوب شرق بيت لحم، أثناء سيرها ما بين مستوطنة افرات وبلدة تقوع، وإن انفجارها تسبّب بإصابة ثلاثة مستوطنين بالصدمة، بينما لحقت أضرار بالحافلة»، بينما قال شهود عيان إنهم سمعوا صوت انفجار كبير أعقبه تصاعد دخان من المنطقة الغربية للبلدة.

استنفر جيش الاحتلال على الشوارع ما بين قريتي دير بزيع وكفر نعمة، بحثاً عن المقاوم (أ ف ب)

الاستيطان يواصل نهش الأغوار

في تحدٍّ جديد للمنظومة الدولية، وخصوصاً منها الأطراف التي فرضت أخيراً عقوبات ضد بعض المستوطنين، قررت إسرائيل، أمس، مصادرة 8 آلاف دونم في الأغوار، بهدف توسيع مستوطنة «بافيت»، قرب قرية فصائل الفلسطينية، وإضافة مئات الوحدات السكنية الجديدة إليها، وإقامة «منطقة صناعية وتجارية» فيها. وكانت خطّطت مديرية الاستيطان في وزارة الأمن، والتي تعمل ضمن «الإدارة المدنية» للاحتلال، وتخضع لمسؤولية الوزير، بتسلئيل سموتريتش، مصادرة الأراضي المشار إليها وتوسيع الاستيطان فيها على مدار السنة الأخيرة. وقال سموتريتش، عقب الإعلان، إن هذه الخطوة «ستسمح بمواصلة البناء وتعزيز الأغوار»، فيما أعلنت مديرية الاستيطان أن تلك الأراضي «أراضي إسرائيل»، وبالتالي متاحة لتنفيذ مشاريع استيطانية فيها، علماً أنه من المتوقع أن يستغرق تخطيط وشرعنة بناء وحدات سكنية في الساحات المصادرة، سنة تقريباً، بعد الحصول على مصادقة المستوى السياسي. وأفادت حركة «السلام الآن»، التي تراقب الاستيطان في الضفة الغربية والقدس المحتلة، بأنه سُجل رقم قياسي في المصادقات على مخططات بناء استيطاني في الضفة، خلال السنة الأخيرة.

رمضان ذروةً للمعركة البحرية: واشنطن تتسلّل إلى سقطرى

صنعاء ـ **رشيد الحداد**

حذر الناطق الرسمي لـ«لجنة الاعتصام» في محافظة المهرة جنوب شرقي اليمن، علي مبارك محامد، من خطورة نشر قوات أميركية ونصب أنظمة دفاعية في أرخبيل سقطرى، وتحويله إلى قاعدة عسكرية، معتبراً ذلك احتلالاً أجنبياً ترفضه كل القوانين الدولية. ووصف، في منشور على منصة «إكس»، ما حدث بـ«الانتهاك السافر للسيادة الوطنية»، محمّلاً الحكومة الموالية للتحالف السعودي - الإماراتي مسؤولية الصمت وشرعنة الاحتلال الأميركي للأرخبيل. وجاء هذا التحذير بعد أنباء عن قيام قوات أميركية بعملية إنزال عسكري في جزيرة عبد الكوري اليمنية، إحدى جزر أرخبيل سقطرى في المحيط الهندي، إذ كانت وسائل إعلام إماراتية قد أشارت إلى استخدام الولايات المتحدة سواحل سقطرى للدفاع عن السفن الإسرائيلية والأميركية والبريطانية وحمايتها. وذكرت شبكة «سكاي نيوز عربية»، الأربعاء الماضي، أن واشنطن قامت بنشر دفاعات جوية في الأرخبيل بهدف التصدي للصواريخ والمسيّرات اليمنية التي تستهدف السفن المحظورة بقرار صنعاء. ونقلت عن مسؤول دفاعي أميركي قوله إن هذه الإجراءات تهدف إلى اعتراض صواريخ طويلة المدى قد تطلقها حركة «أنصار الله»، وإنها «تأتي في إطار اعتراض أي عمليات جوية من قبل صنعاء، قد تطاول قواعد أميركية في المنطقة».

وفي ما يتعلّق بالمعركة القائمة في البحر الأحمر وخليج عدن، أكد مصدر عسكري في صنعاء، لـ«الأخبار»، أن العمليات التي تنفذها القوات البحرية اليمنية ضد السفن العسكرية الأميركية والبريطانية وبعض السفن التابعة لدول الاتحاد الأوروبي، تصاعدت إلى مستويات غير مسبوقة خلال شهر رمضان. ووصف الوضع العسكري في تلك المنطقة بالمستقر، قائلاً إن البحرية الأميركية تواجه أزمة كبيرة في الدفاع، وإن حاملة الطائرات الأميركية «آيزنهاور»، صارت هدفاً يومياً لهجمات صنعاء. ومن جهتها، تحدّثت القيادة المركزية الأميركية، في بيان، عن حدوث أكثر من اشتباك في الساعات الـ48 الماضية، الأول شاركت فيه طائرة تابعة لها أمس، واستهدفت طائرة مسيّرة يمنية كانت تتجه نحو إحدى البوارج الأميركية، إضافة إلى الاشتباك مع سفينة سطحية مسيّرة، والثاني جرى مع صاروخين باليستيّين مضادين للسفن أُطلقا من قبل قوات صنعاء في البحر الأحمر. وكانت البحرية الفرنسية قد أكدت، أول من أمس، تعرّض فرقاطة فرنسية لهجوم صاروخي من قبل قوات صنعاء البحرية، وقالت، في بيان، إن قواتها «واجهت هجوماً بثلاثة صواريخ باليستية نفذته قوات صنعاء البحرية، واستهدف سفينة حاويات والفرقاطة الفرنسية المرافقة لها».

وكانت صنعاء صعّدت، كذلك، عملياتها الجوية ضد الكيان الإسرائيلي، مستهدفةً، خلال الأيام الماضية، مواقع وصفتها بـ«الحساسة» في مدينة أم الرشراش (إيلات). ولمّحت إلى أن هجماتها في العمق الإسرائيلي ستتجاوز إيلات، بعد حديثها عن نجاح تجربة صاروخية جديدة في اختراق الدفاعات الجوية الإسرائيلية قبل أيام، وهو ما تسبّب بإربك جيش الاحتلال ودفعه إلى التحقيق في فشل منظومات «حيتس» المتطورة في اعتراض الصاروخ اليمني، وفقاً لمصادر إعلامية عبرية. وأشارت «القناة الـ12» العبرية، مساء أول من أمس، إلى محاولة جيش الاحتلال التصدي لأجسام جوية فوق البحر الأحمر كانت متجهة نحو إيلات.

مقالة

عقود واشنطن «الضائعة»

وليد شرارة

عنوان هذا المقال مستوحى من عنوان كتاب روبرت بلاكويل: «عقد ضائع: الاستدارة الأميركية نحو آسيا وصعود القوة الصينية»، والذي سيصدر في شهر حزيران القادم. بلاكويل، لمن لا يعرفه، سياسي وديبلوماسي وأكاديمي أميركي مخضرم، عمل لأكثر من 4 عقود لحساب وزارة الخارجية، وفي مجلس الأمن القومي في عهد بوش الابن كمسؤول عن ملف العراق، وهو زميل بارز في «مجلس العلاقات الخارجية»، النادي المفضل للنخب الأميركية المعنية بالشؤون الدولية. بكلام آخر، يأتي كتابه المذكور كمساهمة في نقاش جار بين هذه النخب حول السياسة الخارجية لبلادهم، ومدى اتساقها مع الأولويّة الإستراتيجية المعلنة لجميع الإدارات الأميركية المتعاقبة منذ ولاية أوباما الثانية، وهي التصدي لتعاظم نفوذ الصين على الصعيدين الآسيوي والعالمي. يتضح من العنوان، «عقد ضائع»، أن بلاكويل هو من القطاع الذي يزداد اتساعاً بين هذه النخب، ويضم مسؤولين سابقين وأكاديميين من خلفيات فكرية - سياسية متعددة، ويعتقد بأن واشنطن لم تنجح في إخضاع سياستها الخارجية لأولويتها المشار إليها.

> عودة الحروب الطويلة والقابلة للاتساع نحو جوارها الأقرب، وربما إلى خارجه، هي من بين معالم السياق الدولي المستجد

وأن استمرار ذلك الواقع يشكل تهديداً جدياً لموقع الولايات المتحدة «الريادي» على المستوى الدولي. وما يعزز هكذا تهديد، هو سياق احتدام النزاعات الدولية الراهن، و«التورط» المتنامي لواشنطن فيها.

رأى روبرت بلاكويل، في مقابلة نُشرت على موقع «ذي ديبلومات»، أن الإجماع الذي حظي به هدف «الاستدارة نحو آسيا» بين صنّاع القرار والمسؤولين الديموقراطيين والجمهوريين في الولايات المتحدة منذ 2011، لم يُترجم بقرارات وسياسات تتلاءم وحيويته بالنسبة إليها. وهو رأى، في معرض تحليله للأسباب التي تفسّر هذا الأمر، أن «واشنطن، ولمدّة طويلة، استخفت بالتحدي الصيني، وظنت أن مزيجاً من المحفّزات والضغوط سيدفع بكين إلى الالتزام بثوابت النظام الدولي القائم. إضافة إلى ذلك، فإن أزمات خطرة استخفت في مناطق أخرى، من حروب الشرق الأوسط إلى الاجتياح الروسي لأوكرانيا. وعبر إعلانها عن سياسة خارجية متمحورة حول آسيا، سعت إدارة أوباما إلى إحداث تغيير في التوجهات الإستراتيجية في ظل غياب تطورات دراماتيكية تبرر مثل هذا التغيير... لكن السبب الأخير لعدم صياغة رد متناسب على تعاظم التحدي الصيني، هو أن أكلافه كانت تفوق ما تستطيع أي من الإدارات المتعاقبة تحمله. فقد تبين أن نقل القوات والقدرات العسكرية من أوروبا والشرق الأوسط نحو آسيا، ومحاولة التغلّب على المعارضة الداخلية لمشروع الشراكة العابرة للمحيط الهادئ، والتخلي عن منظومات السلاح الموروثة لصلحة أخرى مخصّصة لمجابهة الصين، والتركيز المكثف للنشاط الديبلوماسي على منطقة المحيطين الهادئ والهندي، هي بمجملها مهام بالغة المشقة إن لم تكن مستحيلة، بالنسبة إلى هذه الإدارات المتعاقبة». ويشير بلاكويل إلى أنه «بينما كانت واشنطن مستنزفة في صراعات الشرق الأوسط وأوروبا، تضخّم الإنفاق العسكري لبكين، التي شرعت في تطوير أسطولها العسكري البحري ومنظوماتها الصاروخية. وعلى عكس الولايات المتحدة التي انسحبت من اتفاقيات تجارية موقعة أو توقفت عن توقيع أخرى جديدة، أبرمت الصين اتفاقيات للتجارة الحرة في آسيا وفي بقاع أخرى من العالم. وفي الوقت الذي كانت فيه الديبلوماسية الأميركية غارقة في مشكلات الشرق الأوسط وأوروبا، كانت تلك الصينية توسع نفوذها في منطقة المحيطين الهندي والهادئ وفي بقية الجنوب العالمي».

لو صدر مثل هذا التحليل عن جهة معارضة للسياسة الأميركية، خاصةً إذا كانت عربية، لوُسم تلقائياً بالتفكير الرغبوي البعيد عن الموضوعية. لكن كون صاحبه، الصديق العزيز لبول بريمر، رئيس ما سمّي بمجلس الحكم الانتقالي خلال الاحتلال الأميركي للعراق، منذ أن عمل الرجلان سوياً تحت إمرة هنري كيسنجر في سبعينيات القرن الماضي، هو ما قد يضفي عليه درجة من الصدقية بالنسبة إلى الكثير من الليبراليين المتأمركين العرب.

عودة الحروب الطويلة والقابلة للاتساع نحو جوارها الأقرب، وربما إلى خارجه، هي من بين معالم السياق الدولي المستجد. لقد مضى على اندلاع النزاع في أوكرانيا ما يقرب من الـ25 شهراً، فيما تقترب ملحمة غزة من شهرها السادس. أثبتت هذه المجابهات أن نموذج الحرب الخاطفة، أي الصراع الذي يُحسم عبر معركة أو بضع معارك فاصلة، لم يعد وارداً اليوم. الولايات المتحدة شريك أساسي في الحربين، وإن كان الأمر أكثر وضوحاً في غزة. وما نتج منها من صدام مباشر بين البحرية الأميركية والمقاومتين اليمنية والعراقية. التورّط الأميركي في مثل هذه الحروب، والمرشح للتزايد بفعل ديناميات الميدان، كما نرى في اليمن مثلاً حيث لم تعد المواجهة تقتصر على باب المندب والبحر الأحمر، بل باتت تشمل المحيط الهندي أيضاً، هو ما سيضعف قدرة واشنطن على التركيز على أولويتها الاستراتيجية المعلنة ويعزز موقف بكين في مقابلها.

تصاعد الغضب بوجه الشركات التركية: أوقفوا شراكتكم في الإبادة!

محمد نور الدين

تستمرّ محاولات المجتمع المدني وبعض وسائل الإعلام في تركيا، الضغط على الحكومة، كما على الشركات التي تتاجر مع إسرائيل وتصدّر لها مواد مختلفة من حديد وفولاذ وإسمنت وسماد وأسلاك وخضر وفاكهة ونفط، لوقف هذه النشاطات. وفي هذا السياق، نظّمت مجموعة من الناشطين حملةَ احتجاج على زيارة وزير البيئة، محمد أوزهاسكي، إلى أورفة لوضع حجر الأساس لبعض البيوت التي دُمّرت في زلزال السادس من شباط 2023. وخلال كلمة أوزهاسكي في الاحتفال، رُفعت لافتة كتب عليها: «التجارة مع إسرائيل خيانة لفلسطين». وفي هذا السياق، التقطت اللافتة، قال مخاطباً رافعيها: «لطفاً، اجلسوا واستمعوا إلى كلمتي حتى النهاية. لا تحاولوا التحريض ولا تستفزّوا الناس. إن الزعيم الوحيد الذي يحترق قلبه من أجل فلسطين، هو رجب طيب إردوغان. اذهبوا قولوا هذا لمن يرسلكم إلى هنا. أنتم لا تفعلون سوى الاستثمار في هذا الموضوع والتحريض. هذا هو الشيء الوحيد الذي تقومون به». وأضاف: «إنكم تحتجّون أينما ذهبت. ولكن ثقوا أنه حيث توجد أمة مظلومة، يوجد وراءها مدافع هو رئيس جمهوريتنا». ثم أعطى الوزير مثالاً، مواقف إردوغان مما حصل في قره باغ، قائلاً: «انظروا إلى مدينة شوشه كم عانت من الظلم. كانت تحت الاحتلال الأرميني، ولكن في قره باغ عنها وحرّرها؟ إنه إردوغان. الآن، يصحح صوت الآذان في شوشه. وفي ميانمار، ذهبنا قبل ثلاث سنوات وكانت أيدي المسلمين الذين اضطهدهم الهنود تُرفع إلى السماء منادية: اللهم احم تركيا وأيّد عن رجب طيب إردوغان. إردوغان كان الوحيد الذي حمل صوت الناس هناك». وتابع أوزهاسكي: «وفي فلسطين، رئيس جمهوريتنا هو الذي دافع عن القضية. ذهبنا إلى الأمم المتحدة وذغونا إلى حلّ عادل». وإذ انتقدت صحيفة «ملي غازيتيه» التابعة لـ«حزب السعادة» الإسلامي، في عناوانها الرئيس، تركيا، قائلة إن «كندا فرضت حظراً على تصدير السلاح إلى إسرائيل، بينما لا تزال تركيا تواصل تجارتها مع إسرائيل الصهيونية». أمّا صحيفة «قرار»، فكتبت في مانشيتها الرئيس، أسماء وصور رؤساء الشركات التي تتاجر مع إسرائيل، مخاطبةً إيّاهم: «كفى! أنهوا التجارة القذرة». وجاء في تقرير نشرته الصحيفة، أن «التجارة مع إسرائيل ارتفعت، في شباط الماضي، بنسبة 20,7%. وفي شهر كانون الثاني، صدّرت تركيا إلى إسرائيل مواد غذائية بقيمة 41 مليون دولار، تضاف إليها المواد اليومية التي تصدّر من حديد وفولاذ وإسمنت وأسلاك شائكة ونفط». وتلفت «قرار» إلى أن الشركات التركية الكبرى ليست بحاجة إلى المال الذي تكسبه من هذه التجارة، حاصّةً إيّاها على أن «تضع وظيفتها الإنسانية قبل مسألة الربح». كما تلفت إلى أن الشركات التركية المصدّرة تنكر قيامها بالتصدير، خلافاً لما تورده معطيات وزارة التجار واتحاد المصدرين. وفي هذا الجانب، يحاول النائب عن منطقة أدي يمان عن «حزب العدالة والتنمية»، حسين أوزهان - وهو في الوقت نفسه مدير مصنع تابع لشركة «سانكو» للنسيج في المدينة -، أن يلتفّ على السؤال عمّا يصدّر إلى إسرائيل، إذ يقول: «نحن شركة نسيج نعمل منذ عام 1904. ولكن، أنا كمدير مصنع الإنتاج، نصدّر إلى الكثير من العناوين ولكن ليس مباشرة إلى إسرائيل. لكن لا أعرف إذا كانت منتجاتنا تصل إلى هناك من طريق ثالث. ليست عندي معلومات دقيقة».

وفي مدينة بورصة، نظّمت «حركة الألف شاب من أجل فلسطين»، وهي مجموعة ناشطة منذ بدء العدوان على غزة للدفاع عن القضية الفلسطينية والاحتجاج أمام الشركات التي تزود الكيان بالمنتجات، وقفة أمام شركة «زورلو» للطاقة، شريكة إسرائيل في إنتاج الطاقة، وصاحبة استثمارات فيها بقيمة 300 مليون دولار، فضلاً عن حصّة تقدّر بـ25% في مركز «دوراد» للغاز الطبيعي، وهو أكبر مركز خاص في دولة الاحتلال، ويزوّدها بـ7% من حاجتها إلى الكهرباء. وعلى خلفية ذلك، توجّهت «قرار» إلى شركة «زورلو» بسؤال: «في وقت يموت فيه الأطفال في المستشفيات بسبب عدم وجود كهرباء، وينتظر الناس طلوع الشمس ليروا الضوء، ألا يعني تزويدكم إسرائيل بالكهرباء أنكم شركاء في الإبادة التي تحصل في غزة؟».

> 60% من حاجة إسرائيل إلى النفط تؤمّنها شركة «سوكار»، المستثمر الأكبر الأجنبي في تركيا

مع ذلك، تواصل الشركات التركية المصدّرة لإسرائيل، والتي تضمّ كل واحدة منها آلاف العمال وجميعها أعضاء في «جمعية الصناعيين ورجال الأعمال المستقلّين» الإسلامية التي تأسّست قبل 34 عاماً (أكثر من 14 ألف عضو وأكثر من 60 ألف شركة)، إنكار الحقائق، مثلما تفعل شركة «تشيمكو» لإسمنت التي قال مسؤولون فيها، إنها «تصدّر إلى أكثر من 20 بلداً، لكن إسرائيل ليست من بينها». غير أن معطيات «اتحاد مصدّري الإسمنت والزجاج والسيراميك والسماد» تؤكد أن تركيا هي الدولة الثانية في العالم بعد الولايات المتحدة التي تصدّر مثل هذه المنتجات إلى إسرائيل. ومن هذه الشركات: «نوح تشيمنتو»، و«اقتشانسا»، و«ليماك» و«طوسيالي» و«زورلو». وتذكر صحيفة «إيفرنسيل»، بدورها، أن إسرائيل تستورد 65% من الفولاذ من تركيا، وتحديداً من جانب 17 شركة في هذا البلد، تأتي شركة «إيتش داش» التي يملكها عدنان أرسلان في طليعتها. وتضيف الصحيفة أن شركة معادن «ماتريس» تصدّر المعادن المختلفة إلى إسرائيل، إذ يقول العاملون فيها «(إنّنا) ننتج لمصلحة إسرائيل فيما نذرف دموع التماسيح على غزة». وحتى دبابات «إم 60» الإسرائيلية، يُعاد ترميمها وتحديثها في مدينة قيصري، بحسب «إيفرنسيل».

ومن الشركات التي تظاهر أمام مقرّها الرئيس ناشطو «حركة الألف شاب من أجل فلسطين»، «سوكار» التي تستورد النفط الأذربيجاني وتعيد تصديره إلى إسرائيل، علماً أن الأخيرة تستورد 20% من حاجتها من النفط من أذربيجان. كذلك، فإن «سوكار» هي المستثمر الأكبر الأجنبي في تركيا، علماً أن 60% من حاجة إسرائيل إلى النفط تؤمنها الشركة المذكورة، التي تستورد هذا النفط من أذربيجان وكازاخستان، وتصدّر إلى دولة الاحتلال 44 ألف برميل يومياً من النفط.

العراق

حفلة اتهامات ضد «الاتحادية» «الكردستاني» يعزّز سرديّته

بغداد ـ **فقار فاضل**

تتعرّض المحكمة الاتحادية العليا في العراق، وهي أعلى سلطة قضائية في البلاد، لهجوم واسع من عدد من الأحزاب السياسية الكردية وبعض الشخصيات السنية المتضرّرة من قراراتها، ولا سيما تلك الخاصة بمنح الحكومة الاتحادية صلاحية توطين رواتب موظفي إقليم كردستان في مصارف بغداد من دون الرجوع إلى إدارة الإقليم، وقبل ذلك الحكم الذي يؤكد سيطرة بغداد على إدارة النفط في كردستان وتصديره. واشتد الهجوم بعد انضمام النائب السابق والسياسي السني، مشعان الجبوري، إليه، واتهامه رئيس المحكمة، جاسم العميري، بتهديده بإبطال عضويته قبل سنتين، وهو ما حصل بالفعل. وبدأ الهجوم على المحكمة مع إعلان عضوها الكردي، عبد الرحمن زيباري، استقالته قبل أيام، احتجاجاً على قراراتها الأخيرة، واعتباره أنها «ابتعدت عن أسس ومبادئ النظام الاتحادي عبر توسيع نطاق الصلاحيات الحصرية للسلطات الاتحادية على حساب السلطات

> **«الكردستاني» يتهم المحكمة بالانحياز إلى أحزاب في بغداد والعمل وفقاً لرغباتها**

المنوحة للأقاليم والمحافظات غير المنتظمة في إقليم». لكن جديد الهجوم كان اتهام الجبوري، في مقابلة متلفزة، القاضي العميري، بأنه هدّده عندما كان عضواً في مجلس النواب بإبطال عضويته في حال مشاركته في التحالف الثلاثي بين «التيار الصدري» و«الحزب الديموقراطي الكردستاني» وتحالف حزبي «تقدّم» و«السيادة»، والذي كان يهدف إلى تشكيل حكومة تستبعد القوى الشيعية الأخرى. وانتشرت تصريحات الجبوري كالنار في الهشيم، كونها استهدفت المحكمة التي من المفترض أن تتميّز باستقلاليتها وابتعادها عن الخلافات السياسية.

وكانت المحكمة الاتحادية العليا، في أيار 2022، عضوية الجبوري في مجلس النواب، بتهمة تزوير شهادته الثانوية في سوريا. وعقب تصريحه الأخير، أصدرت المحكمة بياناً قالت فيه إنها «تتعرّض لهجمة معروفة الأهداف». وأكدت أن مهمتها «هي التطبيق الصحيح للدستور العراقي بما يضمن وحدة العراق، وبناء نظام جمهوري نيابي برلماني ديموقراطي، يقوم على أساس التداول السلمي للسلطة، والتوزيع العادل للثروات، إضافة إلى الأسس الدستورية الأخرى، لغرض بناء الدولة بالشكل الذي يحقّق إشاعة العدل ورفع الظلم، والحفاظ على الأموال العامة وتوظيفها لمصلحة الشعب، وتحقيق السيادة للقانون». وانشطرت آراء السياسيين والناشطين على مواقع التواصل الاجتماعي بين فريق مؤيد لقرارات المحكمة الأخيرة وعملها، ويطالب بعدم المساس بسمعتها، وبين مشكّكين في تحركاتها الأخيرة، وداعين إلى إجراء تحقيق عادل بحقّ رئيسها بعد اتهامات الجبوري له. ويدافع القيادي في «الإطار التنسيقي» علي الفتلاوي، عن المحكمة، قائلاً إن «قراراتها عادلة ومنصفة تماماً. ومحاولات تلطيخ سمعتها من قبل حكومة وقيادات إقليم كردستان، جاءت بعدما قضت المحكمة بعدم دستورية مقاعد الكوتا في البرلمان الكردي، وأيضاً توطين رواتب موظفي الإقليم، وهي كلها قرارات سليمة ولا غبار عليها». ويرى الفتلاوي، في تصريح إلى «الأخبار»، أن «بعض السياسيين استغلّوا الأزمة الحالية لتأجيج الوضع وحرف الأنظار عن قضايا مهمة في البلاد»، معتبراً أن «المحكمة الاتحادية تقف على مسافة واحدة من الجميع ولا تنحاز إلى أي طرف شيعي أو سني أو كردي، ووجودها يهدف إلى تحقيق التوازن بين الجميع، لكن هذه الحملة ممنهجة من جهات داخلية وخارجية». ويؤكد أن قوى «التنسيقي» داعمة لقرارات المحكمة وملتزمة بها، ومؤيدة للقاضي العميري كونه يمثل أعلى سلطة في البلاد «ليست لديه مصلحة مع أحد».

وفي المقابل، يعتقد القيادي في «الحزب الديموقراطي الكردستاني»، ريبين سلام، أن «موقف الإقليم كان منذ البداية أن هذه المحكمة غير منصفة وقراراتها منحازة إلى جهات معينة». ويشير سلام، في تصريح إلى «الأخبار»، إلى أن «المحكمة الاتحادية شُكلت في زمن الحاكم المدني الأميركي، بول بريمر، عام 2005، وعليها إشكاليات كبيرة، وأفعالها غير دستورية وتشكيلتها غير دستورية، وبالتالي قراراتها غير دستورية». ويدعو إلى «وقف هذه القرارات، ثم وضع حدّاً لهذه المحكمة التي انسحب القاضي الكردي منها لأنه عجز عن التأثير في قراراتها، وخاصة ما يتعلّق بتعديل قانون الانتخابات البرلمانية للإقليم الصادر عام 1992، أي قبل ولادة هذا القضاء أصلاً». ويعتبر أن «المحكمة تعمل بالضد من إرادة إقليم كردستان، وهي أصدرت بحقّنا عقوبات وليس قرارات. وهي بالطبع منحازة إلى أحزاب في بغداد وتعمل لمصلحتها ووفقاً لرغباتها، فضلاً عن تداخلها مع الصلاحيات الدستورية للسلطات الأخرى».

أما المحلل السياسي، علي الغزي، فيرى أنّ «الحملة على المحكمة الاتحادية لها دلالات خطيرة على النظام العراقي، لأنّ الجميع يعوّل على استقلالية القضاء العراقي، فإذا صحّت أقوال النائب السابق (الجبوري) فهذه كارثة قد تجعلنا جميعاً على المحك». ويعتقد أنّ «هجمة الأحزاب الكردية غير مبررة، ومعلومة الأهداف، كونها رد فعل بعد قرارات الاتحادية في ما يخص الرواتب والنفط والانتخابات، وربما سنشهد دعاوى جديدة». ويعتبر أن «حملة التسقيط لا تقف وراءها فقط جهات داخلية، وإنما حتى خارجية لغرض تفتيت قوة القضاء الذي اعتقد أنه السلطة الوحيدة التي لم تتأثر بالسياسة، ولا زال الوتد الأقوى للحفاظ على هيبة الدستور وحماية السيادة العراقية».

الأكراد يتّهمون المحكمة الاتحادية بالانحياز إلى أحزاب بغداد (أ ف ب)

السودان

الجيش «يهندس» المرحلة المقبلة: الحكم بـ«قفازات» مدنية

الخرطوم ـ **مي علي**

يسعى قادة الجيش السوداني إلى إحكام قبضتهم على أمر البلاد في مرحلة ما بعد الحرب، وإبعاد القوى المدنية عن دائرة الحكم، وذلك عبر جعل السلطة في يد «المقاومة الشعبية» على المستوى القاعدي، علماً أن الأخيرة تعمل منذ تكوينها تحت مظلة القوات المسلحة. وفي السياق، وجّه مساعد القائد الأعلى للجيش، الفريق ياسر العطا، «المقاومة الشعبية» بانتخاب لجان من بينها، لتكوين برلمانات ولائية وقومية تتولى مهمّة اختيار رئيس الوزراء وولاة الولايات، ثم بعد ذلك «اجلسوا مع الرئيس ونائبه، وقولوا له هذا مرشحنا لرئاسة الوزراء، عيّنه لنا، وهؤلاء مرشحونا لقائمة الوزارة» كما قال، مضيفاً أن «البرهان الولائي يرشح وأياً يدفع به إلى الرئيس لاعتماده، وبعدها يعين الوالي حكومته بالمشورة مع البرهان الولائي». وتابع: «أليس هؤلاء مدنيين وأليست هذه انتخابات ديموقراطية؟ إذاً أين تكمن المشكلة؟». أيضاً، توجّه العطا في خطابه إلى «قوى الحرية والتغيير»، قائلاً إنه في حال رفض هؤلاء لمقترح الجيش، فإن الأمم المتحدة والاتحاد الأفريقي وكل الدول الخارجية «لن تجد لكم حلاً آخر»، مشيراً إلى أن «الحل لدى الشعب السوداني الذي اتخذ قراره وفوّض الجيش الذي يقوم بتنفيذ تعليماته»، بحسب تعبيره.

ويتضح من تصور الجيش لكيفية الحكم في المرحلة المقبلة، أن المؤسسة العسكرية احتفظت لنفسها بصلاحيات الحاكم، إذ يقصد العطا بكلمة «الرئيس» التي أوردها في خطابه، القائد الأعلى للجيش، عبد الفتاح البرهان. وفي السياق، يرى مراقبون أن تطبيق هذا التصور يعني «عودة نظام الإسلاميين مرة أخرى إلى السلطة، عبر بوابة المقاومة الشعبية التي تتكوّن غالبية عضويتها من شباب الإسلاميين الذين استنفرها منذ اندلاع الحرب، خلف القوات المسلحة للتصدي لقوات الدعم السريع»، علماً أن «قيادات إسلامية معروفة تشرف على معسكرات تدريب هؤلاء». ويلفت المحلل السياسي، حاج حمد، إلى أن قادة الجيش سارعوا إلى تطبيق التصور المذكور «على خلفية الأزمة التي يمرّون بها منذ انقلاب أكتوبر 2021 على الحكومة المدنية؛ إذ جرت العادة أن الانقلابات العسكرية تكون لديها حاضنة مدنية لتشكيل الحكومة»، مشيراً إلى أن «حالة الانقسام التي أحدثتها ثورة ديسمبر عملت على تشتيت الكتلة الإسلامية التي أصبحت موضع تهمة، وبالتالي لا يستطيع الجيش الاستفادة منها، بشكلها التقليدي، كحاضنة مرة أخرى». ويضيف حمد، في حديثه إلى «الأخبار»، أنه «في الوقت نفسه، ارتكب الدعم السريع أخطاء عندما حاصر المدن، كونه لم يدرك أن محاصرته هذه وانتهاكاته ستضعه في عزلة شعبية»، مستدركاً بأن «الأزمة الحقيقة تمثّلت في أن طرفي الصراع غير مؤهّلَيْن لعمل حاضنة مدنية».

والجدير ذكره، هنا، أن القوى المدنية في «الحرية والتغيير» هي الجناح السياسي لـ«الدعم السريع»، ولا سيما أن القوى المدنية لم تُدِن انتهاكات تلك القوات بشكل صريح طيلة فترة في ائتلاف «الحرية والتغيير» وجدت نفسها، منذ اندلاع الحرب، في موضع الاتهام لدى الشارع العام الذي بات يرى أنها المتسبب الرئيسي في الحرب عبر تمسكها بـ«الاتفاق الإطاري» الذي وقّعته مع العسكريين، وأورد بنوداً تشمل «إصلاح المؤسسة العسكرية». وفي المقابل، نجح الإسلاميون في تعبئة الشارع العام على قاعدة أن «الحرية والتغيير» هي الجناح السياسي لـ«الدعم السريع»، ولا سيما أن القوى المدنية لم تُدِن انتهاكات تلك القوات بشكل صريح طيلة فترة الحرب، بل تساوي دائماً بين ما ترتكبه الأخيرة في حق المدنيين، وما ترتكبه قوات الجيش، الأمر الذي أضعف دورها في إيقاف الحرب، رغم جهودها السياسية التي تحظى بالدعم الدولي والإقليمي. وفي هذا الإطار، يعزو حمد ضعف تأثير «الحرية والتغيير» إلى «حالة الانقسام العميق التي أصابتها بين قوى الثورة ممثّلة في لجان المقاومة والقوى السياسية التي ينظر إليها على أنها اختطفت الثورة». ويضيف أن «الجهات الدولية الراعية للأزمة في السودان تفاجأت من مستوى الصراع العسكري بين الطرفين، بحيث أصبحت لا تستطيع إعادتهما إلى طاولة التفاوض»، مشيراً إلى أنه «كان لا بد من وجود قوى مدنية، بعد اشتداد الأزمة ووصولها إلى مرحلة التعقيد، لكن هذا المقترح أيضاً واجهته حالة الانقسام العميق لدى الحرية والتغيير».

هكذا، يبدو أن العسكر يسعون إلى إنتاج السيناريو نفسه الذي أعقب الانقلاب على حكومة رئيس الوزراء عبد الله حمدوك، فيما خرجت أخيراً تسريبات تتحدّث عن تشكيل حكومة جديدة لإدارة الفترة الانتقالية التي تسبق قيام الانتخابات، يرأسها البرهان. وفي هذا السياق، استقبل الأخير، خلال الفترة الماضية، مجموعة من الكتل السياسية التي اعتادت العمل عند الطلب كظل للعسكريين، فيما «وجود العسكريين في السلطة دائماً يرتبط بوجود قوى سياسية مدنية انتهازية لديها دائماً الرغبة في السلطة»، حسبما يقول حمد.

وفي الوقت الذي يلهث فيه العسكريون خلف تثبيت دعائم حكمهم، تدخل الحرب شهرها الثاني عشر، ويدخل معها 25 مليون سوداني في دائرة الحاجة العاجلة إلى المساعدات الإنسانية، إذ يعاني 18 مليوناً من هؤلاء، من انعدام الأمن الغذائي الحاد، وفقاً لتقارير المنظمات الأممية التي تجد صعوبة في إيصال المساعدات، وخاصة في مناطق سيطرة «الدعم السريع». وفي هذا الإطار، أعلن حاكم إقليم دارفور رئيس «حركة تحرير السودان»، مني مناوي، عن توصله إلى اتفاق مع وكالات الأمم المتحدة ومنظمات دولية لفتح مسارات تمر عبرها المساعدات الإنسانية من بورتسودان إلى المتأثرين بالصراع في دارفور، وذلك مروراً بالولاية الشمالية منطقة الدبة، ومنها إلى مدينة الفاشر وبقية أنحاء الإقليم. وفي المقابل، أعلنت «الدعم السريع»، في بيان، أن الاتفاق المذكور «لا يعنيها»، مشيرة إلى أنها لن تسمح بأن يتم اتخاذ المساعدات الإنسانية ذريعة لإمداد ما سمّتها بـ«كتائب النظام السابق»، بالسلاح، وذلك عقب تلقّي «معلومات تفيد بمحاولات إدخال أسلحة وذخائر إلى مدينة الفاشر حاضرة شمال دارفور»، وفقاً للبيان.

دخلت الحرب شهرها الثاني عشر، ودخل معها 25 مليون سوداني في دائرة الحاجة العاجلة إلى المساعدات الإنسانية (أ ف ب)

> **يبدو أن العسكر يسعون إلى إنتاج السيناريو نفسه الذي أعقب الانقلاب على حكومة حمدوك**

استراحة

إعداد **نعوم مسعود**

كلمات متقاطعة 4557

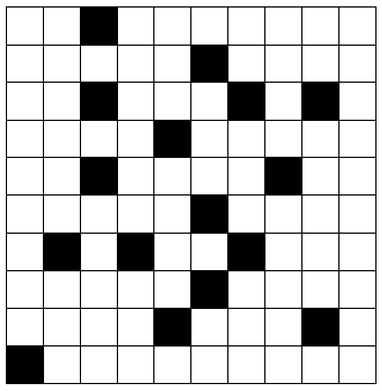

أفقيا

1- منطقة حكم ذاتي في اسبانيا تابعة للتاج البريطاني – بئر عميقة – 2- مجموعة جيوش مهزومة – مكاسب – 3- ماركة سيارات – متشابهان – 4- دولة عربية – أرض لا تُسقى بالعامية – 5- تهيّأ للحملة في الحرب – مغنية وممثلة مصرية – حرف عطف – 6- بقية الروح – نوع من الأقمشة – 7- طائر يشبه النسر – طعم الحنظل – 8- يُسفك الدم – شجر مثمر – 9- دولة عربية – الغبار الأسود في ساحة المعركة – 10- زعيم فلسطيني راحل

عمودياً

1- عاصمة ولاية ميزوري الأميركية – 2- للإستدراك – قاموس أميركي – 3- متحف فرنسي – يمس – 4- ندى – يحفر البئر – بيت فخم – 5- بقرة بالأجنبية – إله مصري – 6- حركة موسيقية غنائية جزائرية – وكالة أنباء أردنية – 7- فاكهة شبيهة بالخوخ صغيرة الحجم – تناول بسرعة – 8- مخترع البطارية الكهربائية – 9- خادمات – وحدة قياس القدرة الكهربائية – 10- إسم أطلقه جغرافيو العرب على بحر أرال

حلول الشبكة السابقة

أفقيا

1- بطيخ أصفر – 2- رودس – ميّز – 3- جلس – برغامو – 4- أو – جربندية – 5- لندن – ند – نا – 6- بندرية – 7- ليل – أية – رخ – 8- وج – إلا – بون – 9- كينا – سور – 10- شوال – بندق

عمودياً

1- برج الملوك – 2- طولون – بجيش – 3- يدسّ – دبل – نو – 4- خس – جنىّ – ١١١ – 5- بر – دال – 6- صير بني ياس – 7- غندرة – وبّ – 8- رماد – برن – 9- يمين – رو – 10- غزوة الخندق

sudoku 4557

6		1		8	5	2		7
2	8			4		1		
7					3			
				7	9	3	2	
	5		8					
9		7	4				8	
	2		3				7	
	6		1		7	9		
5				2				3

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أو عمودي.

حل الشبكة 4556

9	1	4	8	3	6	5	2	7
3	7	6	2	4	5	8	9	1
5	2	8	9	1	7	4	6	3
2	5	9	3	8	4	1	7	6
7	6	3	5	2	1	9	8	4
8	4	1	6	7	9	2	3	5
4	3	5	7	9	8	6	1	2
6	8	7	1	5	2	3	4	9
1	9	2	4	6	3	7	5	8

مشاهير 4557

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

ممثلة وكاتبة سيناريو ومخرجة أميركية. إشتركت في فيلم « العرّاب »

5+10+1+2+3 = شعر الخراف ■ 6+9+8 = كأس ماء ■ 11+7+4 = حروف العلة العربية

حل الشبكة الماضية: **سامي ابو زهري**

إعلانات رسمية

بطلان زواج

موسى زهير افرام – ميرنا علي حسين إنطلياس

إعلان قضائي

على الزوجة السيدة «ميرنا علي حسين» تقديم ما لديها من بيانات وشهود بمُهلة عشر أيام من تاريخ النشر قبل إعلان الأعمال.

زوق مصبح في 2024/3/21

المُسجل

الشماس جوزيف القاعي

الرئيس

الخوري انطونيوس جباره

إعلان

لأمانة السجل العقاري بالكورة

طلبت أنيسة رومانوس صابات بالوكالة عن يوسف انطونيوس بو سمعان ومنيرا انطونيوس بو سمعان سندين بدل ضائع للعقارين 77 و78 بلوزا.

للمُعترض 15 عشر يوماً للمُراجعة

أمين السجل العقاري

ندين الحصري

إعلان

لأمانة السجل العقاري في الكورة

طلب المُحامي حميد يوسف فرنجيه بوكالته عن تريز جبور بولس والبزابت الياس مفرج ولسن الياس مفرج سندات بدل عن ضائع لحصصهم في العقارين 1262 و1263 منطقة حامات العقارية.

للمُعترض 15 يوماً للمُراجعة

أمين السجل العقاري

نادين حصري

إعلان

لأمانة السجل العقاري في طرابلس

طلب سميح عبد المنعم فرحات بوكالته عن ريما عبد الرزاق فتال سند بدل ضائع للمقسمين 5 و1 من العقار 411 الحدادين، و2096 مقسم 2 بساتين طرابلس و2402 مقسم 14 بساتين طرابلس.

للمُعترض 15 يوماً للمُراجعة

أمين السجل العقاري

افلين موسى

إعلان

لأمانة السجل العقاري في طرابلس

طلب علي حسين ماما بالوكالة عن بنك سوسيتة جنرال في لبنان شهادة قيد بدل ضائع للعقار 5498 مقسم 7 بلوك B زيتون طرابلس.

للمُعترض 15 يوماً للمُراجعة

أمين السجل العقاري

افلين موسى

إعلان

لأمانة السجل العقاري في طرابلس

طلب حسن محمد أبو شاكر بالوكالة عن كمال كاظم قلاوون بصفته أحد ورثة ثمينة سعدالدين الأيوبي سند بدل ضائع للعقار 3670 مقسم 9 و4711 مقسم 15 زيتون طرابلس و1554 مقسم 20 بساتين طرابلس.

للمُعترض 15 يوماً للمُراجعة

أمين السجل العقاري

افلين موسى

إعلان

لأمانة السجل العقاري بالكورة

طلب المُحامي عبدالله الياس حنا بالوكالة عن كميل أديب الصباغ بصفته مالك سند بدل عن ضائع للعقار 2146 مقسم 9 بلوك B مجدليا.

للمُعترض 15 يوماً للمُراجعة

أمين السجل العقاري

نادين الحصري

إعلان

لأمانة السجل العقاري في الكورة

طلب خضر محمد الوهيبي بالوكالة عن علي أحمد هرموش سند بدل ضائع للعقار 1346 بتوراتيج.

للمُعترض 15 يوماً للمُراجعة

أمين السجل العقاري

افلين موسى

سلسلة الاقتصاد والسياسة [5]

البحث عن دبيّ

عامر محسن

> إن كنت تعيب على لبنان مثلاً إفلاسه وفشله، وهذا مفهوم، فمن الواجب أن نتذكّر أنّ دبيّ أيضاً قد أفلست، وهي قد سبقت لبنان إلى ذلك، بعقدٍ تقريباً، وبشكلٍ أكثر حدّةً وكارثيّة، وانقذها نفط أبو ظبي

علينا في البداية، حتّى نصوّب النقاش، أن نعترف بوضوح أنّ دبيّ قد نجحت خلال العقود الماضية، وبشكلٍ واضح، في تحقيق هدفٍ محدّد كانت تصبو إليه، يتمثّل في جعل المدينة مكاناً جاذباً لفئة معيّنة من النّاس، هي فئة الإداريين والمدراء التنفيذيين في الشركات العالميّة. وهذا أسهم في جعل دبيّ المقصد المفضّل لكلّ شركة دوليّة تريد افتتاح مركزٍ لها في الإقليم، لتصبح دبيّ «مرحباً» تخْتلط فيه مخْتلف الشركات الدوليّة، في مكانٍ واحد، مع نشاطات الأعمال والتمويل واللوجستيات. فلنعترف، بدايةً، بهذا الشيء ونعطه حقّ قدره، لا أكثر ولا أقل. أقول هذا لأنني بصراحة لا أحبّ المبالغة في خطاب الفوقيّة العكسية (reverse snobbism) الذي يتكرّر كلّما ذُكر اسم دبيّ في نقاش، أي سرديّة «مدن الملح»، وكيف أن دبيّ «مصطنعة» و«بلاستيكيّة»، بلا روح إلخ. سواء جاء هذا الكلام من بورجوازيّ يريد أن يوحي أنّه «عميق» وكوزموبولوتي حقّاً، لا ترضى أذواقه المعقّدة مدينةٌ فاقعة مثل دبيّ، أو صدر عن عربيّ، أنا مثلاً، هو ليس في الأساس ضمن الجمهور الذي تستهدفه المدينة المعولمة (أي إنّهم لا يريدوننا أصلاً ولم يدعوا لعندهم حتى ترفض الدعوة، وإن كانت تهمّك لهذه الدرجة أمورٌ مثل «الأصالة» والروح وعبق التاريخ فلتظلّ في الشام أو في صيدا ولا تبرحها).

للأمانة، ولفترةٍ طويلة في الألفينات، كانت دبيّ عبارة عن دعايةٍ ووعدٍ مستقبلي أكثر مما هي واقع معاش: مشاريع لا تزال على الورق، أزدحام خانق، ومعظم المدينة عبارة عن ورشة بناء مستمرّة. ولكن في مرحلة معيّنة، بعد عام 2011، أصبحت دبيّ «كلّاً» أكثر انسجاماً مع بعضه (it gelled). اكتملت أكثر البنى التحتيّة، قلّت المساحات الفارغة، وأصبحت هناك كتلة حرجة من الشركات والأعمال والموظفين تتمركز وتعيش في المدينة. وما يهمّ هذه الفئة «العالمية» من النّاس هي ليست الآثار والأزقّة التاريخية، بل أن تكون «قاعدتك» في مكانٍ يسهل الوصول إليه، ضرائبه قليلة، فيه مستوى مرتفع من الخدمات، معاملات سهلة وإلكترونية، وإمكانية أن تشتري ما تريد إن كنت مستعدّاً لدفع ثمنه - وهذا ما تقدّمه دبيّ.

هو شيءٌ يختلف عن مفهوم «الفخامة». والتّرف، ترجمته العربيّة قد تكون أقرب إلى فكرة «الدّعة» (convenience) أن تلبّى حاجاتك العملية بشكلٍ سهلٍ وسريع وميسّر بوضوح، وهذا في الأساس اختصاصٌ أميركي، سوف تلاحظ في أميركا أنّ غالبية أهلها - حتى الطبقات العليا، التي تعرف لغات وتسافر كثيراً - يصعب عليها العيش على المدى الطويل في أيّ مكانٍ آخر غير أميركا. ونحن لا نتكلّم هنا عن الانتقال من سان فرانسيسكو إلى لاهور، بل إلى باريس أو لندن والمدن الأوروبية التي يعشقونها. هذه المفارقة كانت تلفتني على الدّوام. هم قد يذهبون إلى أوروبا للزيارة أو لقضاء أشهر بحثيّة، ولكنك حين تطرح احتمال الحياة المديدة هناك، وهو يبدو لك بديهياً، يشرحون كيف أنهم يستصعبون الحياة في أيّ بلدٍ آخر. كان عند أسعد أبو خليل تفسيرٌ لهذه الظاهرة، مختصره أنّه إن كنت من الطبقة الوسطى فما فوق، فأميركا هي بلد «الدّعة» (convenience)، وهذه ميزتها الأساسية. كلّ شيءٍ متوافر وسهل، رأسمالية تعطيك بسرعةٍ ما تريده إن كنت تقدر على دفع ثمنه، كمّ البيروقراطية بسيط ومستوى خدمة الزبون مرتفع. ومن يعتاد على هذا النمط من الحياة السهلة يرى النظام في أيّ مكان آخر إرهاقاً ومشقّة. وهذا الامتياز كان أكثر وضوحاً قبل العولمة، في الثمانينيات مثلاً، حين كنت تطلب خطّاً هاتفياً في أميركا فتحصل عليه في اليوم نفسه أو اليوم التالي، فيما تستغرق العملية في أوروبا أشهراً، وفي دول العالم الثالث مثل لبنان وسوريا كنت تحتاج إلى أن تعرف الشيطان لكي تحظى برقم هاتفيّ.

جبلي، في المناسبة، قد رافق دبيّ منذ بدايةِ «صعودها» كعقدة من عقد العولمة ورموزها. منذ التسعينيات حتّى، حين كان زبائنها الأساسيون هم السياح الروس بتعبيرٍ آخر: حتّى لو افترضنا أن دبيّ هي فقط دبيّ التي يعرفها خرّيجو الجامعات الخاصّة من اللبنانيين، وتناسينا 80% من سكانها المعدمين؛ ولو تناسينا أيضاً كامل السياق الجيوسياسي الذي خلق دبيّ وخزّب ما حولها، والنفط ومئات الملايين من المستفيدين والضحايا. لو تناسينا هذا كلّه وأردنا أن «نصبح دبيّ» ونستوحي منها ونقلّد، فهذا اقتراحٌ جميلٌ ومقبول، ولكن بشرطٍ واحدٍ ضروريّ، هو أن تأتي معها أبو ظبي.

تتكلمون عن الهدر في لبنان، هل زرتم دبيّ؟

جميع النّاس قد سمعوا بجزيرة «النخلة»، المشروع العقاري مقابل شاطئ جميرا، ولكنّ أهل دبيّ يعرفون أنّك على بعد دقائق منها سوف تجد «نخلة» ثانية مقابل جبل علي، أكبر من «نخلة جميرا» بكثير، وقد تمّت غالبية أعمال الردم فيها والإنشاءات، وكلّفت مليارات الدولارات، ولكنّها ظلّت عارية من البناء مهملة منذ عام 2009 لأنّ التمويل توقّف والسّوق انكمش. ولو ذهبت في الاتجاه المعاكس سوف تلاقيك أيضاً بقايا نخلة «ديرة»، وهي أكبر من الاثنتين، وهي أيضاً متروكة منذ عقدٍ ونصفٍ بأكلها البحر. أمّا لو أخذت القارب قليلاً في البحر مقابل دبيّ، فستكتشف عشرات الجزر الاصطناعية التي أقيمت في المرحلة ذاتها في عمق البحر، بملايين الأطنان من الرمول والأتربة، ولم يتمّ بيعها أو البناء عليها. أنت لم تقم بتشويه ساحلك فحسب، بل فعلت ذلك بلا سبب أو عائد. استمتع بجبالك الجديدة في دبيّ، يا عزيزي، ولكن لا تتكلّمني - وأنت تداعب ثمرك الأليف - عن الفساد والهدر، بل كلّمني عن الحظّ والمصادفة التاريخية، وعن انعدام العدالة في الدنيا. الجزر الاصطناعية المهجورة، بالمناسبة، تمّ توزيعها على شكل خارطة العالم، وهذه كانت فكرتها المعماريّة -التسويقيّة، لأنّه يبدو وكأنّ خلف كلّ تلك المشاريع يوماً معماريّ واحد طفل. حتّى يكتمل الكيتش، كان من المفترض أن تتميّز «نخلة جبل علي» بشاليهات توضع في المياه بين «سعف» النخلة، وأن تشكّل هذه الشاليهات مجتمعة، إن رأيتها من السماء، قصيدة عربيّة. وماذا اختاروا هنا، من هذا انتهى، السوق والدولة والمصارف قد سقطوا جميعاً. هنا تظهر فجاة الأخت الكبرى، إمارة أبو ظبي النفطية، وتنقذ دبيّ عبر ضخّ عشرات المليارات من الدولارات (تمّ وقتها تغيير اسم البرج الشهير في المدينة، قبيل افتتاحه، من «برج دبي» إلى «برج خليفة»). وحين استحقّت أقساط جديدة بعدها بسنوات قامت أبو ظبي مجدّداً بتغطيتها. ودبيّ تحصل أصلاً على التمويل الذي تريده، وبفوائد منخفضة، لأنّ المصارف تعرف أنّ هذه القروض مضمونة - بشكلٍ أو بآخر - بالدخل النفطي للإمارات. (الكوكب - العاصمة الذي لا ترى بقعةً من أرضه بسبب كثافة البناء عليه وارتفاعه). يومها، كان هناك مشروعٌ هائل لتطوير منطقة ساحلية كبيرة لا تزال فارغة في جبل علي، تقريباً على الحدود مع أبو ظبي. رسا التصميم يومها على المعماري الهولندي رم كوولهاس، وكان المشروع الفائز مثيراً: المساحة بأكملها سوف تملؤها أبنية ضخمة لا شكل وتصميم لها، بل مجرّد أشكال هندسية بدائية، مكعّب، مستطيل، دائرة، وهكذا. ابحثوا عن المخطط، لا بدّ أنكم ستجدونه في مكان ما على الإنترنت. وكان تعليل كوولهاس لرؤيته هو أنّه، في المدن «بعد الحداثية» المعولمة مثل دبيّ، أصبح كلّ مبنىً يحاول التميّز والتفرّد عن غيره عبر التصميم الغرائبي و«الجديد»، ما يجعل ناطحات السحاب هذه تبدو في نهاية الأمر متشابهة في سعيها إلى أن يكون كلّ منها مختلف. من هنا، كتب كوولهاس في تقديم المشروع، يصبح التصميم الثوري هو ذاك الذي لا يحاول أن يتبع هذه النزعة، بل يذهب بشكلٍ جذريّ ضدّها، وتكون الأشكال الصمّاء هذه بمثابة تعليق على خواء ما بعد الحداثة ومشروعها. حتّى تفهموا السياق والخلفية هنا: من المعروف عن كوولهاس أنّه كثيراً ما «يلعب» مع زبائنه، أو يسخر منهم حتّى. بمعنى: «أنتم ممثّلو مدينة طرفية هامشية، بلباو أو أستانة في كازخستان، وتريدون استخدام معماريّ عالميّ لكي تضعوا أنفسكم على الخارطة؟ حسنٌ، ساعطيكم مبنىً يوافق مفهومكم عن آخر صرخة في العمارة الدولية، وسيكون شكلاً غريباً، غير مفهوم، وربما ليس خلفه معنى. ولكنك سوف تفخر به وتتأقلم بإعجاب وترى فيه أموراً أنا نفسي لم أرها» (مكتبة سيائل العامة مثالاً، أو مبنى «الضدغة» على نهر امستل في أمستردام، الذي لا يشبه الضدغ، بل يماثل تماماً حاوية قمامة كبيرة). ولو أنّ المشاريع يومها معماريّ واحد طفل. حتّى يكتمل الكيتش، كان من المفترض أن تتميّز «نخلة جبل علي» بشاليهات توضع في المياه بين «سعف» النخلة، وأن تشكّل هذه الشاليهات مجتمعة، إن رأيتها من السماء، قصيدة عربيّة. وماذا اختاروا هنا، من هذا انتهى، السوق والدولة والمصارف قد سقطوا جميعاً. هنا تظهر فجاة الأخت الكبرى، إمارة أبو ظبي النفطية، وتنقذ دبيّ عبر ضخّ عشرات المليارات من الدولارات (تمّ وقتها تغيير اسم البرج الشهير في المدينة، قبيل افتتاحه، من «برج دبي» إلى «برج خليفة»). وحين استحقّت أقساط جديدة بعدها بسنوات قامت أبو ظبي مجدّداً بتغطيتها. ودبيّ تحصل أصلاً على التمويل الذي تريده، وبفوائد منخفضة، لأنّ المصارف تعرف أنّ هذه القروض مضمونة - بشكلٍ أو بآخر - بالدخل النفطي للإمارات. (الكوكب - العاصمة الذي لا ترى بقعةً من أرضه بسبب كثافة البناء عليه وارتفاعه). يومها، كان هناك مشروعٌ هائل لتطوير منطقة ساحلية كبيرة لا تزال فارغة في جبل علي، تقريباً على الحدود مع أبو ظبي. رسا التصميم يومها على المعماري الهولندي رم كوولهاس، وكان المشروع الفائز مثيراً: المساحة بأكملها سوف تملؤها أبنية ضخمة لا شكل وتصميم لها، بل مجرّد أشكال هندسية بدائية، مكعّب، مستطيل، دائرة، وهكذا. ابحثوا عن المخطط، لا بدّ أنكم ستجدونه في مكان ما على الإنترنت. وكان تعليل كوولهاس لرؤيته هو أنّه، في المدن «بعد الحداثية» المعولمة مثل دبيّ، أصبح كلّ مبنىً يحاول التميّز والتفرّد عن غيره عبر التصميم الغرائبي و«الجديد»، ما يجعل ناطحات السحاب هذه تبدو في نهاية الأمر متشابهة في سعيها إلى أن يكون كلّ منها مختلف. من هنا، كتب كوولهاس في تقديم المشروع، يصبح التصميم الثوري هو ذاك الذي لا يحاول أن يتبع هذه النزعة، بل يذهب بشكلٍ جذريّ ضدّها، وتكون الأشكال الصمّاء هذه بمثابة تعليق على خواء ما بعد الحداثة ومشروعها. حتّى تفهموا السياق والخلفية هنا: من المعروف عن كوولهاس أنّه كثيراً ما «يلعب» مع زبائنه، أو يسخر منهم حتّى. بمعنى: «أنتم ممثّلو مدينة طرفية هامشية، بلباو أو أستانة في كازخستان، وتريدون استخدام معماريّ عالميّ لكي تضعوا أنفسكم على الخارطة؟ حسنٌ، ساعطيكم مبنىً يوافق مفهومكم عن آخر صرخة في العمارة الدولية، وسيكون شكلاً غريباً، غير مفهوم، وربما ليس خلفه معنى. ولكنك سوف تفخر به وتتأقلم بإعجاب وترى فيه أموراً أنا نفسي لم أرها» (مكتبة سيائل العامة مثالاً، أو مبنى «الضدغة» على نهر امستل في أمستردام، الذي لا يشبه الضدغ، بل يماثل تماماً حاوية قمامة كبيرة). ولو أنّ المشاريع يومها معماريّ واحد طفل. حتّى يكتمل الكيتش، كان من المفترض أن تتميّز «نخلة جبل علي» بشاليهات توضع في المياه بين «سعف» النخلة، وأن تشكّل هذه الشاليهات مجتمعة، إن رأيتها من السماء، قصيدة عربيّة. وماذا اختاروا هنا، من هذا انتهى، السوق والدولة والمصارف قد سقطوا جميعاً. هنا تظهر فجاة الأخت الكبرى، إمارة أبو ظبي النفطية، وتنقذ دبيّ عبر ضخّ عشرات المليارات من الدولارات (تمّ وقتها تغيير اسم البرج الشهير في المدينة، قبيل افتتاحه، من «برج دبي» إلى «برج خليفة»). وحين استحقّت أقساط جديدة بعدها بسنوات قامت أبو ظبي مجدّداً بتغطيتها. ودبيّ تحصل أصلاً على التمويل الذي تريده، وبفوائد منخفضة، لأنّ المصارف تعرف أنّ هذه القروض مضمونة - بشكلٍ أو بآخر - بالدخل النفطي للإمارات. (الكوكب - العاصمة الذي لا ترى بقعةً من أرضه بسبب كثافة البناء عليه وارتفاعه). يومها، كان هناك مشروعٌ هائل لتطوير منطقة ساحلية كبيرة لا تزال فارغة في جبل علي، تقريباً على الحدود مع أبو ظبي. رسا التصميم يومها على المعماري الهولندي رم كوولهاس، وكان المشروع الفائز مثيراً: المساحة بأكملها سوف تملؤها أبنية ضخمة لا شكل وتصميم لها، بل مجرّد أشكال هندسية بدائية، مكعّب، مستطيل، دائرة، وهكذا. ابحثوا عن المخطط، لا بدّ أنكم ستجدونه في مكان ما على الإنترنت. وكان تعليل كوولهاس لرؤيته هو أنّه، في المدن «بعد الحداثية» المعولمة مثل دبيّ، أصبح كلّ مبنىً يحاول التميّز والتفرّد عن غيره عبر التصميم الغرائبي و«الجديد»، ما يجعل ناطحات السحاب هذه تبدو في نهاية الأمر متشابهة في سعيها إلى أن يكون كلّ منها مختلف. من هنا، كتب كوولهاس في تقديم المشروع، يصبح التصميم الثوري هو ذاك الذي لا يحاول أن يتبع هذه النزعة، بل يذهب بشكلٍ جذريّ ضدّها، وتكون الأشكال الصمّاء هذه بمثابة تعليق على خواء ما بعد الحداثة ومشروعها. حتّى تفهموا السياق والخلفية هنا: من المعروف عن كوولهاس أنّه كثيراً ما «يلعب» مع زبائنه، أو يسخر منهم حتّى. بمعنى: «أنتم ممثّلو مدينة طرفية هامشية، بلباو أو أستانة في كازخستان، وتريدون استخدام معماريّ عالميّ لكي تضعوا أنفسكم على الخارطة؟ حسنٌ، ساعطيكم مبنىً يوافق مفهومكم عن آخر صرخة في العمارة الدولية، وسيكون شكلاً غريباً، غير مفهوم، وربما ليس خلفه معنى. ولكنك سوف تفخر به وتتأقلم بإعجاب وترى فيه أموراً أنا نفسي لم أرها» (مكتبة سيائل العامة مثالاً، أو مبنى «الضدغة» على نهر امستل في أمستردام، الذي لا يشبه الضدغ،

اقتصاد الخدمة والانتهازي

لنا صديقٌ يعرف دبيّ والإمارات قبل مرحلتها «المعولمة»، فهو تربّى في أبو ظبي في الثمانينيات، في وقتٍ كان فيه الأولاد من مختلف الجاليات العربية يدرسون مع الأولاد الإماراتيين في المدارس ذاتها. التعبير الذي يستخدمه هو أنّ أبو ظبي يومها كان لها «شخصية عربية». أكثر الجاليات عربية وتخالط، في المدينة العديد من المراكز الثقافية والمكتبات التي تقدّم ثقافة عربية يمكن أن يستفيد منها الأحداث مجّاناً. حتى السوق الرئيسية في العاصمة كانت من تصميم معماريّ عراقيّ، وفقاً لمفاهيم تستوحي من التراث (تمّ هدم السوق في السنوات الماضية واستبدالها بمجمّع مع ناطحات سحاب هائلة لا يمكن أن تعرف، إن نظرت إليها وحدها، إن كانت في دبيّ أو سنغافورة أو شنغهاي). الشاطئ خارج أبو ظبي، الذي أصبح محجوزاً لفنادق ضخمة وقصور الحكّام، كان لا يزال على حاله الطبيعية، مكاناً نائياً تذهب إليه العائلات للتنزّه في العطلات. الهدف هنا هو ليس العزف على النوستالجيا، بل أن نوضح كيف أنّ كلّ نمط إنتاج يفرز ثقافته وشخصيته.

لا حاجة إلى أن تكون خبيراً اقتصادياً لكي تفهم حدود الاستثمار في العقار وما يجاوره من أنشطة. بعد حدٍّ معيّن، يصبح توسّع سوق العقارات أفقياً أو عامودياً، عبر البناء الجديد أو ارتفاع قيمة الملكية العقارية نفسها، محدوداً بتوسّع الطلب، أي عدد السكّان، ومستوى مدخولهم. وحين يسبق السوق الطلب أو تصبح أسعار العقارات أعلى من قدرة الناس على شرائها تحصل الفقاعة ويأتي بعدها الانهيار أو التصحيح. الأمر ذاته ينطبق على رهان «العولمة» ونموذج دبي واجتذاب الشركات الكبرى وموظفيها. اسأل من يعمل في دبيّ في وظائف تنفيذية هناك، كلّهم تقريباً يقومون بالعمل ذاته: تسويق منتجات الشركات الدوليّة في الإقليم. لا أحد فيهم يجري أبحاثاً أو يخترع شيئاً أو ينتج قيمة مضافة، وهذه هي النشاطات التي تولّد الوظائف وترفع من دخلك باستمرار. إضافة إلى ذلك، فإنّ هذا «الدور» من الممكن بسهولةٍ أن ينقسم على أكثر من مكان، كما حصل مع شركات الطيران الإماراتية ومع المرافئ، فلا سبب لأن تستلم مدينة واحدة كلّ هذه الأنشطة إلّا إن كان كلّ ما حولها خراباً أو مهملاً. تحاول السعودية اليوم أن «تجبر» الشركات الدولية على توطين مقرّاتها في الرياض بدلاً من دبيّ (تريدون أن تبيعوا في السّوق السعودية؟ إذاً اجعلوا مقرّكم عندنا) وليس عند منافسينا). وكلّ بلدٍ عربيٍّ طامح، من طنجة إلى بغداد، يحاول أن يستنسخ دبيّ أو نواح منها. وفي الحقيقة، فإنّ بلداً كمصر يمكن، بهذه المعايير، أن يصبح بسهولةٍ تنافسياً مع دبيّ ويأخذ من سوقها. حين تقوم مصر بإعادة تشكيل اقتصادها بأكمله ليصبح جاذباً للاستثمار، وتبني مدناً كاملة لهذه الفئات فيها خدمات واتصالات وترفيه على مستوى دولي. ومع تسهيل المعاملات البيروقراطيّة، تصبح «المدن الجديدة» في مصر بديلاً مناسباً ورخيصاً عن دبيّ، وهي في وسط أكبر سوقٍ في الشرق الأوسط. الفكرة هي أنّ هذا النمط من التنمية يتمّ استهلاكه بسرعةٍ نسبياً، وهو في ذاته يستدعي كلّ أشكال التنافس والاستنساخ.

ما نريد الوصول إليه هو أنّ التشابه بين مشاريع هذا الرئيس وذاك هو ليس فقط نتيجة انبهار بأبنية دبيّ وتقليد أعمى، ولا هو بسبب «فقر فكريّ» يجعلهم لا يفهمون المعنى الحقيقيّ للتنمية. بسبب الدّور الذي تلعبه دول مثل السعودية ومصر في النظام الدولي، وطريقة اندماجها في السوق العالمية، فإنّ البدائل التنموية تصبح مستحيلةً من الأساس. كما شرحنا في السّابق، حين تكون عملتك حرّة لا تتحكّم فيها، وقدرتك على التأثير في الاستيراد والاستهلاك معدومة، لا يعود في وسعك أصلاً أن تنفّذ «سياسة صناعية» على طريقة ألمانيا أو الصين (وقبلها كوريا واليابان وتايوان)، وكلّ بلدٍ عبر بنجاح إلى العصر الصناعي في القرن الأخير). لا يُعود في حوزتك من أدوات هنا سوى المصرف المركزي. وفي دولٍ نفطية تربط عملتها بالدولار، كالسعودية وأكثر دول الخليج، يصبح دور المصرف المركزي ذاته نافلاً إلى حدّ بعيد، فقيمة عملتك ومعدّل الفائدة لا تقرّره أنت، بل هي ترتبط بقيمة الدولار وسياسات المصرف الفيدرالي. هنا، تصبح حزمة «نموذج دبي» هي الشكل الوحيد المتاح المتبقّي: عقارات وفنادق وتمويل - الثلاثي الشهير لنشاط رأس المال الدولي في الدول الطرفية: التمويل والتامين والعقارات (FIRE). ويصبح الهدف الوحيد للسياسات الاقتصادية والإصلاح هو أن تجعل بلدك «مناسباً» لرأس المال الدّولي وممثّليه، كي يشتروا سنداتك وينشطوا سياحتك ويقيموا مقرّاتهم لديك (كم نسمع اليوم، في مصر وغيرها، امتشاق تعبير «هذا ينفّر المستثمر الأجنبي» - كورقة الجوكر - إن أراد أحدهم التبخيس في سياسةٍ ما وانتقادها).

الأسوأ هو أنّ هذا النمط الاقتصادي له كلفةٌ سياسيّة هائلة، إذ هو يقوم، مثلاً، على الاندماج بالسوق العالمية، فلا مجال لأن تغضب القوى الدولية الكبرى أو تخالفها في شيء؛ بل أنت تتنافس مع غيرك على اكتساب حظوتها وأن تصبح أنت البلد المفضّل عندها في الإقليم، وأيّ اختلافٍ جدّي معها، وإن كان في مسألة وجوديّة تخصّك، يجعلك بسرعةٍ «غير قابل للاستثمار». اقتصاد السياحة والبزنس بالغ الهشاشة ولا يحتمل القلاقل والحروب، عليك إذاً أن تنسى أموراً مثل مواجهة الاحتلال أو المقاومة أو إغضاب إسرائيل، وهذه ستصبح بسرعةٍ - في منطقتك - أفكاراً انتحاريّة يعتنقها المهاويس. وفي منطقة حرب واحتلال وصراع، فإنّ الفكرة هنا بأكملها تقوم على أن «تتذاكى» وتنجو بنفسك على حساب الآخرين (وفكرة «الواحة» هذه، وأنك قد أنقذت نفسك من قدر جيرانك التعس، تجدها مركزية في خطاب الموالين لأنظمة «الاعتدال»). بتعابيرٍ أخرى، فإنّ هذه الطريق تجعلك، بشكلٍ تلقائي وعقلاني، «حقيراً سياسياً». وعلينا في السياسة أن نتذكّر دوماً أنّ الفارق بينك وبين من يخالفك هو ليس أخلاقياً، أشراراً وأبطال، ولا سببه أنّ هناك جهلة يحتاجون إلى تنوير لكي يروا ما تراه ويتغيّروا. الاختلاف السياسي بين الناس هو أوّلاً اختلاف المصالح والمواقع بينهم، داخل مجتمعهم وعلى مستوى العالم، ولهذا السبب لا يمكن لكلّ الكلام والأيديولوجيا والمبادئ أن تغيّر ما في النّاس إن لم يتغيّر واقعهم المادي.

قوة عظمى للعدوان والهيمنة

سعد الله مزرعاني *

تتكثّف وتتضاعف وتتنوّع محاولات الخداع والتضليل الأميركية لتدارك أمور عدّة: الأول، استمرار العجز الإسرائيلي عن تحقيق أيّ إنجاز لمصلحة حكومة اليمين الفاشي العنصري بقيادة نتنياهو. هذه الحكومة تصرّ على اجتياح رفح وسط حصار ودمار وتجويع وتشريد، مع ما سيرافق ذلك، بالضرورة، من ارتكاب المزيد من المجازر والضحايا في صفوف 1,4 مليون فلسطيني يتشرّدون، ويتكدّسون، ويتضوّرون، في ما وصفه أحد مسؤولي الأمم المتحدة بأنه «المعاناة الأسوأ في التاريخ الحديث». الثاني، افتضاح الموقف الأميركي كشريك في حرب الإبادة التي باتت، تحت أنظار العالم، شهادة إدانة أخلاقية وقيمية وسياسية وإنسانية لكل من تل أبيب وواشنطن، التي اعترف رئيسها بأن 90% من تدهور سمعتها في العالم، يعود إلى تأييدها للحرب الصهيونية على غزة. ثالثاً، ألحق الانحياز الأميركي إلى الكيان الصهيوني، إلى حدود الشراكة الكاملة في عدوانه: تبريراً، ودعماً شاملاً، ورعاية متواصلة... أضراراً فادحة بدور واشنطن «كوسيط» في النزاع الحالي، ما يحتاج إلى ترميم وتوقف ومراجعة بسبب أضرار ذلك على نفوذها في منطقة حيوية مهمة كالشرق الأوسط تزداد الصراعات فيها وعليها، بشكل متصاعد. رابعاً، السعي إلى إنقاذ إسرائيل من جموح ورعونة وعنصرية وهمجية حكومتها التي تزجها، بسبب مصالح شخصية، أيضاً، في أزمات تعزلها، وتتعارض مع دورها ووظيفتها في المنطقة، ما يضعف واشنطن ويصعّب مهمتها في استمرار الهيمنة والتفرّد. خامساً، منع إلحاق هزيمة بإسرائيل حكومةً وجيشاً ومستوطنين ومشروعاً، لأن هزيمة إسرائيل، كما حذّر الجرم نتنياهو بحق، هي هزيمة لأميركا وللغرب عموماً، فيما هو يطالب بالمزيد من الدعم، أي بارتكاب المزيد من المجازر كسبيل وحيد لتحقيق «أهداف الحرب»، كما يكرّر دائماً.

وسط إرباك وتعقيدات، وفي ظروف معركة داخلية ضارية بين الرئيس الحالي والرئيس السابق، تتحرك الإدارة الأميركية، حالياً، للتوفيق بين عدّة متناقضات: 1) ضرورة إقرار هدنة إنسانية لتخفيف خسائر واشنطن الأخلاقية، ولعدم تحميلها المزيد من المسؤوليات عن جرائم التدمير والقتل والتجويع والإبادة بشكل عام. 2) ضرورة كسب الوقت لمنع إدانة حكومة الكيان الصهيوني، ولتمكينها من تحقيق إنجاز ما، يصبح، أكثر فأكثر، صعباً ومشروطاً بارتكاب مجزرة بشرية لا مثيل لها ضد المدنيين في رفح. 3) محاولة صيانة تحالفات أميركا في المنطقة، وخصوصاً مع المطبّعين القدماء والجدد، بما لا يلحق أضراراً مباشرة أو مؤجّلة بأنظمة حكمهم وبنفوذ واشنطن عموماً في المنطقة. لهذا الغرض، استدعت الحكومة الأميركية وفداً إسرائيلياً للحضور إلى واشنطن، من أجل التداول في السبل الممكنة لـ«تدمير حماس» والمقاومة في غزة، من دون ارتكاب مجزرة هائلة ضد المدنيين. ولإنضاج شروط ذلك، حضر أيضاً الوزير بلينكن، تواكبه الضغوط والإغراءات (لمصر خصوصاً) لتعبئة الحلفاء: في مصر والسعودية والإمارات والأردن، ودائماً «بوساطة قطر وبالشراكة معها»، وبحضور السلطة الفلسطينية في نطاق اجتماع «السداسية». يمكن تحديد هدفي واشنطن الراهنين بأمرين: الأول، «شطب حماس» والمقاومة عموماً، من مرحلة «اليوم التالي» في غزة. الهدف الثاني، وتحت عنوان «حل الدولتين» المخادع، إقامة سلطة فلسطينية مدجّنة بالكامل، في الضفة والقطاع، تلبي الشروط الأمنية للكيان الصهيوني، وتعمل تحت وصاية الأميركيين وحلفائهم.

> تحولت واشنطن إلى قوة عدوانية أولى كبرى في العالم

منذ نهاية الحرب العالمية الثانية التي أرادتها واشنطن نهاية لحرب «ساخنة» وبداية لحروب «باردة» ومتنوعة مفتوحة، حرصت على أن تكون القوة الأعظم في العالم، إذا لم تكن القوة العظمى الوحيدة. دفعت أقل التكاليف في الحرب العالمية الثانية، وحصدت أكبر الأثمان. دشنت مسار جبروتها ومشروع هيمنتها الإمبريالية الكونية بـ«عصا» قنبلتي ناكازاكي وهيروشيما في اليابان المستسلمة، و«جزرة» مشروع مارشال في ألمانيا وأوروبا. نال الشرق الأوسط حصة كبيرة من اهتمام واشنطن. من مشروع آيزنهاور في خمسينيات القرن الماضي، إلى «صفقة القرن»، آخرة مشاريع «الشرق الأوسط الكبير» الترامبي، ترعى واشنطن وتبرر وتغذي كل مغامرات إسرائيل العسكرية، بوصفها رأس حربة لمشروع الهيمنة الأميركية في المنطقة ذات الثروات الهائلة والموقع الجيو-إستراتيجي المهم بين قارات العالم القديم.

بعد انهيار الاتحاد السوفياتي في مطلع تسعينيات القرن الماضي، تخطّت واشنطن عقدها في فيتنام، وانطلقت إلى احتلال أفغانستان والعراق ضمن عقيدة «الحروب الاستباقية»، وبواسطة «قوة أميركا غير القابلة للتحدي»، والموضوعة في خدمة مصالحها كقوة استعمارية إمبريالية، تحاول أيضاً، وبواسطة العنف والأساطيل والقواعد العسكرية والديكتاتوريات العميلة والانقلابات العسكرية والثورات الملونة، فرض «نمط الحياة الأميركي» على العالم. وهي بذلك استأنفت تاريخاً تأسيسياً قام على إبادة السكان الأصليين في الولايات المتحدة نفسها. بهذا المعنى، قتل أبيب هي تلميذ نجيب لواشنطن، وقبلها للندن، كمشروع استيطاني احتلالي عدواني يشمل فلسطين وكل «إسرائيل الكبرى» «من الفرات إلى النيل». ولم يتردّد نتنياهو، في مجرى تبايناته مع الأميركيين، بتذكيرهم بما فعلوه مع الهنود الحمر في بلدهم، وباستخدامهم للقنبلة الذرية ضد مدن يابانية، للمرة الأولى في التاريخ.

وفقاً لما تقدم وسواه، تحولت واشنطن إلى قوة عدوانية أولى كبرى في العالم: حاضرة في كل أزماته (تصنعها أو تغذيها أو تستغلها)، وخصوصاً في الشرق الأوسط، وفي فلسطين. هذا الاستنتاج سيكتسب أهمية كبرى عندما تجري ترجمته في مشاريع وخطط تحررية تجتمع فيها عدّة عناوين أساسية: تحرير الأرض، حق الشعوب في تقرير مصيرها، الدفاع عن السيادة الوطنية، تحرير الثروات الوطنية، إزالة أدوات السيطرة العسكرية والأمنية الأجنبية، من قواعد وأساطيل وعلاقات ومعاهدات تنتقص من السيادة والحقوق والحريات... تتصل بذلك مواجهة السلطات والأنظمة التابعة لواشنطن، والتي تشكل مرتكزات نفوذها وهيمنتها، وأيضاً إدارة نشاط سياسي وإعلامي شامل ضد مزاعم واشنطن في ما يتعلق بحقوق الإنسان والمساواة والديموقراطية، والتي وقعت في شركها قوى يسارية نظرت لدور إيجابي لدول المتروبول الاستعمارية في إسقاط بعض الديكتاتوريات كما حصل في العراق. إنّ النظام الرأسمالي الأميركي الذي بلغ «أعلى مراحله» يرتدّ، أمام جدية المنافسة من قبل تشكيلات حديثة، نحو صيغ وممارسات عنصرية وعنفية انكفائية، على غرار ظاهرة الترامبية ومثيلاتها في بعض الرأسماليات الأوروبية العريقة.

في لبنان، تتمتع واشنطن بنفوذ كبير ومهيمن: على مستوى السلطة، وفي الحقول الاقتصادية والمالية والعسكرية والأمنية والسياسية، ما يجعل سلطات هذا البلد، رغم أزماته القاتلة، عاجزة عن التحرك سنتيمتراً واحداً خارج الهيمنة الأميركية. ذلك يتطلّب صياغة برامج تنطلق من هذا الواقع. وهي برامج ستستند، بالضرورة، إلى قاعدتها الاجتماعية اللبنانية الطبيعية، وتكون جزءاً من تيار تحرّري واسع على المستويات المحلية والإقليمية والدولية.

* كاتب وسياسي لبناني

قضية

«نداء الوطن» تطلق نداء استغاثة مالية!

مرّة جديدة تظهر علامات الإعياء على الصحافة المكتوبة في لبنان. وبعد فشل جريدة «الاتحاد» التي أطلقها الراحل مصطفى ناصر على خلفية احتلال الموقع الذي شغر بإقفال جريدة «السفير»، تتعرّض صحيفة «نداء الوطن» التي أطلقت لمواجهة «إعلام الممانعة» على ما يقول أحد مؤسّسيها، لأزمة مالية قد تعرّضها للخطر، ما لم تتدارك المؤسسة أو الجهات السياسية الراعية لها الأزمة في وقت سريع. العاملون في المؤسسة لا يزالون يتقاضون رواتبهم (كاملة بالدولار الفريش) لكنهم باتوا على قلق من احتمال تعرّض المؤسسة لخطر، قد يؤدي إلى تقليص فريقها أو حتى أكثر من ذلك. علماً أن المحاولات جارية من قبل إدارتها لإيجاد شركاء جدد يعالجون أزمة التمويل.

«نداء الوطن» كانت ظهرت إلى الجمهور في عام 1992، بعدما تولّى تمويلها رجل الأعمال هنري صفير، وكانت ضمن مشروع إعلامي – سياسي أعدّه المرشح الدائم للانتخابات الرئاسية والنيابية. وبعدما واجه صفير مشكلات مالية على إثر تعثّر مصرف «ادكوم» الذي كان يملك الحصة الكبرى من أسهمه (يُشهد للرجل أنه تحمّل مسؤولية التعثر الذي أصاب المصرف وبادر إلى تغطية الخسائر من ماله الخاص وليس كما يتهرب أصحاب المصارف الحالية من مسؤوليتهم هذه الآن)، وقرّر صفير وقف إصدار «نداء الوطن» في عام 2000، وباع امتيازها لرئيس الحكومة نجيب ميقاتي الذي عاد وباعه للمدير العام لـ«شركة مكتف للصيرفة» ميشال مكتّف الذي إختار العمل السياسي مع حزب «القوات اللبنانية» وقرّر بالتعاون معها إصدار «نداء الوطن».

في الأول من تموز 2019، صدر العدد الأول من النسخة الجديدة من الجريدة. وأوضح رئيس تحريرها الزميل بشارة شربل أنها «ذات هدف سياسي واضح وهو قضية سيادة لبنان، بما يعنيه ذلك من قيام دولة مكتملة، لا سلاح غير شرعي فيها ولا مناطق مقفلة ولا هيمنة سواء داخلية أو خارجية».

وكان واضحاً منذ اليوم الأول، أن الجريدة أريد لها أن تعيد الحياة إلى المناخ السياسي لقوى 14 آذار. وقد تمّ تشكيل فريق من الصحافيين الذين يدورون في هذا الفلك، مع حرص على بعض التنوع من خلال إضافة أقلام تعكس رأي الفريق الآخر، بمن في ذلك من لديهم حساسية يسارية لكن قريبة من فكر 14 آذار.

لكن سرعان ما اتّخذت الجريدة المنحى المباشر كناطقة باسم «القوات اللبنانية»، وفتحت صفحاتها لحلفاء «القوات» وقيادة حملة ضد حزب الله والتيار الوطني الحر، ثم تطوّر الأمر لاحقاً إلى انتقاد الرئيس سعد الحريري وتيار «المستقبل» وهو ما أدّى تدريجياً إلى خروج بعض العاملين الرئيسيين من وسام سعادة (المحسوب على اليسار) إلى محمد النمر (المحسوب على تيار المستقبل)، علماً أن الأخير ربط خروجه بانحيازها القوي إلى فريق «القوات» وبناء علاقة مع منافس الحريري وشقيقه بهاء الحريري.

في عام 2022، توفي ميشال مكتف، وتولّى ورثته متابعة المهمة، ولكن برزت خلافات داخل العائلة حول إدارة التركة، وأدى الأمر إلى تراجع الرغبة في استمرار تمويل الصحيفة، وقد أبلغ نجل الراحل ميشال مكتف إدارة الصحيفة أن الظروف لم تعد تسمح باستمرار التمويل كما وعد بعد وفاة والده، ما دفع بمقرّبين من «القوات» إلى البحث عن «رجال أعمال مقرّبين منها»، لكن دون الوصول إلى عقود ثابتة تؤمّن تمويلاً لخمس سنوات على الأقل، خصوصاً أن الجريدة كانت في صدد إنشاء منصة رقمية خاصة وتمّ الشروع في خطة بناء استديو خاص وبرامج عمل لهذا الغرض. وهو خيار جاء بعد فشل الجريدة، في احتلال موقع نافذ على صعيد الجمهور، وهي تصنف في المرتبة السادسة بين الصحف الورقية على مستوى الانتشار. وعزا مهتمون بأمر الجريدة الأمر، إلى أنها بالغت في موقفها الداعم لـ«القوات اللبنانية» وحلفاء الولايات المتحدة في لبنان، علماً أن الجريدة حرصت طوال الوقت على عدم الوقوع في أي مشكلة مع دولتَي الإمارات العربية المتحدة والسعودية التي يقول صحافي مقرّب منها إنها «لم تجد الجدوى من دعم هذا المشروع».

كل هذه التطورات دقّت جرس الإنذار حول مستقبل الجريدة في ظل المقرّبون من الصحناوي ينفون اهتمامه، وإدارة «لوريون لوجور» تنفي علمها بوجود مفاوضات للشراكة

> المقرّبون من الصحناوي ينفون اهتمامه، وإدارة «لوريون لوجور» تنفي علمها بوجود مفاوضات للشراكة

صورة لفريق من الزملاء في «نداء الوطن» أثناء الاعداد للعدد الاول (من الويب)

مميّزون وعاديون

حافظ عدد قليل من الزملاء في «نداء الوطن» على صفائهم المهني، مثل وليد شقير وغادة حلاوي. وكان واضحاً الميل لـ«شد العصب» السيعي، بحجة سيطرة الآخرين على القرار، مع حنين دائم للبنان ما قبل الحرب الأهلية. ومع دفاع كبير عن الاقتصاد الحر ونظامه المنهار، لكن الصحيفة أدرات حملة شعبوية في المجال الاقتصادي، مكتفية بسياسة تجاوزتها الأزمة بعد انهيار النظام المالي والمصرفي. مبرزة آراء مجموعة من الخبراء، الذين يقودون منذ سنوات معركة الحلول مكان من يتولى المناصب الرئيسية في النظام المالي والنقدي في لبنان. لكنّ الجريدة تميّزت بزميلة لامّاحة ومحقّقة من الطراز الرفيع، هي الصحافية نوال نصر التي قدّمت إسهامات مميزة في صحافة التحقيقات، بينما تراجعت «هضامة» عماد موسى التي كانت تميزه يوم كان كاتباً للصفحة الأخيرة في مجلة «المسيرة» الناطقة باسم «القوات اللبنانية».

التيار - القوات
معراب تنتقم بمفعول رجعي!

ميسم رزق

في 18 كانون الثاني 2016، أنتج «تآخي» الرابية ومعراب تفاهماً، قبضت بموجبه الأولى على رئاسة «جمهورية قوية» مقابل حصول الثانية على حصة متساوية في المواقع المسيحية في الدولة، وعلى قانون انتخابات جعلها تنمو برلمانياً. لكن، سرعان ما عادت الأمور إلى سيرتها الأولى، وعاد معها نبش اتهامات الخيانة والغدر إلى سابق عهدها. التحالفات القوية التي نسجها التيار الوطني الحر آنذاك مع كلّ من حزب الله والرئيس سعد الحريري مكّنته من إدارة الظهر لحزب القوات اللبنانية، ورمي ورقة التفاهم في وجه سمير جعجع لـ «يبلّها ويشرب ماءها».

غير أن جعجع الذي يجيد «اللطي» بقيَ «لاطياً» إلى أن آن أوان الاستحقاق الكبير مجدداً، دعم حزب الله ترشيح رئيس تيار المردة سليمان فرنجية، وهو ما لم يبلعه النائب جبران باسيل، فلاحت الفرصة القواتية للقيام بـ«ردة إجر» لرئيس التيار الوطني الحر. حساسية المرحلة، محلياً وإقليمياً وعالمياً، لم تحل دون شهية معراب لـ «الانتقام» وفتح الدفاتر القديمة. مهما حاول جعجع تصوير الخلاف على أنه حول خيارات إستراتيجية كبرى، إلا أنه بدرك أن تأثيره وغريمه في هذه الخيارات ليس من النوع المؤثر. لذلك، فإن أصل الخلاف ومنبعه بين الطرفين هو رئاسة الجمهورية، فقط! وهو يستفيد في ذلك من تصعيب حزب الله الأمر على التيار الوطني الحر. إذ لم تنفع مع الأول الرسائل المبطنة ولا المشفّرة ولا العلنية، ولا على الهجوم العونيّ عليه، فالتزم الصمت أمام كلّ الحملات والاتهامات والتجريح، مع تأكيد دائم على موقفه الداعم لفرنجية. انتقل باسيل إلى مرحلة ثانية من المناورة، بالذهاب إلى «تقاطع ظرفي» مع بقية القوى المسيحية تحت عنوان ترشيح جهاد أزعور للرئاسة، ليس لإيصال الأخير إلى بعبدا، بل للضغط على الحزب ودفعه إلى التخلي عن فرنجية. سقط الرهان مرة أخرى، لكن باسيل اندفع أكثر نحو مزيد من استخدام «الورقة المسيحية».

في المؤتمر الوطني للمستوى للتيار الوطني الحر في 17 آذار الجاري، ناشد رئيسه كلّ القوى المسيحية «باسم كل التضحيات وآلاف الشهداء، وعلى رأسهم بشير الـ10452 كلم، وضع خط أحمر تحت الوجود والشراكة المتناصفة ولبنان الكبير» لأنّ «خسارة أو استضعاف أي مجموعة منّا هي خسارة لوجودنا. وليبقى لبنان الرسالة الذي نريده مع شركائنا». وشدّد على أن هذه الدعوة ليست «دعوة لحلف طائفي ضدّ أحد، إنّما للشراكة بين الكل انطلاقاً من حماية الوجود للكل». كما لجأ إلى البطريرك الماروني بشارة الراعي بما «يمثّله من مجد لبنان»، طالباً منه أن يجمع القيادات السياسية المسيحية لأنّه لا يوجد سبب لعدم اللقاء». وتوجّه إلى هذه القيادات بأن ذلك بكثير». مشكلة باسيل بالنسبة إلى معراب أن «الحزب لم يعره أيّ اهتمام رغمَ كل محاولات الابتزاز، ويستمر في تجاهله، أولاً بدعم فرنجية، وثانياً بدعم رئيس الحكومة وتغطية اجتماعاتها، وفي ملفات أخرى كما في ملف التمديد لقائد الجيش» العماد جوزف عون. لذلك، في رأي هؤلاء، «يهرب باسيل الآن إلى ورقة كبيرة عنوانها وحدة الموقف المسيحي التي تدغدغ إلى حد كبير مشاعر الغالبية في بكركي»، ولكنها «لا تحرج القوات التي تصرّ على وحدة الموقف السياسي». صحيح أن التيار، عبر ممثليه في اجتماعات اللجان في بكركي، وصل إلى حدّ «تبني القرارات الدولية (التي تُعتبر مستفزّة بالنسبة إلى حزب الله)، ولكنه لا يزال يصرّ على عدم الدخول في تسميات أو محددات، ويصرّ على إدراج بند سلاح حزب الله في إطار ما يُسمى الإستراتيجية الدفاعية»، وعليه، فإن «كثيراً من الأمور تؤكد لنا أن باسيل لا يهدف من صورة بكركي سوى الضغط على حزب الله»، وأنه «ضمنياً لا يريد فك التحالف، ويعلم أن أي تحالف مع المسيحيين لن يعود عليه بأي مكاسب كتلك التي يحققها له التحالف مع الحزب، وإذا كانت معراب تقبل بإعطائه صورة التقاطع الظرفي، لكنها حتماً لن تمنحه ورقة الوحدة المسيحية لتحقيق مكاسب من حزب الله على حسابها، ولن تكون القوات قوات عهد باسيل».

أيا يكن، وبعيداً من شكليات «المصلحة المسيحية» التي يدّعيها الطرفان، فإن كل ما يحصل اليوم ليس سوى ارتدادات عام 2016. يومَ وُقّع التفاهم، ظن سمير جعجع أن انتخابه ميشال عون، سيعود عليه بالرئاسة بعدَ ست سنوات تحت عنوان ردّ الجميل، منطلقاً من قاعدة أن «الوجود في الحكم يفترض المشاركة والليونة»، متخيلاً أن عون وباسيل سيردان الجميل بانتخابه رئيساً. لكن باسيل، بدأ منذ اليوم الأول لانتخاب «عمه» يحضّر للعهد الذي يليه، وهو عهد «جبران باسيل».

قبلَ انقضاء السنوات الستّ، أكل جعجع الضرب. وبعدَ انقضائها لحق به باسيل. فلا رئيس «القوات» نال ما أراد ولا باسيل قادر على أن ينال ما كان يخطّط له. إلا أن جعجع وجدَ نفسه في وضع أفضل من وضع «غريمه» الذي أصبحَ «وحيداً» ويُمكن الاستفراد به. صحيح أن جعجع يرفض وصول أي رئيس يدعمه حزب الله أو يُسميه، لكن معركته الأساسية هي في منع باسيل من الوصول إلى بعبدا عبر المسيحيين ومعراب، ومنعه أيضاً من إحياء تحالفه مع حزب الله عبر العبور فوقَ الجسر المسيحي وجسر معراب»... عملياً هو «انتقام قُواتي بمفعول رجعي»!

(أ ف ب)

(هيثم الموسوي)

في الواجهة

اجتماع بكركي: هدنة المتحاورين أم جرس إنذار؟

أفضل ما يُتوقّع أن يُخلّفه لقاء بكركي، أن يجتمع إلى طاولتها الأفرقاء الأكثر استسهالاً لتبادل التشهير والطعن والتخوين والاتهام، بعضهم حيال بعض آخر، وأن يعزموا بعد الآن، إلى بعض الوقت، على التحاور وجهاً لوجه في كل ما يتناحرون عليه

نقولا ناصيف

بضع خلاصات انتهى إليها الاجتماع المسيحي في بكركي الخميس:

أولاها، إعادة جمع الأحزاب والكتل إلى طاولة حوار في ما بينها برعاية البطريركية المارونية تمهّد لهدنة في حملاتها المتبادلة إحداها حيال الأخرى في كل ما تتناحر عليه. ذلك يقطع الطريق أو يُفترض أن يقطعها على المواقف المسيئة بين الأحزاب والكتل هذه بإزاء رفضها التواصل والتحاور في ما بينها. إلى الآن تقتصر المشاركة فيها على ثلاثة أحزاب هي التيار الوطني الحر والكتائب والقوات اللبنانية وقوتان سياسيتان ليستا حزبيتين ولا تمثلان كتلتين نيابيتين وازنتين هما النائبان ميشال معوّض ونعمة أفرام على أنه تمثيل مناطقي. افتقرت للشخصيات المسيحية المستقلة عن هؤلاء جميعاً ما يحرم الاجتماع تالياً رأياً ثالثاً بين أصطفافين.

ثانيتها، مناقشة وثيقة تبنّى منذ ما قبل اجتماع الخميس، في التي سبقته بين المشاركين إياهم، أنها في حاجة إلى إعادة نظر في التوجه العام كما في القضايا المثارة. مع أنها ليست جديدة، واطّلع المجتمعون على أفكارها سلفاً، بيد أنهم الآن في طور تعديلها إن لم يكن أكثر في جوانبها الجوهرية، سواء المتصلة بعلاقة المشاركين بعضهم مع بعض أو حيال الفريق الآخر في الشراكة الوطنية.

أعدّت المسوّدة قبل ثلاثة أشهر لجنة ضمّت نعوم فرح وزياد الصايغ وإيلي كيروز. إلا أن الحاضرين أضافوا إليها أفكاراً جديدة نجمت عن مقارباتهم المتناقضة لما تضمّنته.

ثالثتها، انتهى اجتماع الخميس إلى التفاهم على عنوان للوثيقة يختلف عن ذاك الموضوع لها في الأصل. من «المسيحيون إلى أين؟» إلى «لبنان إلى أين؟» بغية تعميم الهواجس والقلق وإضفاء طابع شمولي لارتباطه بالكيان والهوية والأخطار المهدّدة. مع ذلك تكمن مشكلة المشاركين ومصدر نزاعاتهم في التفاصيل لا في العناوين. ما يلتقون عليه يتجاوز بكثير ما أوردته المسوّدة على أهميته، على نحو الحياد واللامركزية الإدارية والقرارات الدولية والاقتتال على الوظائف المسيحية وعدم توزّط لبنان في الخارج وانتخابات رئاسة الجمهورية. علة كلّ من العناوين هذه انطواؤها على كمّ من التفاصيل هي مكمن الاختلافات والتباين واحداً بعد آخر. أضف عاملاً يصعب تجاهله. إن لم يكن في صلب التناحر ـ هو العداء الشخصي والكراهية

> من «المسيحيون إلى أين؟» إلى «لبنان إلى أين؟» لتعميم الهواجس والقلق وإضفاء طابع شمولي

المتبادلة بين التيار الوطني الحر وحزب القوات اللبنانية.

رابعتها، الامتحان الفعلي لنجاح الحوار المسيحي ـ المسيحي كما تتوخّاه بكركي توافقه على الأمر الأكثر استعصاء. الواضح من تمثيل الحاضرين في اجتماع الخميس وجود اصطفافين غير متكافئين: التيار الوطني الحر (بعد تغيّب تيارة المردة) على وفرة التناقض بينهما أيضاً قبالة الآخرين جميعاً في المسالتين الأكثر تعقيداً وهما سلاح حزب الله والقرار 1559. بينما يقول التيار الوطني الحر إن سلاح حزب الله أو المقاومة هو من أجل حماية لبنان، يقول الآخرون جميعاً إنه وسيلة ابتلاع الدولة برمّتها وتهديد مباشر للكيان والهوية. موقفان متناقضان يتعذّر الوصول إلى حل وسط بينهما. المعضلة نفسها في القرار 1559 الذي هو الوجه الآخر لتجريد حزب الله من سلاحه ويصبّ في الهدف نفسه: التخلص من فائض القوة في الحزب كي يتوازن مع الشركاء الآخرين في النظام والدولة والمجتمع. بينما يقول التيار الوطني إن المطلوب «احترام» القرار 1559 لا فرض تنفيذه، المستعصي في كل حال، يقول الطرف الآخر إن التزام تنفيذه هو المدخل إلى الحياد بعد أن يشير إلى أن التيار يتنصل مما هو وراءه وفاخر بأنه أحد صانعي القرار 1559 قبل سنتين من صدوره عام 2004 من خلال حملات الرئيس ميشال عون في الخارج، أضف تمسكه به حتى انتقاله عام 2006 إلى التحالف مع المقلب الآخر في وثيقة «مار مخايل»، وتخليه إزاك عما صنعه أو شارك في صنعه على الأقل.

خامستها، تقييم جدوى أي وثيقة مسيحية في مقدرتها على مخاطبة الشركاء الآخرين، لا الاكتفاء بالانغلاق على نفسها دونما التحاور مع مَن يفترض أنهم معنيون مباشرة في كلّ ما تثيره وخصوصاً في مسألتي سلاح حزب الله والقرار 1559 الوثيقّي الصلة بالثنائي الشيعي. في أحسن الأحوال لا تملك الوثيقة الوصول إلى أهدافها في معزل عن التواصل مع أولئك ومحاورتهم. انتهى المطاف بالتربث في المسوّدة المتداولة وإعادة صوغها، على أن يُصار إلى التوسع في مناقشة مضمونها مع الأفرقاء غير المسيحيين قبل الوصول إلى إصدارها. وحده البطريرك الماروني مار بشارة بطرس الراعي صاحب مبادرة الحوار المسيحي ـ المسيحي قادر على قيادة الحوار مع الطرف الآخر. فهم أنه صاحب اقتراح إعادة الصوغ وتناولها العقبة الكأداء وهي مصير سلاح حزب الله والخيارات المتاحة لإخراجه من معادلة التوازن الداخلي.

سادستها، مع أن انتخاب رئيس للجمهورية هو الاستحقاق الراهن الأكثر تعقيداً والأكثر تهديداً للمسيحيين والموارنة خصوصاً، بحرمانهم الاحتفاظ بموقعهم في رأس هرم الدولة، لم يَبن الخلاف عليه في اجتماع بكركي. تحدّث المجتمعون فيه، التيار الوطني الحر والفريق الآخر المناوئ له، بطريقة مشتركة تقريباً في ما يريدون وما لا يريدون: تأكيد استعجال انتخاب الرئيس، رفض رئيس تيار المردة سليمان فرنجية، الإحجام عن الخوض في الأسماء في المكان والزمان، التقاطع على المرشح الثالث الموصوف تارة بـ«الواقعي» أو «الطبيعي» أو «الوسطي». ليس انتخاب الرئيس إلا التعبير الأكثر وضوحاً، في الوقت الحاضر، عن عمق الانقسام الماروني ـ الماروني على التفاصيل الخفية في العنوان الرئيسي: اسم الرئيس لا مواصفاته وانتخابه فحسب. ليست مصادفة أن رؤساء الأحزاب والكتل الممثلة في اجتماع الخميس هم أول المرشحين للاستحقاق.

تقرير

اعتقال عملاء في الرشيدية

أعلنت «المقاومة الإسلامية»، أمس، شنّ مزيد من العمليات ضدّ مواقع الاحتلال الإسرائيلي، في إطار إسنادها المقاومة الفلسطينية في قطاع غزة. ووفقاً لـ«الإعلام الحربي»، استهدف المقاومون انتشار جنود في محيط ثكنة زرعيت بالقذائف الدفعية وأصابوه إصابة مباشرة. ومن ثمّ استهدفوا موقع المطلة بمسيّرة انقضاضية وأصابوا دبابة في داخله إصابةً مباشرة. وبعد ذلك، قصف حزب الله بالمدفعية انتشار جنود في محيط موقع جل العلام وأوقع أفراده بين قتيل وجريح. كما استهدف موقع رويسات العلم في تلال كفرشوبا اللبنانية المحتلة بالأسلحة المناسبة وحقّق فيه إصابات مباشرة. في المقابل، استهدف سلاح الجو الإسرائيلي منازل في عيتا الشعب والطيبة، فيما نفذت الدفاعية الإسرائيلية عدواناً على العديد من المناطق الحدودية. وبالتوازي مع التطورات الميدانية، أعلنت «فصائل المقاومة الفلسطينية والقوى الإسلامية» في منطقة صور، في بيان، أنها ألقت القبض على «مجموعة من الدخلاء» على مخيم الرشيدية، المتورطين في عملية اغتيال الشهيد القسامي هادي مصطفى أبو شادي، وسلّمتهم إلى الجهات الأمنية المعنية في الدولة اللبنانية. كما طلبت وزارة الخارجية والمغتربين من بعثة لبنان الدائمة لدى الأمم المتحدة في نيويورك «تقديم شكوى عاجلة إلى مجلس الأمن الدولي حول اعتداءات إسرائيل على السيادة اللبنانية عبر التشويش على أنظمة الملاحة وسلامة الطيران المدني في أجواء مطار رفيق الحريري الدولي في بيروت».

(الأخبار)

تقرير

اقتصاد النازحين: التكيّف مع مجريات الحرب

أسماء إسماعيل

ثمّة واقع استهلاكي فرضه العدوان الإسرائيلي على جنوب لبنان. قد تكون هناك وفرة في وصول السلع إلى المناطق التي تقع وراء الشريط الحدودي، إنما القدرات الشرائية في أدنى مستوياتها، ما انعكس سلباً على النشاط الاقتصادي. ورغم زيادة أعداد المقيمين في مناطق الاستضافة، إلا أن قسماً منهم هم نازحون يقنّنون استهلاكهم، ولا تغريهم العروضات التي يقدّمها التجّار. وهذا التقنين ينطبق على السلع الغذائية والأساسية، ما يعني أن السلع المعمّرة أو غير الضرورية لم تعد مدرجة على سلّم استهلاك الأسر.

> رغم الزيادة العددية للمقيمين في **في مناطق الصمود لا تتوافر اللحوم والخبز يومياً**

البلدات المستضيفة للنازحين، إلا أن النشاط التجاري لم يسجّل تحسّناً. يعود ذلك إلى أن النازحين يتلقّون حصصاً غذائية شهرية، بالإضافة إلى مساعدات عينية، وخدمات مجانية. في تبنين، حيث تستوعب المدينة بين 200 و230 أسرة نازحة، وفق بيانات إحصائية لبلدية تبنين وجمعية «ألفا»، يقول أحد أصحاب السوبرماركت، إنه مع بداية الحرب بدأ يلاحظ انكماشاً في الاستهلاك، ما دفعه إلى تقليص مخزونه من الحبوب والبقوليات والمعلبات التي ينخفض الطلب عليها مقابل زيادة الطلب على الألبان والأجبان والخضر والخبز بنسبة تتراوح بين 40 و50%. قد تعزى هذه الزيادة في الطلب على هذه الأصناف تحديداً إلى التكافل الاجتماعي، إذ يشير مالك السوبرماركت إلى أنه يقدّم حسومات للعائلات النازحة، «لكنهم يتذمّرون بسبب انخفاض قدراتهم المالية».

في الواقع، يتواصل تدفق السلع والمواد الغذائية والأساسية إلى المناطق المتاخمة لما يسمّى الشريط الحدودي، فلا توجد أصناف مفقودة ويستمر توافد مندوبي الشركات لتوزيع بضائعهم. هي عملية تكيّف مع مجريات الحرب. فالنازحون انقذوا معروب من ركود المبيعات الذي كانت تعانيه شتاء كون معظم الزبائن هم من المصطافين. الحرب دفعت العديد من العائلات إلى الإقامة في هذه البلدة. تقول إحدى السيدات إن عدد أفراد الأسر التي وصلت إلى البلدة لا يقلّ عن ستة أو سبعة أشخاص، ومنهم عدد كبير من التابعية السورية الذين نزحوا من منطقة الوزاني في قضاء مرجعيون. يستهلك هؤلاء الكثير من الخضر والخبز والألبان والأجبان والبيض. انعكس الأمر تحسناً في المبيعات بنسبة يقدّرها أصحاب المحال التجارية هناك بنحو 15% مع فروقات بين محل وآخر. والملاحظ أن السوق هناك أغرقت بالبضائع البديلة التي ازداد الطلب عليها. يقول أحد العاملين في مؤسسة تبيع الأدوات المنزلية، إن الحركة التجارية بلغت ذروتها في مطلع كانون الأول، العام الماضي، بعد انتهاء الهدنة في 24 تشرين الثاني، إذ توافد النازحون بعد هذا التاريخ لشراء أدوات وتجهيزات أساسية للطبخ والأكل والشرب مثل الزجاجيات والبلاستيكيات وغيرها. لاحقاً، تراجعت حركة مبيعات هذه الأصناف.

يختلف المشهد في المناطق الحدودية، إذ يصعب أن تصل لحوم البقر والدجاج الطازجة بشكل يومي، ما دفع الصامدين هناك إلى استهلاك «المونة». في كل بيت جنوبي مونة للشتاء هي عبارة عن حبوب وبقوليات وكشك ومربيات وسواها. بحسب رئيس بلدية عيترون سليم مراد، إن «المواد الغذائية القابلة للتخزين متوافرة، أما اللحوم والخضر فيتطلب الحصول عليها مغادرة القرية إلى قرى مجاورة آمنة تحت طائلة التعرض لخطر التنقل».

ولا ينحصر النشاط الاقتصادي بالحركة التجارية. فالمناطق الجنوبية تشتهر بزراعة التبغ. العدوان الإسرائيلي اليومي يهدّد هذا الموسم الذي تعتمد عليه عائلات من النازحين والصامدين وفي قرى الاستضافة أيضاً. في عيترون، سجّلت عودة 25 عائلة للالتحاق بموسم التبغ. زراعة تتطلب مجهوداً هائلاً من كل العائلة، إنما في هذه الأوضاع تنطوي على مخاطر الحرب، إضافة إلى مخاطر «التأخر في تجهيز الأرض لتزرع وتزويدها بالأسمدة» بحسب ما يقول رئيس البلدية سليم مراد. والأمر نفسه يحصل في شقرا كون أغلب المناطق الصالحة للزراعة تقع على مسافات نائية ومواجهة للعدوان.

(مروان بو حيدر)

ويتحفّز الطلب الاستهلاكي في هذه المناطق بالتكافل الاجتماعي. إذ يشير رئيس بلدية شقرا اسماعيل الزين، إلى أن البلدية استقبلت 187 عائلة سورية و160 عائلة من القرى الحدودية، وهي توفّر لهم المسكن والتجهيزات: «كل منزل يحصل من البلدية على 40 كيلوواط ساعة من الكهرباء شهرياً، ويجري تأمين خزانات مياه للبيوت المهجورة على نفقة البلدية أو تقدمة من أصحاب البيوت». ويضيف: «بالتعاون مع أهالي شقرا، تؤمّن البلدية قوارير الغاز وحصصاً تموينية ومساعدات عينية، بالإضافة إلى مبادرات بعض المؤسسات التجارية التي قدمت عروضات على العديد من السلع لكل الزبائن». ويقول مراد إنه «لولا وجود جهات راعية، لما توافرت القدرة على صمود الأهالي، لافتاً إلى أن «مولّدات البلدية تعمل على مدار الساعة، ويتم توفير الطاقة من دون جباية، والآبار الخاصة تلبّي حاجات السكان للمياه، ويجري جمع النفايات كلما سنحت الظروف الأمنية بذلك. ويتعاون حزب الله مع البلدية لتوفير المحروقات وصيانة الأعطال في الخدمات العامة أو في الآليات وسيارات الإسعاف والدفاع المدني».

وبحسب الزين، فإن جمع النفايات وفرزها وإعادة تدويرها في المعمل التابع لشقرا، دونه مخاطر كبيرة، لأن موقع المعمل، جنوب البلدة، مواجه للمنطقة التي تتعرض للقصف الإسرائيلي.

تقرير

التفتيش التربوي «يفلتر» الشكاوى
ضبط الدوام أوْلى من الاختلاس المالي!

فاتن الحاج

أيّ نوع من الشكاوى والإخبارات تُحرّك التفتيش التربوي، وما هي أولوياته في التحقيق، ومع من يتدخل وضدّ من؟ تحيّر هذه الأسئلة أساتذة التعليم الرسمي منذ بداية الأزمة الاقتصادية والمالية، أي منذ أن باتت ملاحقة «المتغيّبين قسراً» عن الحضور إلى صفوفهم ومعاقبتهم تتقدم على التحقيق في «اختلاسات مالية» موثقة، وحين أصبح تركيز المفتش على الدوامات والتأكد من تأمين إدارة المدرسة للقرطاسية وأدوات التنظيف أهم من متابعة مئات المخالفات الإدارية والقانونية لمسؤولين في وزارة التربية ومديري مدارس وثانويات.

ولأن «فلترة» الشكاوى تسير وفق أهواء المرجعيات السياسية، يمكن أن تسلك معاملة مسارها العملي إلى التحقيق بسرعة البرق، و«تتبخّر» أخرى بالسرعة نفسها، وقد يقلب مفتش أو مفتش عام أو رئيس تفتيش الحقائق ويفرّغ أي شكوى من محتواها ويحيلها إلى الحفظ، فيما يغضّ التفتيش البصر عن عشرات الإخبارات التي «يتفركش» بها يومياً في وسائل الإعلام وعلى مواقع التواصل الاجتماعي. أما «الفذلكة» في ذلك، بحسب مصادر إدارية متابعة، فتعود إلى «الكيمياء» بين الوزير والمفتش العام من جهة، ومدى استقلالية المفتشين، إذ «لا يمكن أن ننتظر من مفتشين تربويين أن يحققوا في مكان يتقاضون منه تعويضات، كما في وزارة التربية، سواء من الامتحانات أو غيرها، في حين أن هدف المشترع من إلحاق التفتيش المركزي، منذ إنشائه عام 1959، برئاسة الحكومة وليس بالوزارات، كان إعطاءه هذه المساحة من الحرية والاستقلالية في عمله».

ورغم أن النصوص القانونية تحدد 3 أشهر، فإن الاستنسابية في «فلترة» المعاملات جعلت أساتذة في ثانوية ناديا عون الرسمية، مثلاً، ينتظرون منذ أكثر من عام مصير شكوى قدموها ضد المديرة السابقة للثانوية بالتكليف س. ب. تتعلق بمخالفات مادية وإدارية في الثانوية وفواتير بأسماء وهمية من دون العودة إلى اللجنة المالية التي رفضت توقيع الموازنة وأعلمت التفتيش بذلك، ومعاملات بلا طوابع وبلا أختام وبلا أرقام وزرع كاميرات لتنفيعات شخصية و«إفلاس» صندوق المدرسة. وتشير المصادر إلى أن المديرة السابقة كانت تحرّض على الإضراب وقامت بتقديم شكوى بهذا الخصوص في وجه الأساتذة. إلا أن كل هذه الارتكابات لم تحرّك، بحسب مصادر الأساتذة، التفتيش التربوي الذي لم يجر تحقيقاً بالشكوى حتى اليوم، فيما لا تزال المديرة أستاذة في الثانوية نفسها بـ 6 ساعات أسبوعياً!

التفتيش لم يحرك ساكناً أيضاً في قضية أستاذة في إحدى الثانويات في الميناء - طرابلس تعرضت للتهجم والإهانات والشتائم ومحاولة الضرب على خلفية طائفية، من أحد الأساتذة المقربين من مديرة الثانوية، المقربة بدورها من مدير التعليم الثانوي خالد الفايد. وقد نُقلت الأستاذة تعسفياً إلى ثانويتين أخريين بتبليغ من الأخير، وليس بقرار من وزير التربية الذي يحق له وللمدير العام فقط نقل الأساتذة من مدرسة إلى أخرى. هذه المرة حضر التفتيش إلى الثانوية وأجرى تحقيقاته، ولم يصدر أي تقرير بنصف الأستاذة المعتدى عليها، بل كان مصيرها النقل التعسفي بعد 4 سنوات من إقصائها عن التعليم، فيما بقي الأستاذ المعتدي في دوامه المريح وعمله الملحق بمكتب المديرة التي لا تتوانى، وفق مصادر متابعة، عن فتح أبواب ثانويتها للسمسرة الشخصية مع ثلاث جمعيات أهلية بحجة تنظيم دورات دعم للطلاب.

في المقابل، تفتح مديرة ثانوية رمال الرسمية في الدوير - الجنوب «خطاً عسكرياً» مع التفتيش التربوي، متسلحة بنفوذ زوجها وعلاقاتها الشخصية ووساطتها السياسية مع التفتيش، إذ يمكنها أن تنقل 30 أستاذاً في قرارات تعسفية متفرقة، وأن تستقدم أساتذة من دون اعتماد أي صيغة رسمية (تعاقد - ملاك) وتدفع لهم من جيبها الخاص وكأنها صاحبة مدرسة خاصة.

مع ذلك، نفذ التفتيش عقوبة من الدرجة الأولى (حسم 10 أيام) بحق نقابي حسن مظلوم لكونه تخلف عن الحضور إلى مركز التفتيش في بيروت للتحقيق معه في أسباب انقطاعه عن التعليم، فيما لم يتبلغ حتى الآن العقوبة بصورة رسمية،

> **يغضّ التفتيش البصر عن عشرات الإخبارات التي «يتفركش» بها يومياً في وسائل الإعلام**

وإنما قرأها كما غيره على حساب المفتش التربوي العام على فايسبوك فاتن جمعة، من دون إعطائه فرصة الدفاع عن نفسه، علماً بأنه يحتاج إلى هذا التبليغ لكونه يعتزم التقدم بدعوى تشهير على وسائل التواصل بالثانوية والأستاذ ومراجعة أمام مجلس شورى الدولة والاعتراض لدى التفتيش. «الأخبار» حاولت التواصل مع جمعة للوقوف على معطياتها في كل هذه الملفات، إلا أنها لم توفق في الرد على أي من اتصالاتها أو استفساراتها. فإلى من يلجأ الموظف إذا كان التفتيش ملاذه الأخير؟ ومن يحاسب التفتيش إذا أخطأ أو ظلم الموظف؟ وأين التفتيش من كل ملفات الفساد في وزارة التربية، من التعويضات المضخمة للامتحانات الرسمية إلى تزوير شهادات الطلاب العراقيين، مروراً بحرمان أساتذة مثل الأستاذ محمد دبب في طرابلس من حوافزهم لاعتراضهم على قرارات إدارية وفساد الوزارة، في حين أن الشرط الأساسي لنيل الحوافز هو التعليم والمداومة، فيما المفارقة أن هناك متعاقدين في التعليم المهني يقبضون حوافز وهم خارج لبنان بتغطية من المديرة العام للتعليم المهني هنادي بري. وماذا عن الضرب الذي تعرض له موظفون على أيدي مسؤولين في الوزارة ومنهم الموظف في التعليم المهني طوني راشد والموظف في وزارة التربية علي الغول، ومحاولات إقالة مديرين تعسفياً كما حصل مع مديرة ثانوية حوض الولاية سعاد قصاص، ونقل مديرين لموظفين تعسفياً مقابل الامتناع عن نقل أساتذة بناءً على طلبهم إلى مدارس قريبة من منازلهم لتحذّر الذهاب إلى صفوفهم كحالة الأستاذة في ثانوية ضهور الشوير نتالي سليمان؟

مقال

تعرفة الكهرباء الباهظة تزيد معاناة قطاعات الإنتاج

سليم هنا*

أزمات متتالية واجهت الاقتصاد اللبناني منذ اندلاع الحرب السورية وما تبعها من موجات نزوح وأعباء اجتماعية واقتصادية، وصولاً إلى انهيار الليرة وضياع الودائع وتخلّف الدولة عن دفع ديونها الخارجية، ثم جائحة كورونا، وكارثة انفجار المرفأ، وسط شلل القضاء والإدارات الحكومية بسبب الإضرابات، فضلاً عن الشغور الرئاسي وغيره من المراكز الحيوية، مروراً بحربَي اليمن وأوكرانيا، وصولاً إلى الحرب في غزة وتداعياتها في البحر الأحمر وجنوب لبنان.

ما زالت نتائج هذا الأزمات المتراكمة ماثلة، ومؤثّرة، وإن بدا أن بعضها قد انتهى بمرور الزمن. وكما في كل الأزمات، يدفع الاقتصاد بقطاعاته كافة الثمن الأعلى، مع تراجع حجم الأعمال، وتنامي معدلات الهجرة، وتدنّي مستوى الدخل والمعيشة.

وبينما تكافح قطاعات الإنتاج للصمود في ظل الأوضاع السياسية والاقتصادية الصعبة، جاءت الزيادة على أسعار الكهرباء لتفاقم معاناتها، ولتطرح مرة جديدة، مسألة التوجهات الاقتصادية للحكومة، وحقيقة تخلّي الدولة عن مسؤوليتها تجاه دعم المنتجين المحليين ومساندتهم.

فمع رفع الدعم كلياً عن مؤسّسة كهرباء لبنان، واعتماد خطة التعافي الهادفة إلى زيادة ساعات التغذية وتحقيق الاستقلالية المالية للمؤسّسة، أقرّت الحكومة حزمة من الزيادات على رسوم الاشتراك وتعرفة الكيلوواط، أدّت إلى ارتفاع سعر الكيلو بمعدل أربعة أضعاف تقريباً، من 7 سنتات قبل الأزمة إلى 26 سنتاً حالياً، كما ألغيت مختلف التسهيلات والامتيازات التي كانت ممنوحة للأعمال (توتر متوسط)، فجاءت الفواتير خلافاً لكل التوقعات بأرقام عالية جداً، وقد ظهرت آثار تلك الزيادة بحدّة في المناطق التي تتغذّى من معامل الليطاني الكهرومائية والتي تستفيد من ساعات تغذية تصل إلى عشرين ساعة يومياً، إذ تجاوزت الفاتورة الشهرية لأحد معامل الحجر مبلغ مليار ي ليرة لبنانية.

وبالمقارنة مع أسعار الكهرباء عالمياً، تعدّ التعرفة الجديدة من بين التعرفات الأعلى، وهي الأعلى إذا قورنت بمستوى الدخل بين لبنان وغيره من الدول المتقدّمة التي تتنافس في ما بينها لتقديم أفضل التسهيلات لصناعاتها المحلية وتبذل جهوداً جبارة لحمايتها وتوفير متطلبات نموّها وفتح الأسواق الخارجية أمامها، بغية تفعيل إسهامها في الناتج المحلي الإجمالي.

لا شك بأن هذه الزيادة الباهظة ستنعكس سلباً على كلفة الإنتاج وستضعف القدرة التنافسية للمنتجات الوطنية، فضلاً عن آثارها المباشرة المتمثّلة في ارتفاع أسعار السلع والخدمات وزيادة مستوى الفقر وإغراق الأسواق بالبضائع المستوردة، والتسبب بإغلاق العديد من مؤسّسات الإنتاج وتسرّب اليد العاملة الماهرة، فضلاً عن تأثيرها على تدنّي حجم الاستثمارات الجديدة، وخصوصاً في الأعمال التي تشكل كلفة الكهرباء فيها نسبة عالية من إجمالي أكلافها الإنتاجية، ومنها على سبيل المثال مصانع الحجر والحديد والنايلون، وأيضاً البرادات الزراعية ومعاصر الزيتون والمستشفيات والمطاعم والفنادق والمطابع والسوبرماركات وغيرها.

وفيما تتعالى نداءات أصحاب المصالح لمراجعة التسعيرة الجديدة مع تمنّع العديد منهم عن الدفع، وإعلان البعض توقفهم عن العمل، توجّهت الانتقادات إلى سياسة مؤسّسة كهرباء لبنان ومعها اللجنة الوزارية المتابعة لشؤون الكهرباء، لسعيهم من خلال فرض هذه الزيادة الكبيرة، إلى تعويض كلفة الهدر من الطاقة المنتجة والمقدر بنحو 40% وتحميله للمشتركين النظاميين كحلّ بديل من تقاعس المؤسّسة أو عدم قدرتها على تحسين نسبة الجباية وضبط الهدر والتعديات على الشبكة.

وعليه، تضاف مشكلة التعرفة الكهربائية المرتفعة إلى جملة المشاكل التي تحتاج إلى حلّ فوري وجذري، وإلى نظرة علمية وموضوعية لأهمية دور الكهرباء في زيادة حجم الإنتاج المحلي والحدّ من أزمة البطالة، تجنّباً لمزيد من التداعيات الاجتماعية والاقتصادية السلبية، وحماية لما تبقّى من قطاعات الإنتاج الوطنية.

* باحث اقتصادي

تقرير

خطة السير في الضاحية... مكانك راوح

زينب حمّود

عبثاً يحاول المعنيون في ضاحية بيروت الجنوبية وسكانها فكّ طلاسم أسباب زحمة السير فيها. كل التفسيرات المكانية والزمانية والمناخية خابَت، كساعات الذروة المرتبطة ببدء دوامَي العمل والمدارس وانتهائهما، أو بتساقط الأمطار، أو بقرب موعد الإفطار في شهر رمضان، أو بموسم الأعياد... أو بكل هذه الأسباب معاً كما هي الحال هذه الأيام. الاختناق المروري، لسكان الضاحية، صار «قدَراً» في كل شوارعها وفي مختلف الأوقات، لا تغيّره «خطة سير» ولا ضائقة مالية ولا أزمة محروقات.

ورغم غياب الأرقام الدقيقة، يمكن «رؤية» الأزمة بوضوح في طوابير السيارات المتحركة ببطء، وسط فوضى عارمة يتسبّب بها العدد الكبير من السيارات و«جيش» الدراجات النارية التي لا تخضع لقانون سير وركن السيارات عشوائياً على جوانب الطرق واستباحة «الإكسبرسات» والمحال التجارية للأرصفة.

بعد أربع سنوات على إطلاق اتحاد بلديات الضاحية «خطة سير» بقيت الأزمة «مكانك راوح». يعيد الباحث في مجال النقل علي الزين فشل الخطة إلى «الترقيع في قطاع نقل بري مهشّم يعتمد كلياً على السيارات، إذ يصل استخدام السيارات في لبنان إلى 350 سيارة لكل 1000 مقيم، وهي نسبة تتجاوز نسبة استخدام السيارات في مصر، مثلاً، حيث تصل إلى 100 سيارة لكل 1000 مقيم». ويلفت الزين إلى أنّ «كلّ خطط السير التي تقوم على تحسين البنى التحتية وتوسيع الطرقات لتسهّل حركة العدد الكبير من السيارات يجب أن تلحظ المفعول العكسي للخطة، وهو ازدياد زحمات السير بدلاً من تراجعها بعد فترة وجيزة، لأن هذه الخطط تشجع، في نهاية المطاف، على التنقل بالسيارة».

ويشدد على أن الخطأ في خطة السير في الضاحية هو «عدم معالجة أصل المشكلة المتمثل في غياب النقل العام والمشترك المنظّم». والنتيجة، بحسب مهندس النقل رامي سمعان، أن «السيارات تُستخدم في أكثر من 80% من التنقلات، مقابل أقلّ من 20% فقط بواسطة النقل العام والمشترك». ويلفت إلى سبب آخر لفشل خطة السير في الضاحية، وهو «عدم اتساع حدود قياس الزحمة إلى المناطق المجاورة، وما يتطلبه ذلك من تشبيك مع البلديات المجاورة مثل بلدية الشويفات جنوباً وبيروت شمالاً، خصوصاً أن خطوط النقل متشابكة بين هذه المناطق. فالفان رقم 4، مثلاً، ينطلق من الضاحية (الليلكي) ويصل إلى الحمرا، ويحتاج تنظيمه إلى خطة أوسع من رقعة الضاحية».

مع رفع الدعم عن المحروقات، كبرت التوقعات بتخلي كثيرين عن استخدام سياراتهم الخاصة وحتى ترك وظائفهم لمصلحة وظائف قريبة من أماكن سكنهم، وكانت هذه، وفق سمعان، «فرصة للتحول إلى النقل العام والمشترك وإلى النقل السلس (المشي والدراجات الهوائية). غير أن هذه الفرصة فُوّتت، فلم تستثمر الحكومة في النقل العام ولم تشجّع السلطات المحلية على النقل السلس عبر إزالة التعوازات عن الأرصفة لتسهيل المشي كأضعف الإيمان. عوضاً عن ذلك أنتجت الأزمة التوك توك، وانفلاش ظاهرة الدراجات النارية كوسائل نقل توفيرية لا توفر السلامة المرورية». وأضاف: «بهذه الطريقة تكيّف اللبنانيون مع أزمة النقل من دون تقبّل خيار النقل المشترك المتوفر، ومن كان يزور قريته مرة في الأسبوع صار يزورها مرة في الشهر ليوفر ثمن البنزين، من دون أن يفكّر باستخدام الفان».

(أرشيف)

صحيح أنّ أزمة النقل البري تتجاوز حدود الضاحية، لكن الأخيرة «حالة خاصة» فيما يخصّ زحمات السير لعوامل عدة، في مقدّمها الكثافة السكانية. لكن هذه تنقسم الآراء حول تأثيرها، بين من يرى أنها ليست بالضرورة مؤشراً سلبياً لأنها، من حيث المبدأ، يجب أن تؤدي إلى استخدام أقلّ للسيارات نظراً إلى قرب المسافات، شرط إدارة الكثافة السكانية وتوزع المدارس والمحال التجارية وأماكن الترفيه، ومن يرى أن الاكتظاظ السكاني يتسبّب في «ثقل التنقل»، عدا استقبال الضاحية وافدين يقصدونها لغايات مختلفة. ومن العوامل أيضاً فوضى التخطيط المدني التي تراكمت منذ الحرب الأهلية، وتجاهل قطاع النقل عند إنشاء الأسواق التجارية والمؤسسات الصناعية والمدارس وأسواق الخضر، وعدم مواكبة التغيرات الديموغرافية بتعديل خرائط التنظيم المدني، ما أدى إلى فوضى عمرانية، زادها سوءاً تداعي هيكل الدولة وإفلاس البلديات.

الأخبار
al-akhbar
السبت 23 آذار 2024 العدد 5164

تكنولوجيا

الولايات المتحدة تعلنها حرباً على «آبل»

علي عواد

حملة عنيفة تشنّها الحكومة الفيدرالية ضدّ نفوذ شركات التكنولوجيا الكبرى تستهدف الآن بشكل مباشر آبل، إحدى الشركات الأكثر شهرة وقيمة في العالم. آبل متّهمة بانتهاك قوانين مكافحة الاحتكار عبر ممارسات متعمّدة تهدف إلى حبس المستهلكين في نظامها الخاص، ومنع المنافسة في التطبيقات والخدمات المشابهة من شركات أخرى. وذكرت وزارة العدل في الدعوى المرفوعة أمام المحكمة الجزائية الأميركية في نيوجيرسي، أنّ «كل خطوة في سلوك آبل أدت إلى بناء وتعزيز الأسوار المحيطة باحتكارها للهواتف الذكية. كما أدت ممارسات الشركة إلى ارتفاع الأسعار وتقليل الابتكار». جوهر القضية يتحدث عن هاتف «آيفون»، درّة تاج الشركة الذي غذّى نموها الهائل على مدار السنوات الـ 15 الماضية. وتتهم الدعوى، آبل، بأنّها أنشأت «ساحة لعب غير متكافئة» تفضّل منتجاتها وخدماتها على حساب المنافسة، عبر ممارسة رقابة مشددة على تجربة مستخدمي آيفون ونظام التشغيل iOS.

تستشهد الدعوى بأمثلة عدّة، بما في ذلك تقييد آبل لوصول شركات التمويل إلى شريحة الدفع الخاصة بجهاز «آيفون»، وتطبيقات تعقّب «بلوتوث» للاستفادة من خدمات GPS الخاصة بها. في البداية، كانت لدى شركات التمويل إمكانية وصول أكثر شمولاً إلى ميزات الهاتف المختلفة، بما في ذلك القدرة على الاستفادة من خدمات GPS. ومع ذلك، فرضت آبل، مع الوقت، قيوداً للحدّ من ذلك، استجابةً للمخاوف المتزايدة بشأن الخصوصية وأمن البيانات، خصوصاً في ما يتعلق باستخدام بيانات الموقع الجغرافي من قبل شركات التمويل. وفي الدعوى أيضاً، أنّ آبل صعّبت على المستخدمين توصيل الأجهزة غير التابعة لها، مثل هواتف أندرويد والساعات الذكية، بجهاز «آيفون»، ما ترك المستخدمين محصورين بالأجهزة التي تنتجها الشركة فقط. بالإضافة إلى ذلك، جاء في الشكوى أنّ آبل «تقوّض قدرة مستخدمي آيفون على مراسلة أنواع أخرى من الهواتف الذكية مجاناً مثل تطبيق iMessage... الذي يظهر إشارة مفادها أن الهواتف الذكية الأخرى أقلّ جودة من «آيفون»...».

في المقابل، دافعت آبل بشدة عن سياساتها، باعتبارها قانونية وضرورية لضمان الأمان والخصوصية على أجهزتها، وتوفير تجربة مستخدم فائقة يطلبها الجمهور. وقال متحدث باسمها إنّ «هذه الدعوى القضائية تهدد هويتنا والمبادئ التي تميز منتجات آبل في الأسواق الشديدة التنافسية»، مضيفاً: «إذا نجح ذلك، فإنه سيعيق قدرتنا على إنشاء التكنولوجيا التي يتوقعها الناس من آبل، حيث تندمج الأجهزة والبرامج والخدمات بسلاسة».

تمثّل هذه القضية الكبيرة أحدث جبهة ضمن المحاولات المكثفة التي يبذلها المشرّعون الأميركيون للحد من القوة الهائلة لعمالقة التكنولوجيا الكبار، أمثال آبل، وغوغل، وأمازون، وميتا. وقد يستغرق حلّ هذه المشكلة سنوات، فيما يُحتمل أن يكون له آثار كبرى. وأكدت وزارة العدل أنّه بموجب قوانين مكافحة الاحتكار، تحتفظ بالحق في السعي في نهاية المطاف إلى تفكيك أعمال شركة آبل، الأمر الذي ينفّذ منذ الحملة التي شنتها الحكومة الفيدرالية ضد احتكار متصفح الإنترنت من شركة مايكروسوفت في أواخر التسعينيات.

مَنْ يراقب تطوّر آبل على مر السنوات الماضية، لا يخفى عليه أنّ الشركة فقدت بريقها. والشرارة التي أطلقها ستيف جوبز ذات يوم من عام 2007، مع إطلاقه جهاز «آيفون» الأول من نوعه، انطفأت مع دخول آبل في ممارسات ضربت ثقة المستخدمين وولائهم لها. وهذا أمر لا يمكن الاستهانة به، إذ بالنسبة إلى مستخدمي أجهزتها، ليست الشركة مجرّد شعار تفّاحة، بل نادٍ حصري يريدون الدخول إليه بأي طريقة، حتى لو كلفهم ذلك اقتراض المال. وصحيح أنّ أجهزة الشركة متفوّقة في نواحٍ كثيرة، لكن نسبة كبيرة من الناس تشتري جهاز «آيفون» أو حواسيب «ماكنتوش» بسبب فكرة متخيّلة حول أنّها باب للارتقاء المجتمعي. وأمام هذا الولاء ونزعة المستخدمين للدفاع عن النادي الذي صاروا جزءاً منه، كيف ردت آبل الجميل لهم؟ بالسخرية وحبسهم داخل أنظمة مغلقة وطلب المزيد من المال. هنا، نذكّر بالدعوى الجماعية ضد الشركة عام 2020، بعد اعترافها بأنّها أبطأت هواتف «آيفون» القديمة عمداً في خطة هدفت إلى دفع المستخدمين إلى شراء هواتف جديدة. وصحيح أنّ سوق الهواتف الذكية عالمياً، صار مشبّعاً، بمعنى أنّ غالبية الناس تمتلك جهازاً من هذا النوع، ما أثّر على نسبة شراء الأجهزة الجديدة، إلا أنّه لا يحق لآبل أن تفعل ما فعلته. ووافقت الشركة على دفع ما يصل إلى 500 مليون دولار من الغرامات في هذه القضية. كما لا ننسى لوحة المفاتيح butterfly keyboard على أجهزة MacBook air وMacBook Pro التي لم تتخلص منها آبل حتى أواخر عام 2019. وكانت أزرار لوحة المفاتيح هذه تكرّر كتابة الأحرف من تلقاء نفسها بعد نقرها من قبل المستخدم. وفي هذا السياق، لا بد من الإشارة إلى كيفية معالجة آبل للمشكلة قبل التخلّص نهائياً من لوحة المفاتيح تلك، إذ عمدت إلى بيع قوارير هواء مضغوط للمستخدمين تنفث الغبار المتراكم تحت الأزرار. علماً أن ذلك لم يجدِ نفعاً! هذا ما صارت عليه آبل: أي مشكلة في الجهاز تستحيل حلّاً يدرّ المال عليها، أو أنّها تعيد صياغتها لتبدو ميزة جديدة. ونذكر هنا أحدث نسخة من هاتف الشركة، «آيفون 15»، الذي تنكسر خلفيته الزجاجية بسهولة. وبدلاً من الاعتراف بالمشكلة، قالت آبل للمستخدمين إنها جعلت خلفية الهاتف أسهل وأسرع في عملية استبدالها بأخرى جديدة!

المفكرة

حلم طلال سلمان... على حافة المستحيل

■ «الحلم على حافة المستحيل» هو عنوان الاحتفال الذي يحتضنه مبنى «السفير» في الحمرا، يوم الثلاثاء المقبل، كتحيّة إلى مؤسّسها الناشر اللبناني الراحل طلال سلمان (1938 ـ 2023/ الصورة). يتخلّل البرنامج عرضاً أوّل لفيلم «على الطريق» (2009) للمخرج محمود حجيج عن سلمان الذي سيُعلَن أيضاً عن نسخ إلكترونية من كتبه. كما ستُطلق الحلة الجديدة لموقع طلال سلمان على الإنترنت، مع تقديم حساباته المحدّثة عبر مواقع التواصل الاجتماعي.

«تحية إلى طلال سلمان: الحلم على حافة المستحيل»: الثلاثاء 26 آذار (مارس) الحالي ـ الساعة الثانية عشرة ظهراً ـ مبنى جريدة «السفير» (نزلة السارولا ـ الحمرا/ بيروت).

سماع مقامي في العشق الإلهي

■ يدعو «مسرح المدينة» (الحمرا) بالتعاون مع «متحف نابو»، في 6 نيسان (أبريل) المقبل، إلى حضور أمسية سماع مقامي في العشق الإلهي، تجمع بين المناجاة الروحية والشعر الصوفي، وبين التلحين والارتجال العزفي والغنائي التقليديّ المقامي المشرقي العربي. أمّا نصوص الحب الإلهي، فمأخوذة من «مناجاة المحبّين» الواردة في الصحيفة السجّادية للإمام علي زين العابدين بن الحسين، ومن كتاب «أناشيد الحب الإلهي» للقدّيس سمعان اللاهوتي الحديث، ومن أشعار أولياء التصوّف: رابعة العدويّة، والحسين بن منصور الحلّاج، ومحيي الدين ابن عربيّ... ومن قصيدة «العاشق المتمرّد»، فلسطينيّة الهوى، لمهذل ابن مهدي الصقور. أمّا نسق التلحين والارتجال، فهو الذي تسلّمه أعضاء تخت «الجامعة الأنطونيّة» للموسيقى الفصحى العربية من التقليد الموسيقي الفني لمدرسة النهضة العربية، المعروفة بمدرسة عبده الحمولي (1843 ـ 1901). انتقى عميد كلية الموسيقى وعلم الموسيقى في الجامعة، نداء أبو مراد (الصورة)، النصوص الروحانية ولحّنها، متّبعاً أسلوب التلحين المُعتمَد في تقليد النهضة العربيّة، وهو ينتهج في عزفه على

الكمان أسلوب التأويل الارتجاليّ، وهو ما يعتمده أيضاً كلٌّ من الأكاديميَيْن رفقا رزق إنشاداً وغناءً، وغسّان سحّاب عزفاً على القانون.

أمسية سماع مقامي في العشق الإلهي: السبت 6 نيسان 2024 ـ الساعة التاسعة مساءً ـ «مسرح المدينة» (الحمرا ـ بيروت). البطاقات متوافرة في «مكتبة أنطوان».

شذى حنايشة... جنين والاحتلال واللجوء

■ في 15 نيسان (أبريل) المقبل، تفتتح الصحافية الفلسطينية شذى حنايشة معرض «جنين، الأرض غير المحروقة» في «دار النمر للفن والثقافة» (كليمنصو)، حيث يستمرّ حتى 25 أيار (مايو) 2024. يستعرض الحدث أعمال حنايشة التي تصوّر آثار التوغلات الإسرائيلية بين عامَيْ 2022 و2024 في مدينة جنين ومخيمات اللاجئين الفلسطينيين في شمال الضفة الغربية المحتلة، وتحديداً مخيمات جنين وطولكرم ونور شمس. (الصورة: من المعرض)

افتتاح معرض «جنين، الأرض غير المحروقة»: الإثنين 15 نيسان 2024 ـ بدءاً من الساعة الحادية عشرة صباحاً ـ «دار النمر للفن والثقافة» (غاليري الطبقة الثانية ـ شارع أميركا ـ كليمنصو/ بيروت). للاستعلام: 01/367013

الأخبار
al-akhbar
صادرة عن شركة أخبار بيروت

رئيس التحرير
ابراهيم الأمين
مدير التحرير المسؤول
وفيق قانصوه

مجلس التحرير
أمل الأندري
محمد وهبة
وليد شرارة
دعاء سويدان
جمال غصن
حسين سمور

المدير الفني
صلاح الموسى

المكاتب
بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد الطابق الثامن
تلفاكس: 01759500 01759597
ص.ب 113/5963

/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/AlakhbarNews

الإعلانات
الوكيل الحصري 01/759500 ads@al-akhbar.com
التوزيع
شركة الأوائل
15ـ01/666314 ـ 03/828381
الموقع الالكتروني
www.al-akhbar.com

الأخبار
al-akhbar
السبت 23 آذار 2024
العدد 5164 السنة الثامنة عشرة
Samedi 23 Mars 2024 nº 5164 18ème année

(تصوير الروائي شاكر نوري ـ عن صفحته على فايسبوك)

أدونيس
يُحيي رميم الشعراء الأوائل

محمد ناصر الدين

«يُطبِق نرجسُ اللّوفر أهدابَهُ على طفولة الماء.
وعندما تجيء صاعقةٌ تائهةٌ لتقرعَ بابه، يختبئ وراء قنديلٍ
يُشعله الشكّ ويطفئه اليقين.
مرّةً، رأيت كيف تكشف الغابة لإنكيدو عن نهديها،
وكيف تترك له أن يضعَ رأسه على خصرها.
هكذا رأيتُ الأبديّةَ تضحك في وجهه،
فيما أرى الظّلامَ ينوّم النّورَ، والرّمل يمشط شَعرَ الفضاء».

«اللوفر فضاءً للأبجدية الآتية» هو عنوان الكتاب الجديد للشاعر أدونيس الذي نسافر فيه مع صاحب «أغاني مهيار الدمشقي» في قصيدة من سبع لوحات كُتبت بدعوة من المتحف العريق وتنشر بالتعاون مع «دار لوفر للنشر» و«دار سيغر» الباريسية. سيصدر الكتاب في نهاية شهر مارس (آذار) الحالي بلغته العربية الأصيلة، وبترجمة فرنسية أنجزها الكاتب والناقد دوناتيان غرو، ليكون أدونيس أول شاعر عربي يلقي قصائده بالعربية على خشبة «مسرح اللوفر» (29 آذار/ مارس)، برفقة الممثلة فاني أردان للنسخة الفرنسية. يغوص أدونيس في الفضاءات الحقيقية والخيالية لأروقة وأجنحة المتحف، ولا سيما تلك المختصة بالآثار الشرقية، ويستنطق الأساطير مثل أسطورة جلجامش وأنكيدو وعوليس وفينوس وغيرها، ويحيي رميم كلمات الشعراء الأوائل والشاعرة الأولى إنهيدوانّا، وينقلنا إلى ذلك العالم السحري في مدن بلاد الرافدين، وتدمر، وطرق الحرير، وغابة الأرز والمواني المشرقية القديمة التي لطالما فتنت الشعراء:

«رِفْقاً أيّتها المخيّلة،
حيثما طافَت عينايَ أشعر كأنني أسمع صوت هولديرلن:
أنتِ يا مُدنَ الفراتِ والنّيلِ،
يا شوارع تدمر وجبيل وصور،
أنتِ أيتها الغاباتُ-الأعمدةُ في سهول الصحراء
من أنتِ، وما أنتِ؟»

كذلك لا يفوت صاحب «الثابت والمتحول» استحضار الوجه الآخر لجدلية قيام الحضارات وأفولها عبر استشعار لحظات الخطر التي تحيق بالحضارات وطاقة التاتانوس بالمعنى الفرويدي التي تقود إلى الخراب والموت:

«وماذا نقول لحضارةٍ ولدت في أحضان الفراتِ ودجلة،
وها هي تُنحَر على ضفافهما؟
وماذا نقول لرماد القمح والقطن، وأشلاء الشجر والنباتات؟
للخرابِ هو أيضاً جيوشه وأساطيله،
وماذا تجدي الألوهة، وكواكبها ومجرّاتها؟»

في قلب هذه اللعبة الفنية الشعرية، يوظّف أحد أبرز صنّاع الحداثة الشعرية العربية حمولته المعرفية وشحنته الخيالية مستجوباً الركائز الإنسانية الكونية اللازمة للإبداع والجمال، عبر هذه الرحلة التي تحبس الأنفاس بين القديم والحديث، حيث يكون التلاقح عبر الفن والأدب سبيلاً لحوار تأسيسيّ ممكن بين الشرق والغرب، رغم معادلات الهيمنة والاستعمار وسوء التفاهم الطويل بين ضفتَي المعمورة:

«في الطريق التي سلكها جلجامش من بغداد إلى باريس،
كانت بقرات وحشيّة صديقة لإنكيدو ترعى على جانبيها.
وكانت الطريق جسراً في الفضاء تحرسه كواكبُ اختارها دجلة
والفرات وصديقاهما النِّيلُ والبحر المتوسّطُ الأبيض».

ملفّ

ليس مسلسل «الحشاشين» (تأليف عبد الرحيم كمال ــ إخراج بيتر ميمي) المعروض في الموسم الرمضاني الحالي، الأول الذي يشوّه صورة قوى مهمَّشة ثائرة على بطش الدول المركزية واستبدادها. الصراعات السياسية والعقائدية التي شهدتها القرون الوسطى، ما زالت تجد لها صدى ووقعاً دموياً في فترتنا المعاصرة، بدايةً من الثورة الإيرانيَّة، وانتهاءً بالحراكات الشعبية في عام 2011، التي أدخلت البلاد والعباد في أتون الفوضى

منتوج ثقافي آخر يتجنّى على «الإسماعيلية النزارية»

مسلسل «الحشّاشين»: أباطيل استشراقية وتشويه سرديّة المظلومين

رشيد وحتي

مقارنةً بجيرانها الأقربين والأبعدين، فالحضارة العربية-الإسلامية حديثةُ العهد في التدوين ككتابة تاريخية؛ إذا شئنا أن نضعها إزاء الحضارات الرافدينية والفارسية والصينية واليابانية. وما يعقّد الأمور أكثر عند الحديث عن التاريخ في سياقه العربي- الإسلامي، أنّ الأخباريين ينطلقون في سردهم للوقائع والأحداث من مواقف إيديولوجية (سياسيّة مغلّفة بغلاف العقيدة)، حتى عندما يتحرّون الدقة والموضوعية، يتم تصنيفهم وفقاً لقرائهم حسب مِلَلهم ونِحَلهم. ولنأخذ، مثلاً، محمداً بن جرير الطبري، وهو الأخباري الذي يحوز المنسوب الأكبر من الاتفاق عليه بين جلّ المدارس والتيارات والفرق، لاستيعابه جميع المرويات في تاريخه، سواء أكانت سنية، شيعية أم خارجية.. إلاّ أنّ موته كان ماساوياً، إذ حاصر غلاة الحنابلة بيته إلى أن وافاه الأجل ودُفن فيه، لأنهم اعترضوا حتى على إخراج جثمانه، فقط بسبب موضوعيته في نقل مرويات الشيعة، على رأسها ما تمّ استخراجه من «تاريخ الأمم والملوك أو تاريخ الرسل والملوك» تحت مسمّى «مرويات أبي مخنف حول وقعة الطَّف». إذاً، تضمحل الوقائع الموضوعية في التاريخ العربي- الإسلامي لتصير مرويات شخصية وفقاً لأهواء سياسية/ عقائدية؛ ويتبقى منها القليل مما لا يمكن تزويره أو تذويبه (إعطاؤه طابعاً ذاتياً)، كالطوبونيميا (أسماء الأماكن الجغرافية) والأسامي في سيرة الشخصيات التاريخية من تاريخ ميلاد ووفاة ووثائق موثوقة وعمران ما زال ماثلاً أمامنا.

للوي التوسير مقولة مفتاحية يستهل بها الدراسة الجماعية لـ «رأسمال» ماركس وتختصر إحدى إشكاليات سجالاتنا الفكرية: «وبما أنّه ليس ثمّة قراءة بريئة، فلنصرح بأي قراءة نحنُ مُدانون». وعليه، لا سبيل لنا إلاّ أن ننحاز، إيديولوجياً، إلى مرويات في وجه مرويات أخرى. وسيراً على خطى العلّامتين حسين مروة وهادي العلوي؛ واستمراراً لاشتغالات وانشغالات الدارسين التقدميين طيب تيزيني، ومحمود إسماعيل، وبندلي الجوزي؛ سننحاز للفرق والقوى المهمّشة الثائرة ضد بطش الدُّول المركزية. سننحاز لقيم التمرد على الاستبداد ونصرة مهزومي التاريخ، وفقاً لنظرة تنويرية تقيم الجدل بين العروبة والإسلام في العودة إلى قراءة تراثنا واستلهام لحظاته المضيئة في الحاضر وفي بناء مستقبل كريم لكل أقوام وأعراق وألسن المشرق والمغرب الكبير.

استيهامات ماركو بولو الاستشراقية

عبر تاريخ الحضارة العربية الإسلاميّة، لم تتفق أطراف متناحرة مثلما اتّفقت على مناوأة فرقة «الإسماعيلية النزارية» وتشويه الحقائق واصطناع المرويات عنها. ولم تجتمع الطوائف الإسلامية أكثر مما اجتمعت في كرهها للفرقة الأكثر تفكيراً وتفلسفاً (كان «إخوان الصفا» باعتبارهم أنضج ما أنتجه التفكير الفلسفي المشرقي، إسماعيليين) وللفرقة الأكثر تمرداً على المركزية القرشية الأرستقراطية العربية (مع الخوارج). لنبدأ أولاً من تسمية أحد فروعها بـ «الحشّاشين»، فهي، وإن كانت الرّائجة، إلاّ أنها متأخرة جداً على ما كتبه معاصروها والتابعون لها من أخباريي التاريخ العربي-الإسلامي، إذ ثمّ ربط زعيمها ومعتنقي دعوتها بطقوس إباحيّة تختلط فيها المعاشرة الحرّة بين النساء والرجال مع تناول الحشيش. مروية وجدنا أوّل متن لها في كتاب الرِّحالة الإيطالي ماركو بولو (1254-1324) بعنوان «وصفُ العالَم» (أمْلاهُ من ذاكرته على سكرتيره وهو سجين في مدينة البندقية عام 1298). وهو تأخذ اعتبارها المؤرخون الأوروبيون المتاخرون ممثلة بالتلفيق والفانتازيا. وفي ما يخص موضوعنا بالذات، فقد خصص الفصول 40 إلى 42 لِمَنْ أسماه «شيخ الجبل سنان» مبتدئاً سرديته بـ«روى لي بعض أهل المنطقة»، لينتقل إلى وصف ما اعتبره طقوساً يستعمل بها الشيخ اتباعه في مشاهد بورنوغرافية ومهلوسة تؤسّس للنزعة الاستشراقية في نظرة الغرب إلى الشرق وتمهّد لصناعة شرقٍ لا يوجد إلا في مخيال الغربيين، ناهيك بالالتباس لدى ماركو بولو بين حَسَن الصَّباح (1050-1124) في ألموتْ الفارسية وراشد الدِّين سِنان (1130-1193) في مَصْياف الشامية. يزداد الالتباس لدى المؤرخين والرحالة الأوروبيين (يُعفى الرواشين وحدهم من تحرّي الدقّة التاريخيّة في صوغ مادتهم التخييلية) بشخصية تاريخية ثالثة: قَصّارُ مَرْوَ هاشم بن حكيم المعروف بـ «المقنّع الخراساني» (قُتِلَ أو انتحر في تضارب بين روايتين في عام 783).

أصل التسمية الرائجة

اقترنت هذه التسمية المحجفة بترجمة مغرضة لاسم «الحشاشين» في جلّ اللغات الأوروبية بـ assassins، التي حُرِّفت بدورها عن معناها العربي، لتصير موطّدةً في اللغات الأوروبية بمعناها الحرفي: «القتَلة» أو «السفّاحون» من منطلق عدائي طبعاً بسبب دورهم الفدائي خلال الحروب الصليبية، فمن المعروف أنّ صلاح الدين الأيوبي (صاحب التحوّل المصري من الإسماعيلية الفاطمية إلى السُّنّة الشافعي) حاول استمالتهم في التقاء مصالح ظرفي ضد الفرنجة، كما أنهم المتبنّون لاغتيال حاكم إمارة صور وملك مملكة بيت المقدس الإيطالي كونراد دي مونفيراتو (1192)؛ مثلما عُرِفوا باسم «الفداوية» خلال تحالفهم مع المماليك ضدّ الصليبيين. ونُرَجِّحُ ما يذهب إليه القليل من الباحثين الموضوعيين المتبعدين عن الشيطنة الطائفية والمذهبية، أنّ اسم الحشّاشين والحَشيشيّة، مشتق من مزاولة أهالي جبال الديلم، حيث تقع «قلعة ألموتْ» (بالفارسية «عش النسر»)، لمهنة حَشّ الأعشاب المستعمَلة في المستحضرات الطبية، التي يكثر نموها في تلك المنطقة لما تتميز به من ظروف مناخية خاصة (2100 متر فوق سطح البحر). منطقة تتسم بوفرة التساقطات الثلجية والمطرية، وفقاً لما أسماه ماركس، الفاطمي الأمّ والأصل الشيعي الأكبر بنمط الإنتاج المائي، المعتمد أساساً في الزراعة على هبات السماء مِنْ مطر وثلج ورياح للتلاقح. وهناك من يذهب إلى أنّ الحشاشين تصحيف لكلمة «الحَسَاسين» (الحَسَس: الحرس الليلي الساهر على أمان قِلاع المناطق المتواجدة تحت سيطرة الإسماعيليّة النزارية).

لم يكن لنا من بُدٍّ في أن نمشي عكس الكرونولوجيا التاريخيّة (لكن وفقاً لكرونولوجيا المسلسل كما سنبيّنُ لاحقاً) لدحض التسمية والسردية الأوروبيّتين، باعتبارهما منطلق ومصدر التشويهات المعاصرة التي تتبناها، جزئياً أو كلّياً، جميع المذاهب والطوائف الإسلامية قاطبةً، بما في ذلك الفرع الأم من الإسماعيلية/ الفاطميّة.

في التاريخ العربي-الإسلامي المعاصر لهم والمتأخر عنهم، عُرِف «الحشاشون» بالدّهاء، فقد خصص المقسول 40 إلى 42 لِمَنْ أسماه «شيخ الجبل سِنان» مبتدئاً سرديته بـ«روى لي بعض أهل المنطقة»، لينتقل إلى وصف ما اعتبره طقوساً يستعمل بها الشيخ اتباعه في مشاهد بورنوغرافية ومهلوسة تؤسّس للنزعة الاستشراقية في نظرة الغرب إلى الشرق وتمهّد لصناعة شرقٍ لا يوجد إلا في مخيال الغربيين، ناهيك بالالتباس لدى ماركو بولو بين حَسَن الصَّباح (1050-1124) في ألموتْ الفارسية وراشد الدِّين سِنان (1130-1193) في مَصْياف الشامية. يزداد الالتباس لدى المؤرخين والرحالة الأوروبيين (يُعفى الرواشين وحدهم من تحرّي الدقّة التاريخيّة في صوغ مادتهم التخييلية) بشخصية تاريخية ثالثة: قَصّارُ مَرْوَ هاشم بن حكيم المعروف بـ «المقنّع الخراساني» (قُتِلَ أو انتحر في تضارب بين روايتين في عام 783).

أصل التسمية الرائجة

اقترنت هذه التسمية المحجفة بترجمة مغرضة لاسم «الحشاشين» في جلّ اللغات الأوروبية بـ assassins، التي حُرِّفت بدورها عن معناها العربي، لتصير موطّدةً في اللغات الأوروبية بمعناها الحرفي: «القتَلة» أو «السفّاحون» من منطلق عدائي طبعاً بسبب دورهم الفدائي خلال الحروب الصليبية، فمن المعروف أنّ صلاح الدين الأيوبي (صاحب التحوّل المصري من الإسماعيلية الفاطمية إلى السُّنّة الشافعي) حاول استمالتهم في التقاء مصالح ظرفي ضد الفرنجة، كما أنهم المتبنّون لاغتيال حاكم إمارة صور وملك مملكة بيت المقدس الإيطالي كونراد دي مونفيراتو (1192)؛ مثلما عُرِفوا باسم «الفداوية» خلال تحالفهم مع المماليك ضدّ الصليبيين. ونُرَجِّحُ ما يذهب إليه القليل من الباحثين الموضوعيين المتبعدين عن الشيطنة الطائفية والمذهبية، أنّ اسم الحشّاشين والحَشيشيّة، مشتق من مزاولة أهالي جبال الديلم، حيث تقع «قلعة ألموتْ» (بالفارسية «عش النسر»)، لمهنة حَشّ الأعشاب المستعمَلة في المستحضرات الطبية، التي يكثر نموها في تلك المنطقة لما تتميز به من ظروف مناخية خاصة (2100 متر فوق سطح البحر). منطقة تتسم بوفرة التساقطات الثلجية والمطرية، وفقاً لما أسماه ماركس، الماركسي بيار ماشري «سياقات إنتاج النّص». ومن ضمن مشاربها الظروف الجَدِ التاريخي والعقائدي المختَصر، لأنّه يقع في صلب أحداث المسلسل وفي تناوُلِه الفنّي والإيديولوجي، بل إنّ الصراعات السياسية والعقائدية للقرون الوسطى التي استعرضناها آنفاً، ما زالت تجد لها صدى ووقعاً دموياً في فترتنا المعاصرة، بدايةً من الثورة الإيرانيّة، مروراً بالنقط الملتهبة في إيران والعراق وسوريا وتركيا وأفغانستان وباكستان ومصر، وانتهاءً بالحِراكات الشعبية في عام 2011، التي أحدثَ أوارها تنظيمات سلفية جهادية وأجهزة استخبارات غربية وأنظمة وقيادات عسكرية حليفة للغرب الاستعماري.

بين الأداة الدعائية والتلفيق التاريخي

بعد هذه التوطئة التاريخية، سنحاول الآن تقديم ملاحظات حول الحلقات الثمان الأولى من مسلسل «الحشّاشين»، واضعين الإصبع على مغالطات تاريخيّة بغطاء العقيدة ومزيّنة بغلاف جماليات الصناعة السينمائيّة.

يقدّم لنا علم اجتماع الأدب والفن مفهوماً مفتاحياً لدراسة غايات كل إنتاج ثقافي عبر ما يسمّيه المنظر الماركسي الإيطالي أنطونيو غرامشي «الكتلة التاريخية»، أي التحالف الطبقي الذي يقود المجتمع في لحظة تاريخية معيّنة، بما يضمن هيمنة الطبقة المسيطرة على المجتمع ككل، وهو ما يسمّيه غرامشي «الهيمنة الثقافية». وبالتالي، فإنّ أي عمل فني أو أدبي يعكس بالضرورة، وبدرجات متفاوتة، مصالح الطبقة المسيطرة وأيديولوجيتها، وهو ما يسمّيه لوي ألتوسير «الوظيفة الأيديولوجية العامة للفن». وبالتالي، فإنّ أي عمل فني أو أدبي يعكس بالضرورة، وبدرجات متفاوتة، مصالح الطبقة المسيطرة وأيديولوجيتها، وهو ما يسمّيه لوي ألتوسير «الوظيفة الأيديولوجية العامة للفن».

أما عن العداء الشديد لهم من قبل كل الفرق والمذاهب، فهو نابع أولاً من كونهم فرقة باطنيّة، تتعارض مع ظاهريّة كلّ الفرق السُّنّيّة في قراءة المتن القرآني. أمّا شيعيّاً، فالإسماعيليّة منشقّةٌ عن المذهب الإثنا-عشري (ولو أنهما يتقاسمان الاستناد إلى الفقه الجعفري في أمور العقيدة والفُتْيا). وفي تفصيل مهم، وُلِدَ حسن الصّباح في قُمّ ونشأ فيها إثنا-عشرياً، ولم يتحوّل إلى الدعوة الإسماعيليّة إلا في عام 1076، عند تأديته يمين الانضمام إلى دعوتهم في مدينة الرَّيّ أمام نائب عبد الملك بن عَطّاش، داعي دُعاة غرب فارس والعراق آنذاك. والإسماعيليّة ـ على مستوى الإمامة والخلافة . تسمّى سَبْعيّة لأنها، ضمن تسلسل إمامةِ آل البيت، تشرع بالإمام الأوّل علي بن أبي طالب وتنتهي بالإمام السابع محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق. كما أنّ النزاريّة فرعٌ منشق عن الإسماعيلية الأم لدى الفاطميين. وقد تسنّوا بالنزاريّة بعد موت الخَليفة الإمام المُفاضِل المستنصر (1094) واحتدام التناحُر بين ابنيه البكر أبي منصور نزار، الذي أوصى له أبوه بالخلافة، والأصغر أبي القاسم أحمد، الذي تولّى الخلافة غصباً بتواطؤ وتآمر مع الأفضل بن بَدْر الجمالي، ليُبايَع باسم المستعلي بالله، بعد تصفية تمرّد شقيقه الأكبر. انقسمت الإسماعيلية، منذئذٍ، إلى فرعين متناحرين: النزاريّة والمستعلية، كلٌ حسب من يراهُ الأحقّ بالخلافة. وكان حسن الصباح، منذ مبايعته للمستنصر في بلاطه القاهري حتى مماته، متشيعاً لنزار، لذلك تسمّت الفرقة التي أسسّها إسماعيليّة نزارية، مثلما وُجِّهت لنفسها تحت مسمّى «الدعوة الجديدة». كلّ هذا التاريخ من الانشقاقات والصراعات والمُثابَعات جعلت من حسن الصّبّاح عدواً شخصياً وخصماً سياسياً لكل فرق السنة والشيعة، بما فيها الفرع الإسماعيلي

لماذا تعادي هاكل الفرق الإسلاميّة

أما عن العداء الشديد لهم من قبل كل الفرق والمذاهب، فهو نابع أولاً من كونهم فرقة باطنيّة، تتعارض مع ظاهريّة كلّ الفرق السُّنّيّة في قراءة المتن القرآني. أمّا شيعيّاً، فالإسماعيليّة منشقّةٌ عن المذهب الإثنا-عشري (ولو أنهما يتقاسمان الاستناد إلى الفقه الجعفري في أمور العقيدة والفُتْيا). وفي تفصيل مهم، وُلِدَ حسن الصّباح في قُمّ ونشأ فيها إثنا-عشرياً، ولم يتحوّل إلى الدعوة الإسماعيليّة إلا في عام 1076، عند تأديته يمين الانضمام إلى دعوتهم في مدينة الرَّيّ أمام نائب عبد الملك بن عَطّاش، داعي دُعاة غرب فارس والعراق آنذاك. والإسماعيليّة ـ على مستوى الإمامة والخلافة . تسمّى سَبْعيّة لأنها، ضمن تسلسل إمامةِ آل البيت، تشرع بالإمام الأوّل علي بن أبي طالب وتنتهي بالإمام السابع محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق. كما أنّ النزاريّة فرعٌ منشق عن الإسماعيلية الأم لدى الفاطميين. وقد تسنّوا بالنزاريّة بعد موت الخَليفة الإمام المُفاضِل المستنصر (1094) واحتدام التناحُر بين ابنيه البكر أبي منصور نزار، الذي أوصى له أبوه بالخلافة، والأصغر أبي القاسم أحمد، الذي تولّى الخلافة غصباً بتواطؤ وتآمر مع الأفضل بن بَدْر الجمالي، ليُبايَع باسم المستعلي بالله، بعد تصفية تمرّد شقيقه الأكبر. انقسمت الإسماعيلية، منذئذٍ، إلى فرعين متناحرين: النزاريّة والمستعلية، كلٌ حسب من يراهُ الأحقّ بالخلافة. وكان حسن الصباح، منذ مبايعته للمستنصر في بلاطه القاهري حتى مماته، متشيعاً لنزار، لذلك تسمّت الفرقة التي أسسّها إسماعيليّة نزارية، مثلما وُجِّهت لنفسها تحت مسمّى «الدعوة الجديدة». كلّ هذا التاريخ من الانشقاقات والصراعات والمُثابَعات جعلت من حسن الصّبّاح عدواً شخصياً وخصماً سياسياً لكل فرق السنة والشيعة، بما فيها الفرع الإسماعيلي

في الملصَق الترويجي للمسلسل، وضع مصمّموه تحت العنوان الرئيسي عنواناً فرعياً: «أباطيل وأبطال... من وحي التّاريخ»، ما يفترض، بالضرورة، الاستناد إلى التاريخ العربي-الإسلامي، مع ما فيه من رؤى إيديولوجية متضاربة وسرديات أخباريي فِرَقٍ ضد فِرَقٍ مناوئة، تلتبس فيها الحقائق بالتلفيقات. كما يفترض بالإنتاجات التاريخية، ابتداً التفكير النقدي أولاً، قبل أن تكون آلة دعائية، أن تنصف مهزومي التاريخ. فعندما صنع الأميركان فيلماً عن الحركة السبارتاكية وأخر عن الحركة الغيفارية كانوا منصفين إلى حدٍّ كبير في إعادة الاعتبار لهاتين الحركتين؛ كما أنّ عظمة فيلم Little Big Man (1970)، في عز الحرب على الفيتنام، تمثّلت في إعادة النظر الجذرية في رؤية السينما الأميركية للهنود الحمر وإنكار إبادتهم، عبر إعادة الاعتبار إليهم في نقطة تحول أساسية في تاريخ السينما الأميركية. وهذا ما سيتعزّز في تحفة أخرى مع فيلم «الرقص مع الذئاب» (1990)؛ فالسينما الحقيقية تنتصر لمهمَّشي التاريخ ومهزوميه. لكن يبدو أنّ مسلسل «الحشاشين» يتخذ منحى مخالفاً، ويطلق العنان للتخييل المغرض بدل التمسك بالتدقيق في الأحداث التاريخية (للإشارة، فالمنادون بحرية السيناريست في التخييل يتماهَوْن مع أولئك الذين أنكروا على سلمان رشدي جنوحَ خياله في «آيات شيطانية» رغم الفارق الكبير بين الحالتين: فالمسلسل يدّعي الاستيحاء من التاريخ، بينما سلمان رشدي جَنّس كتابَه كرواية وافتتحها بحدث غرائبي/ خيالي؛ وبما أنّ الشيء بالشيء يُذكَر: سلمان رشدي ابنُ مدينة بومباي، ابنُ الهند الإسلامية المغولية الإسماعيلية تربيةً ونشأة).

> **الدولة المركزية تحتكر العنف الذي يشرعنه لها المؤرخون. أي بمقاييس اليوم: «حماس» تمارس «الإرهاب» وإسرائيل «تدافع عن نفسها»**

يبدأ المسلسل بمشهد قدوم رسول ملك «مملكة فرنسا وباريس» لرؤية حسن الصبّاح في «قلعة الموت»، عارضاً عليه اتفاقية عدم اعتداء وتحالفاً سياسياً بين حركة الإسماعيليّة النزارية وفرنسا. وكان الرد من حسن الصباح أن استعرض على الرسول الفرنجي مشهد فداء تقدم فيه أحد جُند حامية القلعة إلى أعلى السور، ملقياً بنفسه من عَلٍ ليرتطم بالأرض جثةً هامدة. كلّ هذا الولاء الأعمى للزعيم وشهية الموت والقتل التي تمّ الترويج لها حول «الحشاشين» يتبنّاها المسلسل جملةً وتفصيلاً، بل هي رؤية تتأسس عليها كل هذه النظرة المصطنَعة والمركّبة من وجهة نظر غربيّة (الرحالة، الدبلوماسيون والمستكشفون الغربيون الذين شرعوا في التغلغل في المشرق العربي القرسطوي خلال الحروب الصليبية تمهيداً لكولونيالية الكشوفات الجغرافية).

حتى اللغة السينمائية لم تنجُ من التوظيف لغايات ومرام سياسويّة، إذ تمّ استعمال الخدع البصرية السينمائية، في أحد المشاهد، لتأكيد قدرة حسن الصبّاح على الانشطار إلى أكثر من شخص والتواجد في أكثر من مكان في الوقت نفسه.

يعاني المسلسل أيضاً من التخبط في التسمية بين الحسن بن الصباح (في تقديم الحلقة الأولى) وحَسَن الصَّبّاح (وهي الأصح) في باقي المسلسل. كما أن اعتبار المسلسل الباطنية فرقة كاملةً ومنسجمة، بينما هي قراءة للنص وكل متن الكون تجمع بين طيف من الفرق لا تأخذ بظاهر المقروء، فيه انتصار غير موضوعي للفرق السنية دون غيرها. انتصارٌ مُغرِضٌ بما أنه يلعب على التباس المصطلح. التباس يسري حتى على اختيار المعمار، الذي تطغى عليه العمارة الأندلسية والمغولية والمملوكيّة في تصميم الحواري والأسواق والقصور، في حين أنّ العمارتين الفاطمية والسلجوقية تتسمان بطباع خاصة وسمات فريدة لا توجدان في غيرهما. سيراً على النهج نفسه من المغالطات التاريخية، يورد المسلسل أن الوزير بدر الدين الجمالي (1015-1094) هو من رفع المستعلي بالله أحمد إلى سدة الخلافة والإمامة خلفاً للمستنصر بالله (1029-1024) الذي لم يتوفَّ إلاّ بعد حوالى 35 يوماً من وفاة وزيره، في حين أنّ المتابعين بوراثة الخلافة الفاطمية هو ابن بدر الدين الجمالي الوزير الأفضل شاهنشاه (1066-1121).

وتبقى جريرة الجزائر في الافتئات على التاريخ، جعل سيناريو المسلسل الوزيرَ نظام المُلك (1018-1092) وحسن الصباح (1037-1124) وعمر الخيام (1048-1131) أترابَ طفولة ورفاقَ دراسة مع الفرق الكبير في الخلاصة، عندما وجّه رئيس الوزراء الباكستاني السابق عمران خان انتقادات إلى الأميركيين، في محاولة لوضع باكستان على مسار التبعية الاقتصادية، انبرى لإجهاض هذا المشروع الأميركيون وتابعوهم من إسلاميين وعسكر وطغمة مالية. هو التحالف نفسه تقريباً، وهو مجتمعٌ على تشويه صفحة من تراثنا العربي- الإسلامي: رجّالة غربيون، مستكشفون جغرافيون مموّلون للاستعمار، صليبيون، سلفيون، طرق صوفية وأصناف أخرى من رجال دين رهن إشارة العسكر والغرب، رأسمال طفيلي... لصنع مسلسل يلفق أحداثاً بتصفية الحسابات مع خصم قديم ويُستَغَل أداةً لتصفية الحسابات مع خصم الحاضر. فلماذا العُنْوَنة بـ «الحشاشين» العامية، وليس «الحشاشون» الفصيحة؟ ولماذا استعمال المحكية المصرية، وليس العربية الفصحى التي يتم اللجوء إليها دائماً كلما كان السياق عربياً إسلامياً، إلّا إذا أفتت الأمر «ضرورات» داخلية مصرية صرفة؟

ملاحظتان:

1. اعتمدنا التقويم الميلادي في ضبط كل التواريخ؛
2. بما أنّ تسمية «الحشاشين» واردةٌ إلينا من الكتابات الاستشراقية، فإننا نستعملها بتحفظ، بين مزدوجين.

مصادر ومراجع

فرهاد دفتري: «خرافات الحشاشين»، دار المدى، دمشق، 1996.

فرهاد دفتري: «معجم التاريخ الإسماعيلي»، دار الساقي، بيروت، 2016.

هادي العلوي: «مدارات صوفية، تراث الثورة المشاعية في الشرق»؛ دار المدى، دمشق، 1997.

Althusser [Louis]: Du “Capital» à la philosophie de Marx”, in Louis Althusser et Étienne Balibar: Lire le Capital I, François Maspero, Paris,1973.

Lewis [Bernard]: Les assassins, traduit par Annick Pélissier, Les belles lettres, Paris, 2019.

Maalouf [Amin]: Samarcande, Le livre de poche, Paris, 1989.

Macherey [Pierre]: Pour une théorie de la production littéraire, coll. “Bibliothèque idéale des sciences sociales”, Ens éd., Lyon, 2014.

Polo [Marco]: La description du monde, Livre de poche, 1998.

«سقوط قلعة الموت» عام 1256 (1430من كتاب «جامع التواريخ» لرشيد الدين فضل الله الهمذاني)

فصل من رواية

عبور شائك (*)

باسمة التكروري (**)

تمهيد لا ضرورة له

تكاثفت الصدف ذلك اليوم لتجعل من حياة كل واحد من ثلاثتهم جحيماً، في يوم شديد البرودة من أواخر أيام شهر آذار الباردة. وسيعرف من يعود إلى ذلك اليوم، أن عوالم انهدت بعده، وحقائق وأكاذيب، وأوهاماً نزلت تحت الأنقاض. إنه يوم خرجت فيه سبع سنوات عن نفسها لتنتج صورة هدمت كل وهم في بلدهم.

منار، ابنة الحي العشوائي الضيق على التلة المقابلة لباب المغاربة في القدس، ببيئته السوداء والمريضة، حيث تكثر المصائب والانحرافات، والفقر والعوز والعيش على هامش حياة المدينة السريعة، في بيوت نصفها مغر ونصفها غرف بناها أهل الحي على عجل، للتماهي مع البنيان المعماري للمدينة التي غزت أحياؤها مغرهم في حي الزنار المتاخم لمقبرة اليهود، بين ضاحيتي رأس العامود وسلوان المتلاصقتين، شيئاً فشيئاً، إلى أن صار حي الزنار زناراً فعلياً يتوسط سلوان ورأس العامود. وزياد، ابن عم منار، من عائلة رأس العامود المتنفّذة، والذي أحب عمه والدة منار وتزوجها رغم رفض عائلته الشديد مصاهرة سكان حي الزنار. زياد الذي كان في طفولته مدللاً، كونه الحفيد الأكبر للعائلة الأكثر سلطة مادياً ومعنوياً في رأس العامود، صحا فجأة على كونه مطالباً بين يوم وليلة برجولة لم يعرف معناها بعد.

وشذى، ابنة الريف التي كبرت مع الأزهار البرية، وتعلمت كيف تكبر لتتعرف إلى خيارتها في واقع المدينة وحياتها، جاءت بها الأقدار لتشارك الاثنين سنتين من عمرها في حي الزنار، قبل أن تنتقل أسرتها إلى حي بيت حنينا، ابتعاداً بها وبإخوتها عن مناطق اندلاع الانتفاضة الأولى في بئر أيوب المتاخمة لسلوان.

في يوم الانهيارات الكبيرة، حمل كل واحد منهم همّه بين كتفيه، ومضى محاولاً أن يملّص به من حاجز قلنديا. الحاجز الأكبر حول مدينة القدس، الذي نصبته قوات الاحتلال على المفترق الرئيسي الذي يفصل بين محافظتي القدس ورام الله، ويعد المفترق الرئيسي الذي يربط حركة المواصلات العامة بين معظم المدن الفلسطينية ورام الله والقدس.

على هذا الحاجز، قاتل الوقت، الذي لا يرحم صبياً ولا شتاء، لا أطفالاً ولا كباراً. مُحال ألا تلتقي الجبال، والناس، والأمتعة والقصص، وخصوصاً أن على كل منهم أن يقضي منتظراً فرج الله ساعات وساعات. كان الوقافين أمامه في انتظار الأمر يوم الحشر.

ويومها، كان القرار العسكري يقول، من داخل الحاجز داخله، ومن خارجه خارجه، لا عبور ما بين الجانبين، وعلى الجانبين طوال الساعات التسع تلك، كانت قصص تولد، وقصص تموت.

كان ذلك يوم الثامن والعشرين من آذار 2002، يوم الاجتياح، وفيما كانت الدبابات تجتاح الإسفلت تحت جنازيرها متجهة إلى رام الله، كان ثلاثتهم يشقون طريقهم وسط الحشد لمغادرة المدينة.

زياد

استيقظ زياد ذلك الصباح وهو متأكد تماماً بأنّ ما فعله في الليلة السابقة كان السبب. خرج بملابسه المبهدلة وملامحه المتعبة كمن لبسه جنيّ، حين وصلته الأخبار.

ماذا يعني موت والده. لم يقترب منه ولم يعرف كيف يرتبط به من قبل. بل إنه دائماً ما خجل به، وعاش حياته ينزع عنه أي شبه به. إلا أنه الابن الأكبر، ولا يمكنه التهرب من مسؤولية الابن الأكبر، خاصة فيما يتعلق بتفاصيل وإجراءات الاستلام وترتيب التغسيل والدفن، وخبر الجريدة، والاتصال بالمقبرة، والمقرئ واستئجار الكراسي وشراشف الميتم الحمراء، والاتفاق مع المغسّل، وإعلام إمام الجامع بوقت الميتم ليعلنه على السماعات، وترتيب غداء الميتم، والقهوة، والتمر والكنافة الخشنة، ومهام استلام أكياس السكر والبن والبيت الذي ستخزن فيه، كلها تفاصيل هجمت على رأسه كمطارق لا ترحم فجأة، لحظة أغلق السماعة مع أمه. كل ما استطاع فعله هو تغسيل وجهه على عجل صباحاً، أول ما عاد إليه وعيه، وتمكّن من الاتصال بأمه.

قاتل ذُباب وجهه بعد تلك المكالمة وهام في طريقه، فيما قطع المسافة من حوش بيت صديقه سمير محاذياً قن الدجاج، راكلاً الديكين العدائين من أمامه، وهو مطاطئ رأسه خشية أن يراه أحد خارجاً من بيت أم سمير، أو يراه أحد خارجاً من حي الزنار من أساسه.

وعلى تكبر عائلته على النُّور الذين يستاجرون منهم قسم الحيّ الأدنى لرأس العامود، والذي سماه النور حي «الزنار» تيمناً بـ«زنار»، الفتاة النورية التي جننت شباب رأس العامود في أولى سنوات وصول النور عبوراً من جسر الملك حسين، قاطعين الطريق عبر مدينة أريحا وصولاً إلى القدس، ليستقر نصفهم في حي باب حطة في البلدة القديمة، بينما يتخذ نصفهم الآخر، مغر رأس العامود ملاذاً ومكاناً لبغالهم وحصنهم، إذ وفر السهل المقابل لسور البلدة القديمة والمنطقة الأثرية مساحة فسيحة وفرصة للشحاذة من السيّاح الأجانب الذين يجوبون شارع طنطور فرعون، مروراً بمقاطعة النور، أسفل حي رأس العامود، وصولاً إلى برك سليمان حيث يسبحون ويتبركون بالتاريخ، ويعودون أدراجهم سالمين إن أدركهم الحظ ولم يقعوا بين براثن أبناء النور الذين طوروا الشحاذة في ذلك الشارع، لتصبح أشبه بدفع الخاوة: إما أن يدفع السائح أو أن يغادر الحيّ مسلخ الجلد بسلخات عيدان القصب التي كانت تنمو، لسوء حظ السياح، بكثرة حول مجرى الماء الذي صنعته برك سليمان على طول شارع طنطور فرعون الترابي. ورغم أن أهل رأس العامود نسوا واختلفوا فيما بعد على سبب تسمية حي النور باسم حي الزنار، وعلّلوه بأنه، إلى الحي، يفصل العالمين، عالم أهل رأس العامود الأصليين، والنور، إلا أن امرأة واحدة في عائلة أبو مخلب تعرف أصل التسمية تماماً. «الرسن»، وهي حفيدة «زنار» من ابنتها، ووحيدتها، التي أنجبتها من دون زواج من علي، أوسط أبناء عائلة أبو مخلب، والذي ورث عن والديه كل شيء بعد مقتل أخويه الأكبر والأصغر في عراك دموي مع رجال النور بسبب علاقته بزنار. كبرت «ميساء» في كنف عائلة أبو مخلب، سليلتهم ومدللتهم، التي أنستهم تاريخ زنار من رأسه إلى ساسه، حفيدة علي أبو مخلب، التي ستصبح أقوى وأشر بنات عائلة أبو مخلب، وتحمل اسم «الرسن» بعد سنوات طويلة، لتحكم الحيّ وأجرة البيوت والأراضي الشهرية بقبضة من حديد، على كرهها للنور وسيرتهم.

ومن سوء حظه، كان علي زياد اليوم، أن يتجه إلى رام الله، ليوقع على بعض الأوراق ويتسلم جثة والده.

اقتنع زياد أن هذا كان زلزاله الخاص. صحصح على خبر موت والده وبدا يعي ما حوله قرابة الساعة الحادية عشرة والربع، أي إن الحافلة التي تمر كل ساعة قد فاتته، وعليه أن يمشي إلى محطة الحافلات المركزية. وهي مسافة لم تؤرقه من قبل. فهو يأخذ الطريق المختصرة من جانب مقبرة اليهود، ويصعد التل حتى باب المغاربة، ويقطع البلدة القديمة مروراً بباب حطة، حتى يخرج من باب الحي ووسط الصلبة من بين يديه سليمان، وما هي إلا خطوات حتى يصل موقف باصات رام الله عند مبنى البريد في شارع صلاح الدين. مسافة ربما قطعها ثلاث أو أربع مرات يومياً، بين الحي ووسط البلد. لكن ليس اليوم. اليوم مع هذا الصداع القاتل والغثيان، لا شيء يسعفه. والخبر بغض النظر عن كل تفاصيل علاقته المبتورة بوالده، غض باله، وأوهنه. فهو عبء مهما قلب الأمر في رأسه، مليون تفصيل عليه أن يقوم به. ورغم أن الجيران والأهل يلتفون حول أهل الميت ويساعدونهم في الميتم، إلا أن الترتيبات الأولية تبدو أشبه بل أعقد من تنظيم وإدارة مهرجان، وفيها من التفاصيل التنظيمية والحجوزات ما يجعلها تفوق تنظيم المهرجانات صعوبةً، كون الوقت عاملاً حاسماً، إذ إن الميت يجب أن يدفن عقب صلاة الظهر، وعليه فإن كل تفاصيل الجنازة، والتغسيل، والإعلان، يجب أن تتم في وقت ماراثوني.

مع حسبان وجود الجثة في رام الله، فهذا يعني أن الدفن لن يتم اليوم. وعليه، فقد مشى زياد محاكياً نفسه، شارداً في القبور المصطفة، في مقبرة اليهود، وهو يفرقع أصابعه، راكلاً الأحجار، متمتماً بسباب فيما هو يحسب ألف حساب، إذ سيكون عليه أن يرتب لسيارة نقل الموتى، كي تنتظره على جهة القدس من حاجز قلنديا العسكري، وأن عليه بالتالي أن يقطع الحاجز بالجثة ويقنع الجنود بأن والده من القدس، ومن بعدها سيتعين عليه تصديق شهادة الوفاة من المحكمة الشرعية، وبعدها ما هو أصعب..

أن يبقى مع جثة والده لليلة كاملة!

لم يستطع أي تفصيل في باله أن يقنعه بأن كل ما حدث صباح اليوم هو الزلزال بعينه. زلزاله الذي تسبّب به في لحظة ضعف.

حمل زياد حجرين وألقى بهما نحو صبية من صغار النور تحلّقوا أمامه حول سائحة مسكينة. أفرغ غضبه كله في أحدهم، وكان يعرف أخوته الكبار، ودائماً ما أبرحهم ضرباً في طفولته، ركله ولطمه، حتى ملص الصبي من بين يديه بأعجوبة وفرّ لاحقاً بباقي الصبية الذين تفرقوا باتجاه صخرة الزنار والمقبرة. ركضت السائحة هرباً من الصبية ومن زياد، فلم تعرف إن كان عليها شكره، أو الهرب منه، فقد يكون ضربه للأطفال لأنهم يشحذون في منطقته، وربما يكمل عليها بعدهم.

أخرج زياد شوكة دخلت في إبهامه وهو يكمل موجة سبابه، ولم يدر لم اجتاحه البكاء. وحيداً كان، وكانت أشجار الدير تتحرك بنفحة هواء آذاري باردة، كأنما تخفف من هذا الحزن غير العادي الذي ضربه فجأة. جلس زياد بمحاذاة سور الدير الحجري القصير، يمسح سيل الدموع، ويجار باكياً.

لم يفجعه الموت من قبل. ليس وهو واع به على الأقل. على كثرة المآتم التي حضرها كونه الابن الأكبر لوالده، وسداً لفراغ والده الذي لطالما تغيّب عن واجباته الاجتماعية، لم يقترب الموت من زياد بهذا الشكل من قبل. لم يمرّ بذهنه هاجس أنه سيتعامل مع موت والده. فوالده لم يتجاوز الخامسة والأربعين. كان شاباً ضخماً صحيح الجسم، لولا أن أهزله إدمانه الشديد على تعاطي المخدرات في سنواته الخمس الأخيرة، لكن زياد لم يفكر ولو لثانية في الموت. لم يطرق باله أن فقدان هذا الجزء المبتور أصلاً من صورة العائلة سيعيبه بهذا الشكل.

لم يدر زياد كم مرّ عليه وقت وهو على جلسته تلك. قرصته معدته. مد يده إلى شجرة الخشخاش، قطف خشخاشتين، ومضى ماسحاً وجهه، فيما قضم قشرة الخشخاش من غنيمته وذابت في فمه قشعريرة الطعم الحامض والمر للخشخاش الأخضر. هذا صداعه مع الرائحة العطرية لقشر الخشخاش، وهذا لوكه للقشرة من غنيمته. مشى متعباً في سيره وقد شعر ببعض القدرة على المواصلة تعود إليه. غيّر رأيه ومشى بضع خطوات عند باب المغاربة ومد يده مؤشراً للسيارات ليتحصل على توصيلة نحو باب العامود، فيضمن مكاناً في حافلة رام الله، إذ لم يرد بعد أن يغامر ليستقل الحافلة من شارع صلاح الدين، إن كانت ممتلئة أو متأخرة، فقد لا يتوقف السائق على ذلك الموقف، وهو في غنى عن أي تأخير آخر.

شكر زياد السائق الغريب الذي أنزله قرب دوار باب العامود. وما إن نزل من السيارة حتى اجتذبته رائحة الزعتر والفلافل من عربة بائع خبز كعك السمسم في أول شارع نابلس، حيث محطة الحافلات المركزية.

نظر رائد في ساعته، كانت الحافلة ستتحرك بعد ربع ساعة. اشترى كعكة بالسمسم مع زعتر وقرص فلافل محشو بالبصل والسماق الذي فاحت رائحته حول الكشك. استند إلى سور مدرسة راهبات الشميدت، متفيئاً بظل الشجيرات الساقية التي امتدت على حافة السور العالي. خرجت مجموعة من بنات المدرسة برفقة راهبتين مشيأ قاطعات الشارع الرئيسي ومواصلات نزول درجات باب العامود أمام زياد بمرايليهن الكحلية القصيرة التي غطت حتى الركبة وجراباتهن البيضاء المنمقة. تلك المرايل التي تختلف عن باقي مرايل بنات المدارس الإعدادية الحكومية المخططة بالأبيض والأخضر، أو الكحلية لبنات المدارس الثانوية، إذ كانت المدارس الحكومية تشترط على الطالبات ارتداء بلاطين الجينز تحت المرايل. لم تلاحق عينا رائد سيقان الفتيات اليانعة كعادة الشبان في جيله، ولا انتبه للشبان الذين بدؤوا المشي قرب سرب الفتيات، مطلقين الصفير وكلمات التعليقات المعهودة. «يا ريتني دفتر»، «امش على رمشي»، «أموت طخ»...

ماتت أصوات همسات تحرّش الشبان ببنات المدرسة، في أذني زياد، إذ قضم كعكته بعدما رشّ فوقها الزعتر الملح متخلصاً من قطعة الجريدة التي لف له بائع الكعك الزعتر بها، معلقاً بصره بالحافلة التي كان سائقها ينادي على الركاب قرب كشك المسليات والعصائر.

استقل زياد الحافلة بعدما خدر الوقوف والتعب ركبته، وما إن تحركت الحافلة حتى غفا حاضناً كيس الكعك والفلافل في حجره كوليد مدلل، ولم يصح إلا ويد السائق تهزه من كتفه.

«احنا على قلنديا، الباصات ممنوع تدخل، بدك تنزل تصف عالحاجز»

(*) فصل من رواية بالعنوان نفسه تصدر قريباً.

(**): رام الله

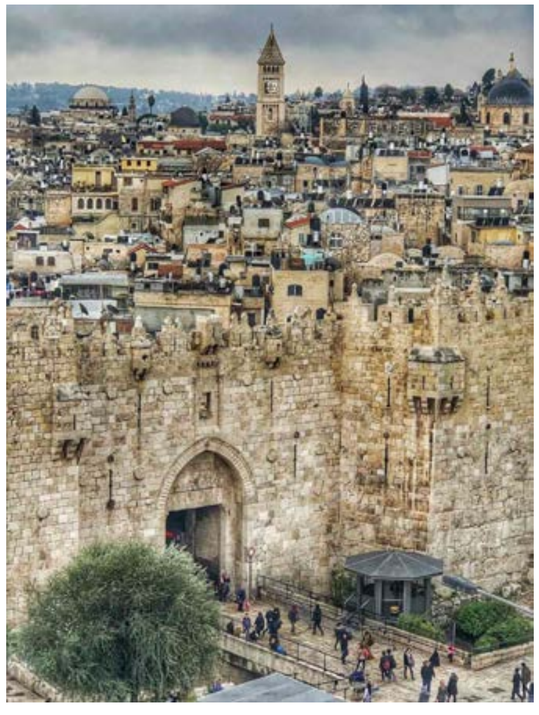

باب العامود (وكالة وفا ـ 2023)

قصائد

لغةٌ ليستْ واحدةً (*)

أحمد الملّاح

ترجمتها عن الإنكليزيّة

هدى فخر الدّين

1- إنكليزية ضرّة

تحرّ فيَّ لغةٌ ليست واحدةً،
فاجد هذا اللسان الإنكليزي الذي
أستعمله كلّ يوم مملاً،
حتى في الشعر. يَحزُّ فيَّ،
يقطعني في منتصف الجملة،
في منتصف الشعور.

لا أفهم هذا الصوت، أرتبك
وأقول لنفسي: فلأتجاهلْ هذه
الكلمات الخاويات،
وأمشي في الشارع رافعاً يدي،
محيّياً أناساً أعرف أني لا أعرفهم.

أمشي في شوارعَ لا أملك فيها إلّا
أصداء تملكني،
تحرّ فيَّ هذه اللغة، هذا اللسان
الذي أريد أن أحبسه خلف
أسناني فيصرخني،
تتراكم جوازاتُ سفرٍ قديمةٌ
وجديدةٌ

فوق كتاباتي، فيحزّ فيَّ أن
أستعيد
مداخلي إلى هذه اللغة
ومخارجي منها،
وما هي إلّا خطوة أولى، أقول
لنفسي،
خطوةٌ لأملكَ بعضَ هذا الصوت

وأنا المدين بكلّ شيء إلى مكان
أوّل يملكني:
ليس هنا، حيث ما أملكه ليس
لي، بل زمن مضى وسنوات
كثيرة نجوت بها، لأن هذا اللسان
الإنكليزي يطعنني،
لأن هذا اللسان الغريب ما زال
يَعدني
بلغة.

2- ملموم

لا تهدر حبراً ولا سطراً واحداً،
لا متسعَ لكلّ هذا التفكير فيكَ
وفي سؤالك على هذه الصفحة:
أنتَ أنتَ، لا أنتَ
أنتَ،
كما قال شاعر قديم مرةً وظلتْ
تُردّد بعده الأفواه،
– كم سنةً؟ – ها هي شرفتك
وهذا انتظار ربيعك يا أبا تمام

كلمتُك كثيراً ما تكونُ والعالمَ
واحداً:
أنت اكتشاف المنفى الحقيقي
والنفْس تهيم وتتبناك لتبقى
فيك
ملمومةً
أحمدُ الله على ممكنٍ
واحدٍ،
على الحجر واقفاً تحفُّ به
مرة بعد مرة
حوادثُ الدهر،
وهناك الكلمة والصوت
والصدى الذي يجمعنا
ويبقينا معاً،
كلاً في وحدته.

3- خريطة

في الجو
نُمَرّ
فوقَ أماكن
أعرف أني لن أبلغها:
كلّها هنا
على الشاشة
أمامي
هنا، أمامي
حتى أراها
على الشاشة فقط

أنظر من النوافذ:
نعم
نحن فوق الغيم الآن
ولا شيءَ يَبينُ.
فوق عمّان،
نعبر
الغيم الأبيض

الآن فوق القدس:
أبحث على الشاشة
عن اللغات: أعربية
هذه الكلمات أمامي؟
لماذا..
لا أستطيع قراءتها

ربما
أقول لنفسي
ربما
أحتاج
أن أكون هناك
على الأرض
لكي
أقرأ
الأرض.

4- بيت لحم وقتذاك

يسوع: نبيّ أو إله
لأنه في الورشة كان
يصنع كما صنع النجارون
وقتذاك:
كراسيَ وطاولاتٍ.
من الخشب ذاتي
الكلمة،
وبما أن المرء ينزع
إلى التخفي
وراء صنيع ما،
فلا يكون نبياً أو إلهاً
بلا غطاء، بلا شيء
يشغله
ريثما تشيع الكلمة،
وبما أن المعادن لم تكن
ليعبث بها العوام
كان لا بدّ من الخشب،
ذاك اليباس الوحيد
القابل للاشتعال،
الدافئ – كما الكلمة –
الملأ والحيوان
والملاك ليحيدوا عن الطريق
ويهيموا باتجاه الضوء.

5- تين

أسوأ ما في الأمر كان اكتشاف
شجرات التين في المدينة، تلك
التي تموت أوراقها وتيبس أول
ما يلمسها البرد. أمرُّ قرب واحدة
دلّني عليها أحدهم. شجرة بلا
جذع، أغصان عارية فقط. وفي
الصيف كذلك، لا تكون شجرة،
بل أجمة، وكأنّ ثقلاً ما في الهواء
يدفعها إلى الأسفل، يمنعها من
أن تمتدّ وتسموَ كما يفعل التين،
ذاك الذي في البال. لم أتجرّأ على
تذوّق ثمراتها قط. أكثر من مرة،
قطفتها وراقبت الحليب ينز لزجاً
من عروقها. وحين لمسته لم يكن
كثيفاً، كما توقعت. هذا كل ما في
الأمر، صورة نحفظها في البال.
في الخريف يبقى الجذع عارياً،
الجذع الذي حمل ما يفضح
الشجرة: أعجوبة أوراقها.

■■■

نعم: العالم القديم والقارة
الأميركية يتباعدان بمعدل
سنتمترين كل سنة. نعم، الوطن
يتحرك من حيث تركته، وأنا،
على الرغم من خيط الحنين،
أتسارع، أسابق نفسي.

■■■

ليس إلا الذكريات: وها أنت
تحمل كل لحظة أمام المرآة، تنتبه
وتسهو، وحين تضيع تماماً،
تصير هواءً راكداً في إناء.

6- جسر

1.

في الهواء، في الطائرة،
في تفتّح جراح مظلمة،

أمسك اثنين في يد واحدة. أيهما
سيسعفني

أمسك الأميركي الأزرق
– جواز سفري –
وهذا الشيء الآخر،
«السلطة الفلسطينية»
مذهّب،
مشوّه،
ملطخ
بلونه.

[«إلى الجسر؟»
يسأل الموظفُ الأردني،
– ذاك الرجل المجازي –
ويختم الفلسطينيَّ
جواز
السلطة:

أهبط على الدرج الكهربائي
إلى حيث بيانو
وعازف.
وتيار ياخذني:
أتقدّمُ هذا
أم دوران؟]

2.

في التاكسي، في طريقنا إلى
نقطة
الحدود،
لا أقول شيئاً.
أحدّق
في الخريف البليد
من النافذة المغطاة
بغبار أليف
ومرارة.
ما أخضرَ هذا المشهدَ،
وما أكثره زيتوناً!
إحساباً لعقبة ما، أخبّئ
الأميركي
الأزرق في جيبي،
تحسّباً،
لعقبة ما.
وكم كنت مخطئاً
وأنا أقلّب القديمَ والجديدَ
في قبو بيتنا في فيلادلفيا،
أقلّب القديمَ والجديدَ:
ما أقدمت عليه وما ترددت فيه،
منتظراً
وصول المغلف في البريد
– جواز السفر –
بطاقتي إلى
حياة أميركية
جديدة.

كم كنت مخطئاً حين قلت:
بعد هذا
لا بدَّ للبال أن يهدأ.]

3.

الأرض تأخذك هناك من تلقاء
نفسها
ولكن الكعكة التي اقتُسِمت
تظل
تُخبز في شمس تشرين
وتأملاتها.
أوكلمات أبي،
أتذكرها،
تأتيني من
عالم آخر
بعيد
غريب:
تلوح لنا
«الصخرة»
القاّ
في العيون.

4.

تُظلم السماء ونحن ننتظر.
لا أعرف أريحا
إلا ساعة الانتظار،
متّكئا على باصٍ
أصفر
قرب سائقٍ ينفث
الدخان
ويشكو
قلةَ
الركاب
إلى بيت لحم.
[هنا «استراحة»،
هكذا يسمونها،
تزدحم بشاحنات
تأخذ
وتأخذ
جموعاً وجموعاً
وافدةً إلى الطرف
الفلسطيني،
بعد العبور
من باص
إلى باص،
من الأردن
إلى الطرف الإسرائيلي
فوق الجدول المنهك
ذاك الذي كان
يوماً
نهر الأردن.]

5.

نربط الأحزمة وننطلق
نحو المستوطنات.
تلوح من بعيد يافطة:
«القدس»

فنمضي في اتجاه آخر،
نتفادى
ونحاذر الطرقَ المستقيمة،
دائماً، مسارات ملتوية.
دائماً، سفوح وعرة.
نعلو ونهبط
إلى حيث تتبعثر القرى
الفلسطينية.
ندور حول مدينتنا المقدسة،
يحزّنا نداء وادي النار،
والصدى.
أوحالنا نخلص
من بين المستوطنات
نفكّ الأحزمة،
نحرّر الجسد
المحكوم
بالخراب]

6.

جوانب الباص،
مركبتنا المتّجهة
إلى بيت لحم،
كلّها

حواسٌ يقظة:
صوت المؤذّن،
جلبة الجزّار،
دم وعظم،
سيارة وموقف،
محرّك مكشوف،
نسيم يحفّ

بالأذرع، يعبث بالشعر:
ثم السفح

والمنحدر، المنعطف
والمطبّ
وبعد المعبر،
في القفر
دكّان حلويات
صغير.
[اليوم عند المعبر
عند النقطة
كانت تلويحةٌ، فعبرنا.
في أيام أخرى، يكون انتظار
وفي أخرى، تأخذنا
الأسئلة].

7.

في البال
أسلاك شائكة وحجارة.

[في الذاكرة
حديد صدئ،
وقضبان
خضراءُ
تورق].

8.

على جزيرة
وسط الطريق،
تصعد السيارة
المنحدر.
كيف؟
وعند مدخل
وادي النار –
موظف
يلوّح لنا
بالموت.
[هنا
ينتهي الدوران،
هنا تنتهي الطرق الملتوية
حول القدس]
نصعد التلة
وبعد موظف آخر،
وإذا كان ما زال في النهار ضوء،

9.

-ها قد اقتربنا:
أقول.
- عليكَ أن تتراجع
فلا
مخرجَ
من الطريق الضيق
إلّا إلى وراء.
- حسناً،
يقول السائق.
[نسيتُ،
نعم.
أذكّرُ نفسي
بأني نسيت]

10.

عند بوابة بيتنا الحديدية،
التي صارت خضراء الآن،
أتذكر
لونها القديم،
ترابياً باهتاً.
- توقّف هنا، أقول له فجأة.
فيتوقف.
يأتي لي
بحقيبتي الصغيرة
أخرج محفظتي
لأدفعَ له
بعملة غريبة.
هنا الآن،
[أنسى
وأتذكّر،
وأنفضُ عني
الرياح،

أخيراً].

(*) مقتطفات من ديوان صدر أخيراً عن «دار مرفأ» في بيروت.

أحمد الملّاح شاعر من فلسطين، مقيم في الولايات المتّحدة الأميركية منذ نحو عقدين. يدرّس الكتابة الإبداعية في «جامعة بنسلفانيا». يكتب الشعر باللغة الإنكليزية، صدرت له مجموعة بعنوان «إنكليزية مُرّة» (2019) عن دار «جامعة شيكاغو» ومجموعة «حدّ الحكمة» (2023) عن «دار وينتر». القصائد المنشورة أعلاه مأخوذة من هذين العملَيْن.

هدى فخر الدين كاتبة ومترجمة من لبنان. وأستاذة في الأدب والنقد العربيين في «جامعة بنسلفانيا». صدر لها: «شمسٌ صغيرة تحت شمس ثانية» عن «دار النهضة العربية» في بيروت 2019.

إسماعيل شموط ــ «قدّ خضراء» (زيت على قماش، 1998)

شعر

خالد بن صالح: أغنية الأزمنة المظلمة

بوك مخلوف

لا يترك خالد بن صالح بخشيشاً على طاولته الشعرية حتى نتعامل مع الاقتباسات الواردة في بداية كتابه، على أنها مجرد عبارات متناثرة مجاناً، رمية هباءً، أو كأنها بمنزلة تمرين على الإحماء. الاستهلال هنا أقرب ما يكون إلى الرسالة التي تترك عدداً عند عتبة المنازل أو شيفرات تُحفر على الطاولات. في كتابه «مرثية الأبطال الخارقين» (دار أوكسيجين) كل شيء داخل النصّ ولا شيء خارجه. وهذه العبارة تعني، من جملة ما تعنيه، الهوامش والحواشي وحتى البياض الذي يحيط بالمتن. الاقتباسات التي ستستقبلنا عند باب المرثية: فقرة من قصيدة لزياد عبدالله («حزينٌ كمدّنة أو كمنفضة لا فرق/ انطفئ خمس مرات أو إلى ما لا نهاية لا فرق/ التكرار مثاهة الحزين»)، وقصيدة لماوريسيو روسكينوف («وإن كانت هذه قصيدتي الأخيرة... كنت لأكتب كلمة واحدة: الرفيق»)، والإهداء الذي جاء إلى عمّه محمد... كلها عناصر تُحتت حتى تبرز على هيئة امرأة مفجوعة ترتدي وشاحاً أسود تنتظرنا عند المدخل لكي نتصافح، فلقاؤنا السريع كفيلٌ بأن نتعرّف إلى أبطال بن صالح الخارقين، إنهم أبطالٌ خارقون، لأنهم، ببساطة، كانوا يغنون «في الأوقات المظلمة»، اقتباسٌ آخر سيأخذه بن صالح من المسرحي بريخت ويوظفه في منتصف كتابه. فالغناء في تلك الأوقات غالباً ما يتحوّل إلى مرثية، لأنّ الأغنية المنشودة إما تكون احتجاجاً وتبرماً ورفضاً، بالتالي لن مصيراً دميماً سيلقاه مغنيها في حال انتصر هذا «الوقت» وطغى، وإما تكون سيرة ذاتية طافحة بالكرب، وقد شعر الناجي بأنّه حانَ وقت كتابتها.

تحيط قصائد خالد بن صالح بالوجهتين؛ هي صوت ناشز لذات شدّت عن لحن «الأوقات المظلمة»، وهي أيضاً كتابة تلك «الأغنية» التي كانت تصدح الحناجر بكل ما تحويه أبياتها من بؤس «ما الذي يجعلك لا تبوح بسر الرفاق؟ لا تبيع المناضلين الأحرار؟ وأنت تُجر إلى بوتقة السعير ذاتها طافحة بالكرب، وقد تكون سيرة ذاتية طافحة بالكرب، وقد عمره/ طرق التعذيب ذاتها الموروثة من زمن الاستعمار مورست عليهم زمن الاستقلال». نحن إذاً أمام مرثية مؤلفة من مقاطع شعرية أشبه بمونولوجات جنائزية تلقيها الذات كما لو أنها تقرع أجراس التشييع «أنا آخر السكارى في ليل المدينة/ أنا عبارة غير مصقولة في سطر أخير. لافتة تئن/ أنا رجلٌ وحيد آخر الليل». ومن أبيات تذكارية عن أبطاله الخارقين، يكتب صاحب النعسف: «تعرضت للتعذيب، للمرة الأولى في حياتي، ذات صبيحة جميلة ومشمسة، من شهر سبتمبر، زادها بهاءً في عينيّ خليج الجزائر ببياضه وضوئه المزهر». وبين الشاعر وأبطاله تمام لا انفصال. سيرة المكابدة واحدة و«الأغنية» (كانت) واحدة، بينما الفارق الوحيد هو المصير؛ الأبطال في حالة غياب قهريّ ولو كانوا حاضرين في الذاكرة والتفاصيل الصغيرة، فيما الشاعر بقيّ وحيداً في خضم الخراب، مقتلعاً من زمنه لا ينتمي إلى الحاضر «ماذا يفعل الجزائري حين يشعر أن ظلاّ قاتمة تلاحقه؟».

كان الكتابة هنا تتخطى فعل التذكّر، وتصبو إلى تخليد الحكاية عبر قصها وإعادة تلاوتها. كتابة حكايات شخوص تشبه من حيث فضاؤها مناخ الملاحم، فتبقى دامغة قاهرة للنسيان. تغدو كتابة المرثية إهداءً مضمراً يمنحه الشاعر «للرفاق»، رفاقه المتظاهرين، والمعتقلين، والقابعين في السجون والذين خسروا الكثير، من بينه أنفسهم، لأن الكتابة عنهم هي بالدرجة الأولى الكتابة لهم «في اختبار الرعب الذي صنع ذاكرتنا، تطفو مرة أخرى الأغنيات، كرسائل قصيرة تذكّرنا بما نحن عليه، وباي فاس قطعنا أحلامنا الخضراء اليانعة». غير أنّ الكتابة في الحالة هذه، لكي تستقر على ما ترمي إليه، ويكتمل معنى الإهداء، فإنها تشترط لغة «الرفاق»، ولعلّ أهم ما يجب الاستحواذ عليه لغوياً هو ظلّ «الرفاق»؛ أي الأسلوب. على هذا النحو، سنرى عدة عناوين تعرضت للشطب؛ حذف العنوان المكتوب والإبقاء عليه مشوّهاً، وكان الرسالة الدالة تكمن في (إظهار) هذه التورية. هذا اللعب الشكلي الذي مارسه بن صالح ليس عبثياً، إنما هو توظيف شعريّ، حيث الخطوط والأرقام وعلامات التنقيط رموز ناطقة. يلج بن صالح داخل مشهدية سبق أن رسمها بالكلمات «وأنت تستبدل الهواء الخانق بكلمات تكتبها على «ورق التواليت» وتهربها خلسةً زوجتك «لوسات»، في علب الدخان الفارغة».

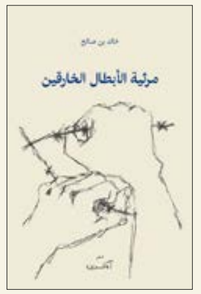

ماذا يفعل الجزائري حين يشعر أن ظلاً قاتمة تلاحقه؟

يكتب قصائده كمن يهرّب مناشير إلى داخل السجون. عنوان «1 مايو 1999 (علامات)» أو عنوان آخر كـ«25 أغسطس 2020 (عيد ميلاد)» حيث الشطب بطال لا تنفع المناسبات في تأليب السعادة عليها، إلا أن تلك القصائد بما تفصح عنه («هناك دائماً ما نقوله عن الوطن المنشودة، سوى الحسرة والغضب» «تقولين متسائلة: متى قررنا البقاء هنا؟»). ثمّة عطبٌ وجوديّ عند بن صالح مردّه «الخارج» أو أقلّه مصنوع من «هناك». ثمة رفض لما هو قائم ومترسخ في الواقع «تلاشي الطبقة الوسطى، وقت الكرنفال المتلفز. أحوال الطقس في بقية الوطن. الأرائك الممزقة في صور العائلة» إلى حد النفور البصري من كل ما يمت بثقافة العصر («تدافع ماركات الشركات الرأسمالية في مساحة بطنك المتنفخة». ذاك أن مرثية بن صالح قبل كل شيء، هي قصيدة سياسية طويلة، تبغض «البنية الوظيفية» بكامل أفعالها ومصطلحاتها «متخلصاً من حشد أفعال بالية: قام، قال، زار، أكد، وما تلاها من آتاذيب». تلك البنية يُنسب إليها شكل واقع وكانت بالأصل سبب خسارة «الأغنية» التي صارت الآن رثاء وهجاء.

يقارع الشاعر هذه الصلابة، فيجيء سيالاً «من تحت». يسير عكس السائد «إن المحاكاة هي أن يقتلك البرابرة». لا فرق بين الشاعر والثائر في هذه الحالة. وكونه على نقيض من السائد، وضد المماثلة وغريباً عن الحسّ العام، يلملم بن صالح عباراته مما طُرد وحُيّد ودُفن، ويدفعه إلى خلق عالم أقل هدوءاً، يعبّر عنه لماماً عندما تستكين النبرة الشعرية. عالم مصنوع من «خارج» آخر؛ «الخارج» هذا هو الطبيعة التي تقتحم عناصرها حقله الجمالي «إن الشعر كائن أخضر مغمور بالحطاب والرطوبة والرائحة» أو «لا أحلم باكثر من غسيل منشور تداعبه نسمات خريفية في باحة منزل صغير». مهما غاصت مرثية بن صالح في الحداد، يبقى الشعر فيها هائجاً لا يخمد، كثورة دائمة غير قابلة للإجهاض. شعرية بن صالح طافحة، تنبثق من الأصقاع، والغربة، والميركروفون، والزنزانة وأغاني الراي، في قصيدة لا تأبه بالتقطيع العمودي، والمنقطة ثم العودة إلى السطر، وكليشيهات القصيدة المعاصرة، بل تراه يكتب مقاطع قد تبدو شذرات، أو شعراً منثوراً، أو مقاطع خارجة من بث مباشر، وكذلك كالرسائل.

نميل منذ البداية إلى التعامل مع قصائد بن صالح على أنها رسائل موجّهة ومكتوبة لأحد. غير أن بن صالح يتعمّد كتابة شعرية أخذاً فيها من شكل الرسالة نسخة، هكذا يصبح الشعر مباشراً ومكشوفاً وشفافاً. أشباح تلاحق الشاعر ويبدو أن الرسالة وسيطٌ تمنحه الاحتكاك المطلوب مع الغائبين، إذ هي تعيد ربطه بحبكة ضائعة، «بالأغنية»، وبالمغنين، أي «الرفاق» من جهة، ومن ثم هي تعويل على خلاص لم يأت بعد، في محادثة مع غائب آخر يمثّل الرجاء المنتظر في خضم هذا الرثاء. يكتب بن صالح في قصيدته الأخيرة «العالم الذي لن ينتهي قبل أن نلتقي صباح يوم بارد ومنعش، نشرب قهوتنا على مهل، ونخطط للثورة». الثورة إذاً، بما هي حركة تجري في الخارج وتقوم ضده في انقلابها عليه بإمكانها بالتالي أن تطيح استبداد الحالة وتُعيد خلقَ العالم. تخلص قصيدة بن صالح إلى دعوة ثورية تنشد إصلاح هذا العطب الوجودي في تغيير العالم. مرثية بن صالح تاريخٌ للهزيمة، وتدوين لحاضر عقيم، وتحيةٌ إلى أبطاله الذين غنوا «في الأوقات المظلمة»، لكنها تحريض أيضاً للغناء «عن الأوقات المظلمة» من جديد.

لمحات

طه عدنان

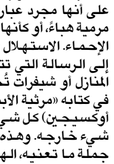

«قالَ بعضكُم لبعض عدوٌّ/ فهيّ قابيلُ/ في إثْرِ هابيلُ/ كانا القاتلُ والقتيلُ/ وكانَ الغُرابُ الدّليلُ/ وكان طالوتُ/ وكان جالوتُ / وكان يأجوجُ ومأجوجُ / لولا السُّدُّ الذي من حديدٍ/ وَنُحاسٍ/ وكان المغولُ/ وكان التّتار والكتبُ التي فاضَتْ بها الأنهارُ/ أنهارٌ من نجيع». يضم ديوان الشاعر المغربي طه عدنان «قيامة الأشلاء» (دار «العاندون للنشر والتوزيع» ـ عمان) قصائد مكتوبة بدافع الرغبة في التفاعل مع الواقع الحيّ والانتصار لقيم إنسانية... إنّها قصائد تُدين الاحتلال والإرهاب، وتسائل الوباء، وتأسى لموتى الشارع من المُشرّدين والمعذبين في الأرض. يسعى الشاعر إلى إثبات وجودٍ هشّ في عالم قاسٍ، ويحاول شعْرَنة الألم الفردي والجماعي باعتباره ألماً إنسانيّاً شاملاً.

يوكيو ميشيما

يتألف كتاب «موت في منتصف الصيف» (1952) للكاتب الياباني الشهير يوكيو ميشيما (1925 ـ 1970) من قصص قصيرة تدور مواضيعها حول الموت والحب والصداقة والوطنية وترسم صورة مختلفة عن اليابان وتقاليدها العتيقة. نقل الكاتب والمترجم اللبناني إسكندر حبش المجموعة إلى العربية وكتب مقدمتها (صدرت أخيراً عن «دار الساقي»)، وهي تضمّ خمس قصص عن الجداد، والأشكال المختلفة للفقد، والتضحية بالنفس من أجل الشرف العسكري، وأشكال الولاء المختلفة كالولاء للوطن والوفاء بين الزوجين. تتميز كتابات يوكيو ميشيما بقدرتها على إثارة عاطفة القارئ، فهو يبث عبر قلمه مجموعة كاملة من المشاعر القوية التي تمسُّنا لا محالة.

فادي العبد الله

يعرض الكاتب والناقد اللبناني فادي العبد الله في «في أثر الغواية» (دار الكتب خان) مجموعة مقالات عن الموسيقى والنقد الفني كتبها على مدى سنين طويلة. تُشكّل هذه المقالات محاولة لبناء نوع مختلف من النقد يسعى إلى جعل النقد عملية «أشكلة» للمسموع، وجهداً يليق بجهد إنتاج الموسيقى نفسها عبر توسيع النظر إليها وربطها بصور أشمل للمجتمع والفكر الراهنين. اختار الكاتب أن يُثبّت في هذا الكتاب المقالات الفنيّة التي يرى أن فيها بعض الأفكار التي تستحق النقاش، والكتابات التي يُحيّل إليه أنّ ذكراها ستختفي إثر اختفاء الصحافة اللبنانية نفسها وانهيار مؤسساتها العريقة. يضمُّ الكتاب أيضاً مقالات كانت تقديماً لكتاب ما أو مستقاة من لقاءات في القاهرة وبيروت أو من برنامج إذاعي.

فهد العتيق

تتناول رواية «قاطع طريق مفقود» (المؤسسة العربية للدراسات والنشر) للكاتب السعودي فهد العتيق أحداث وحكايات وأسرار بيت العثمان الكبير عن طريق المشاهد والحوارات اليومية المشحونة بذاكرة واسعة وأسئلة ومصائر هذه العائلة وشخوصها. ترتكز الرواية في فصولها الأدبية العشرين على تفاصيل الحياة اليومية والمواقف والظروف والأسئلة والأحلام التي أحاطت بهذه الأسرة وشخوصها عبر بطل الرواية رياض وأهله وأصدقائه، في فصول متتالية تعتمد تقنية المشاهد السينمائية الحديثة على طريقة أفلام يوسف شاهين.

تيسير خلف

يغطي الكاتب السوري تيسير خلف في روايته «السيح الأندلسي» (منشورات المتوسط) جانباً من المرحلة الأكثر مرارة وقسوة في التاريخ الإسلامي في الأندلس بعد سقوطها، وهي المرحلة الموريسكية، حيث أُجبر المسلمون على اعتناق المسيحية، ثم مراقبتهم لمعرفة «صدق مسيحيتهم» عبر محاكم التفتيش المخيفة. تبدأ الرواية من لحظة محاكمة إحدى السيدات الموريسكيات ثم إعدامها، فتنقل أحداثاً ومواقف مرعبة، تثير الذعر وتجعل القارئ يترقب الأحداث بتوتر شديد. تكشف الرواية رويداً رويداً الحكاية الحقيقية بأسلوب سردي أنيق، ممزوجاً بالوثائق التاريخية، وتقدّم قراءة فريدة ومميّزة عن تلك الفترة المظلمة من تاريخ الأندلس.

الشبكة الدولية لدراسة المجتمعات العربية

يضمّ «الحرب على غزة وسؤال القيم الإنسانية اليوم» (الشبكة الدولية لدراسة المجتمعات العربية» . تحرير ماريز يونس والجيلالي المستاري) مواقف حول العدوان على غزة لمجموعة من الباحثين العرب من تخصّصات ومناطق جغرافية. تُمثّل هذه الأوراق مساهمات مختصرة ومكثّفة عبّرت عن قراءات وشهادات ومواقف وفرضيات لهؤلاء الأكاديميّين، إضافة إلى كتابات عبّرت عن رؤى وشهادات ومواقف ذاتية في المجال العام. يتضمّن الكتاب 41 ورقة بحثية، من بينها: «الحرب على غزّة من الإبادة المكانية إلى الإبادة الجماعية» لساري حنفي، و«كذبة القرن الثانية» عبد الحسين شعبان، و«حرب الإبادة الجماعية على غزّة في 2023: تهافت المنظومة الأخلاقية» لأباهر السقّا وغيرها.

ترجمة

يوميّات «بائع كتب» غاضب على أمازون وأخواته!

وديع الراعي

يتابع بائع الكتب الإسكتلندي، شون بيتْيل، في كتابه «اعترافات بائع كتب» (دار المدى ـ ترجمة أحمد الزبيدي)، تدوين يومياته كما يعيشها أثناء تواجده في متجره، «ذا بوك شوب» الذي يُعَدّ أكبر متجر كتب مستعملة في اسكتلندا، حيث يضمّ ما يزيد على 100 ألف كتاب، موزّعة على عدد من الأقسام الشبيهة بالغرف، داخل المبنى الذي يزيد عمره على 200 عام، الذي تشغل المكتبة طابقه الأرضي، فيما يعيش شون في الطابق العلوي منه منذ اشترى المكان في عام 2001، وذلك في بلدة ويغتاون.

اختارت الحكومة الإسكتلندية ويغتاون «مدينة الكتاب القومية» في البلاد، ما خلق حركة سياحية في المنطقة ككل، تقوم بشكل أساسي على زيارة مكتباتها العديدة، وغالبيتها مكتبات كتب مستعملة، ينشّطها أشخاص قادمون من مختلف أنحاء بريطانيا، إضافة إلى سياح أجانب، خاصة في الفترة بين أواخر أيلول (سبتمبر) وأوائل تشرين الأول (أكتوبر) من كل عام، حيث يُقام مهرجان للكتاب أصبح معروفاً على مستوى واسع، تتخلّله عدد من الفعاليات والمحاضرات والأنشطة، يحييها أدباء وصحافيون وأكاديميون.

تُغطي يوميات هذا الكتاب عام 2015 بأكمله، وقد سبقها كتاب بيتْيل الأول «يوميات بائع كتب» (دار المدى، ترجمة عباس المفرجي)، الذي غطى فترة عام 2014.

تكشف هذه اليوميات المكانة التي ما زالت تحتلّها القراءة عموماً، وقراءة الكتاب الورقي خصوصاً، في بلاد الأمطار والضباب البعيدة تلك، حيث تدخل في بعض الأحيان ثلاثة أجيال من عائلة واحدة معاً لشراء الكتب، إضافة إلى أفواج من طلاب المدارس مع المسؤولين عنهم، من دون أن يخلو شراؤهم من المساومة والتقتير المعروفين عند أهل تلك البلاد، مع الإسكتلنديين ليسوا بخلاء مثل الإنكليز على ما يؤكّد شون من مشاهداته. تتميز اليوميات أيضاً بالكثير من المواقف المضحكة والمعابثة بين الزملاء في العمل، وهو الأمر الذي كانت بطلته نيكي في الكتاب الأول، من دون منازع. كانت نيكي تعمل في المكتبة بدوام جزئي، وتختصّ بمخالفة كل التعليمات والمهام التي يكلّفها بها شون، وأهمها وضع الكتب في غير أقسامها الصحيحة، وتسعير الكتب الغالية بأسعار بخسة، ما يتسبب في بيعها فوراً... فيما انضمّت إليها في الكتاب الثاني إيمانويلا، وهي شابة إيطالية وافقت على المجيء إلى العمل في المكتبة في أشهر الصيف في مقابل الإقامة والطعام فقط، رغم قدرتها الضعيفة على التحدّث بالإنكليزية. سيطلق عليها شون لقب «الجدة» لكثرة شكواها من الأمراض والأوجاع التي تقول إنها تعاني منها. بعد تسجيل الحوادث التي تستحق الذكر، يختم شون يومه بذكر المبلغ الذي حصّله ثمناً للمبيعات، إضافة إلى عدد الزبائن الذي اشترَوا من عنده، من دون أن يعني هذا أنّ ما يذكره هو صافي دخله، ففي بداية اليوم يسجل عدد الطلبات الواردة إلى المكتبة عبر مواقعين إلكترونيين يعرض قسماً من مخزونه عليهما، من دون أن يُدخل المبيعات عبرهما في حساب الدخل اليومي، وهي بالمناسبة طلبات ترد من مختلف أنحاء العالم. كما أنّ طلبات من نوع آخر ترده عبر بريد المكتبة الإلكتروني، وهي من أشخاص الذين يرغبون بالتخلي عن مكتبات ورثوها، أو كانت لهم وأرادوا بيعها ببساطة، فيسافر بشاحنته المغلقة عبر الريف الإسكتلندي، مجتازاً جباله وأنهاره، في رحلات قد يمتدّ بعضها إلى عدة مئات من الكيلومترات، ويعود محمّلاً بكميات كبيرة من الكتب، يشتكي دوماً من أنّه كان بإمكانه أن يدفع مقابلها مبلغاً أقلّ ممّا دفع.

يعبّر بيتْيل بصراحة عن كرهه لموقع «أمازون»، مع أنّه أحد الموقعين اللذين يسوّق كتبه عن طريقهما، وربّما هنا مكمن المشكلة؛ فالتعامل مع هذا الموقع الضخم الذي جذب مئات الملايين من المشترين عبر العالم يشكّل أمراً لا مفرّ منه، ومشكلته مع هذا الموقع هي نفسها مشكلة جميع أصحاب الشركات الصغرى، وتتلخّص في أنّ «أمازون» يخفّض أسعار البضائع المعروضة عبره بشكل كبير، معتمداً على البيع الكثير، ما يجعل هامش ربح البائعين الصغار شبه معدوم غالباً. كما أنّ كره بيتْيل يمتدّ ليشمل ألواح القراءة الذكية، التي توفّر جميع الكتب بشكل إلكتروني، وقد عبّر عن مشاعره هذه بطريقة عنيفة؛ إذ يعرض بالقرب من طاولة المحاسبة في المكتبة جهاز «كيندل» مثقوباً برصاصة، سبق أن أطلق النار عليه من بندقية، ووثّق فعلته هذه في مقطع فيديو نشره على صفحات مكتبته في وسائل التواصل الاجتماعي.

ابتكر الرجل فكرة أخرى لتنشيط حركة بيع الكتاب الورقي في مكتبته عبر ما سمّاه «نادي الكتاب العشوائي». يدفع من يرغب بالتسجيل في هذا النادي مبلغاً قليلاً، يتلقّى في مقابله كتاباً شهرياً يتم اختياره عشوائياً، وإرساله إلى المشتركين عبر البريد.

أصبح في رصيد بيتْيل حتى اليوم خمسة كتب تدور في الأجواء ذاتها، صدرت منها عشرات الطبعات بالإنكليزية، كما تُرجمت إلى أكثر من 20 لغة، وهناك كتاب ثالث له مترجم إلى اللغة العربية هو «سبعة أصناف من الأشخاص تجدهم في المكتبات» (دار المدى، ترجمة أحمد الزبيدي). لكن بيتْيل ليس قارئاً جيداً كما يفترض بالكُتّاب أن يكونوا، وكما يُتوقع ممّن يعيش محاطاً بكل ما قد يرغب المرء بقراءته! ربما يعود ذلك إلى أنّه ليس كاتباً أدبياً محترفاً بالمعنى المتعارف عليه، وهو يشير إلى أنّه كان يقرأ أكثر قبل شراء المكتبة وقضاء وقته في العمل فيها، فهناك الكثير من الأعمال الكلاسيكية الكبرى، والروايات المعاصرة الشهيرة، التي لا فكرة له عنها.

يعرض في المكتبة جهاز «كيندل» مثقوباً برصاصة

رواية

أدورآفا أولافسدوتير: بحثاً عن «الكلمة الأجمل»

تغريد عبد العال

ربما يلزم العالم رواية عن الولادة في زمن الموت، فما نشاهده من موت يجعلنا نطرح ذلك السؤال حول ولادة هذا العالم الذي يقبع في الظلمات. في الرواية «الكلمة الأجمل» (ترجمة محمد آيت حنا ـ دار الآداب)، نعثر على سرد يقنعنا بأنّ الكلمة مفتاح لعالم يختبئ في اللغة. ففي أيسلندا، سئل الناس عن أجمل كلمة في لغتهم، فكان الجواب «أمّ النور»، أي القابلة في لغتنا. وأم النور هنا ليست فقط مهنة إخراج الجنين إلى الحياة، بل هي طريقة حياة تتمثل الطفل من الرحم إلى الحياة، ويبدو أنّ كثيرين يقومون بدور القابلة مجازياً ويقودوننا إلى النور.

هكذا تذهب الكاتبة الأيسلندية أدورافا أولافسدوتير إلى منطقة النور، لتكتب عن عالم الولادة وتجعلنا نفكر في ماهية النور والوجود في هذا العالم، لتخرج هذه القابلة من مهنتها إلى طريقة تفكيره في هذا العالم. في أيسلندا كما في بلادنا، تورث مهنة القابلة من الأم إلى الابنة، فقد كانت جدة الراوية أيضاً قابلة، وأحد أسلافها الذكور كان قابلاً أيضاً وسمته «أبو النور». تذهب الرواية إلى سؤال عن المهنة التي يقوم بها الإنسان: هل تؤثر على معنى وجوده، فالرواية تكتشف أن خالتها القابلة قد كتبت مخطوطات عن النور والإنسان والحيوان، لتخلص تجربتها عبر شذرات هي أشبه بالشعر تقول: «إن أقسى تجارب الحياة هي أن يولد المرء ويأتي في المرتبة بعدها من حيث الصعوبة اعتياد النور».

يذهب أسلوب الكاتبة إلى اعتبار أنّ الرواية لا تمشي في أحداث أفقية، بل هي إطلالة على عالم القابلة من حيث الراوية وخالة أمها، وهذه الإطلالة تفترض أن الرواية ليست حكاية فقط، إنها تتميز حين تذهب بعيداً إلى طرح تلك الأسئلة التي تنجاهلها في الحياة، وتحاول أن تربط الأمور بطريقة مذهلة. ففي بيت أم النور، هناك مشكلة في الكهرباء، وفي نهاية الرواية تنوب القابلة عن صديقتها الدليل السياحي للسياح الذين يريدون التفرّج على الشفق، فتحدثهم عن النور والولادة. نتساءل هنا كم تشبه هذه الرحلة رحلة الطفل من الرحم إلى الحياة، ويبدو أنّ كثيرين يقومون بدور القابلة مجازياً ويقودوننا إلى النور.

تذكّرنا الكاتبة وهي تحاول أن تذهب عميقاً في ماهية العتمة والنور، برواية «ضوء خافت» لإيطالي أنتونيو موريسكو، وهي تدور حول رجل يعيش وحده منعزلاً في مكان بعيد عن العالم، لكن في كل ليلة، ينبثق ضوء خافت في الساعة نفسها، فيدأ البطل عبر هذا اللغز بمحاورة نفسه ومحاورة الطبيعة. ربما يبدو هنا الضوء سرّاً كبيراً كما تشير الكاتبة الأيسلندية، ففي اللغة العربية تقول جملة: «ضوء في آخر النفق» لتشير إلى رحلة الإنسان المضنية في البحث عن النور، فهذه الرحلة هي حصيلة تجربة الحياة هي الولادة، فالضوء هو اللغز وهو الإجابة في الوقت نفسه.

تقودنا هذه الرواية لنرى أن الشعر ليس فقط في القصائد، إنما على أفواه من هم أيضاً في مكان خاص كالقابلة، أو كما تصف الكاتبة في إحدى عناوين فصولها: «كل الأشياء مترابطة». وفعلاً، يبدو أن كل شيء مترابط في الرواية، فالقابلة كاتبة وتفكر كفيلسوفة، وهناك علاقة بين الإنسان والطبيعة والنور، حتى في طريقة كتابة القابلة لمذكراتها العشوائية وكذلك طريقة كتابة الرواية التي لا تتسلسل. تقول القابلة في مذكراتها: «الشيء لا يستنبع بالضرورة غيره، العالم مجزأ، والإنسان لا يدرك منه إلا شظايا». تسترشد الرواية إذن بما تقوله القابلة، وتتجزأ في شذرات وأحداث تبدو متصلة حين نصل إلى نهايتها.

أما بلد النور، فيحضر أيضاً في الرواية عبر قصة لوحة مريم العذراء، فتقول الكاتبة إنّها «طفلة في الرابعة أو الخامسة عشرة من عمرها، ولدت في فلسطين». هكذا تحضر فلسطين في الرواية، لكنها حضرت أكثر حين جعلتنا نفكّر بالكلمة الأجمل في اللغة العربية. ولأنها أيضاً بلد النور الذي نبحث عنه في أنفاق العتمة، النور الذي نحتاجه ليولد هذا الفجر، والنور أو الضوء الذي يملأ قصائد شعراء العالم ليرمز إلى الخلاص وأحياناً إلى الأمل، هو الإحساس بالحق والنضال من أجله. يقول جلال الدين الرومي: «ما ضرّك لو أطفأ هذا العالم ضوءه في وجهك، ما دام النور في قلبك متوهجاً؟». أما محمود درويش، فيقول في قصيدة: «لا شيء سوى الضوء»: «لا شيء إلا الضوء/ لم أوقف حصاني/ إلا لأوقف وردة حمراء من/ بستان كنعانية أغوت حصاني/ وتحصنت في الضوء». نفكّر هنا أن الضوء أكثر من قصيدة أو استعارة، فالعالم يتحصّن بالضوء وقد نجده في كلمة في داخلنا أو في رسالة سرية يهديها إلينا القدر.

هذه الرواية دعوة للتفكير والتأمل وهي رواية حديثة تصير قصتها هي سؤالها: ما هي الولادة؟ ما هو الضوء؟ ما سر وجودنا؟ لنجد أنّ الجواب الحقيقي في قلب كل واحد منّا، وربما هذا هو الضوء وهذه هي الحقيقة.

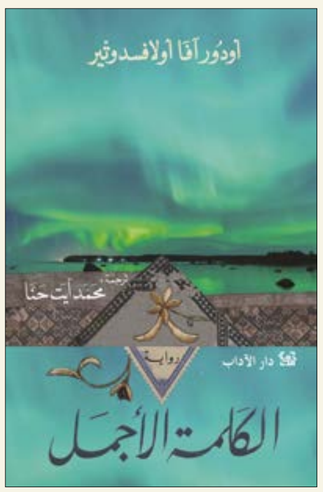

بلد النور يحضر أيضاً في الرواية عبر قصة لوحة مريم العذراء

أوراق

هشام جعيّط في قضايا الدين والحداثة والتاريخ

بثينة بن حسين *

كان هشام جعيّط (1935 ـ 2021) شغوفاً بفلسفة التاريخ، وظّفها في جلّ كتاباته. وكان كتابه الأخير (1Penser l'Histoire Penser la Religion) ، وخصوصاً الفصل المخصّص للتفكّر في الدّين، مجالاً للتعمّق في مفاهيم عدة كالحداثة والدين وفلسفة التاريخ. إنّ دراسة هذه المفاهيم مرتبط ارتباطاً وثيقاً بتطوّر الأديان السماويّة كاليهوديّة والمسيحيّة والإسلام.

ويعدّ مفهوم الحداثة مفهوماً مركزيّاً لدى جعيّط لأنّه فسّر تطوّر أوروبا وعجز العالم الإسلامي عن التقدّم. ربط المؤرّخ التطوّر الفكري والعلاقة بالدّيني كعناصر أساسيّة لتطوّر الإنسانيّة.

حلّل علاقة الدّين بالحداثة، فبيّن أنّ هذا المفهوم ظهر في أوروبا في النصف الثاني من القرن العشرين في الغرب [2]. لكنّ هذا المفهوم وظّف توظيفاً سلبيّاً من قبل كثيرين.

ففي القرن السابع عشر، ظهرت الحداثة مجسّدة في تيّار جديد من الأدباء المتحدّين للجيل القديم المتمسّك بالأدب القديم اليوناني والرّوماني، وعظّمت منزلة الحضارتين اليونانيّة والرومانيّة في فترة النهضة الأوروبيّة لتميّزهما، وصعوبة تجاوزهما في الفنون (كالعمارة والنّحت....)، وفي الآداب، والفلسفة.

عوّضت أوروبا ثقافة الفترة الوسيطة المتأخّرة المتميّزة بغلبة الفنّ القوطي، وأخلاقيّات الفروسيّة، والفلسفة المدرسيّة، بالرجوع إلى الجذور الأولى لأوروبا قبل اجتياحات البرابرة [3].

يضيف المؤرّخ أنّ مفهوم الحداثة ينقسم بدوره إلى مفهومين. يتمثّل المفهوم الأوّل في إنجاز الحديث أي الجديد، بينما يفترض مع المفهوم الثاني أن يظهر عهد جديد يحدث قطيعة مع الماضي. في القرن الثامن عشر، ظهرت روح إبداعيّة وتجديديّة قويّة في الآداب والفنون والفلسفة غيّرت مجرى تاريخ الإنسانيّة، لكن ظلّ الحفاظ على العناصر القديمة كالدّين والحرب [4].

وكانت هذه الحركة الجديدة ترفض النزعة القديمة وتحقّر من شأنها. ارتبطت الروح التجديديّة بالأنوار الفرنسيّة والأوروبيّة بصفة عامّة. فكان هذا التيّار يبني بصفة تدريجيّة العناصر المكوّنة للحداثة بغير وعي ضمنيّ بفعل التجديد. يقصد هشام جعيّط بالحداثة جملة المبادئ والأفكار التي نقلت العالم من الفترة «القديمة» إلى الفترات الحديثة.

أصبح هذا الوعي بالتجديد حاضراً بصفة جليّة في فترة الفيلسوف هيغل، الذي يذكر الفترات الحديثة، ويلقّب نفسه ومعاصريه بـ«نحن المحدثون».

لا بدّ من الإشارة إلى أنّ جعيّط أولى هيغل اهتماماً خاصّاً لأنّه الأب المؤسّس لفلسفة التاريخ [5]. بيّن المؤرّخ والمفكّر أنّ هيغل ظهر حسب المؤرخين في فترة ما بعد الأنوار، وقد بقي تأثير الأنوار متواصلاً على مستوى الفكر. تواصل تطوّر مفهوم الحداثة، وازداد ثراءً باتصال بمفهوم الثورة والرأسماليّة والتصنيع والعلم وكبار الإنجازات الفكريّة.

بيّن هشام جعيّط أنّه درس الحداثة بعلاقة بالدّين والتّاريخ [6]، ولم يهتمّ بجوانبها المرتبطة بالتطوّر الحضاري لأوروبا مقارنة ببقيّة الأصقاع. يتوصّل التاريخ إلى تنسيب تاريخانيّة الحداثة وتنزيلها في إطار التاريخ العالمي، وبالتحديد ضمن حضارة معيّنة.

انتقل جعيّط لتفسير فكرة أساسيّة هي إشكاليّة علاقة الديني بالحداثة التي طرحت منذ فترة الأنوار وماركس وماكس فيبر، وفي القرن العشرين. فقد وقع رفض الدين من قبل الأنوار الفرنسيّة، ثمّ أصبح الدّين حافزاً لتطوّر الرّأسماليّة لدى البروتستانت لدى ماكس فيبر. يعتبر هذا الأخير ومن قبله هيغل، من المفكّرين الأساسيّين المطوّرين لمفهوم الحداثة. لكنّ الحداثة تشكو أزمة حادّة في الفترة الحاليّة، نظراً إلى نفسيّة البشر ونزعتهم للحرب والعداوات.

ربط هشام جعيّط تحليله للحداثة بالعالم الإسلامي، فكان متفائلاً بالتحاقه بالحداثة التي انخرط فيها منذ قرن أو قرنين، لكنّه يشكو بطئاً في الالتحاق بالرّكب. وهو يرى هذا التطوّر البطيء طبيعيّاً. فقد انغرست الحداثة في أوروبا في ثقافة جديدة، وفي تجديد لمفهوم الدين، والأنا. ولا شكّ في أنّ المسلمين سيتبنّون الحداثة في مجال الثورة الصّناعيّة والتكنولوجيا وعلوم الحياة والطبيعة.

يطرح جعيّط سؤالاً: هل ينجح المسلمون في التمتّع بالصّفات الأخلاقيّة التي يتمتّع بها الغرب كاستقلاليّة الفرد، وحريّته، والوعي الشّخصي، واحترام الآخرين؟

يعاني العالم العربي منذ أكثر من خمسين عاماً من التصحّر الثقافي على مستوى تثمين التراث، فيما يحافظ الغرب على ذاكرته الجمعيّة، وعلى مستوى الوعي بالثقافة المتعلّقة بالكتاب والرسم والموسيقى والمسرح والعلوم والأدب. أوكل المفكّر المسؤوليّة للمجتمع المدني حتّى ينهض بالمجتمع. فلا يمكن للعالم العربي والإسلامي الخروج من الأزمة الاجتماعيّة والفكريّة إلاّ بتقوية المجتمع المدني والالتزام بالديموقراطيّة والسّلام والتّآزر بين الأشخاص والشّعوب، والطّموح إلى ثقافة عليا.

يعتبر هشام جعيّط محدثاً في مواضيع ومناهج البحث التّاريخي. فهو قد تعمّق في دراسة نشأة وتطوّر الأديان السّماويّة وأساساً الإسلام. وربط هذا التطوّر بمفهوم الحداثة.

كما أنّه استعمل مناهج البحث الحديثة ابتداءً بفلسفة التّاريخ، وصولاً إلى الأنتروبولوجيا التّاريخيّة.

* كاتبة ومؤرخة تونسية

> يعاني العالم العربي منذ أكثر من خمسين عاماً من التصحّر الثقافي على مستوى تثمين التراث

-1 Hichem Djaït, Penser l'Histoire Penser la Religion, Cérès Editions,2022,p.113-152.

-2 المقصود بالغرب، أوروبا الغربيّة.

3- Hichem Djaït, Op. cit.,p.36.

4- Hichem Djaït, La Crise de la Culture Islamique,Cérès Editions,2000,p.326.

5- Hichem Djaït, Op. cit.,p.138.

6- يقصد هشام جعيّط بالتّاريخ «الحقيقة والعالم التّاريخي والفكر والعلم».

Samedi 23 Mars 2024 no105
السبت 23 آذار 2024 العدد 105

القوس

www.alqaous.com

8 صفحات

ملحق أسبوعي مخصّص للعدل والإنصاف يصدر مع الأخبار كل سبت

الإبراء المستحيل

[3]

(من الويب)

حظر الحجاب في السلك القضائي اللبناني

[6]

الحق بالصحّة والطبابة للأثرياء فقط

[5]

«لمّ الشّمل» والتكيّف مع ظروف السجون

[4]

فلسطين

الوضع القانوني للإسرائيليين بعد التحرير

لونا فرحات

أثارت التظاهرات المؤيدة للقضية الفلسطينية في الجامعات الأميركية اتهامات بشأن انتشار معاداة السامية في هذه الجامعات، ما دفع وزارة التعليم الأميركية إلى فتح تحقيقات، ومثّلت ثلاث رئيسات لجامعات أميركية كبرى، هي هارفارد وبنسلفانيا ومعهد ماساتشوستس للتكنولوجيا، في 5 كانون الأول/ ديسمبر 2023، أمام لجنة في مجلس النواب للإدلاء بشهاداتهن حول الاحتجاجات المعادية للسامية. وكان السؤال الأكثر إثارة للجدل، الذي وجهته النائبة عن ولاية نيويورك إليز ستيفانيك إلى عميدات الجامعات كل على حدة، لتجيب بنعم أو لا. وكان سؤالها: «هل كنت تدركين أن

> **إن المستوطنين اليهود الراغبين في البقاء في فلسطين لهم ان يختاروا الجنسية الفلسطينية او ان يعودوا من حيث اتوا**

استخدام مصطلح الانتفاضة في سياق الصراع العربي - الإسرائيلي هو في الواقع دعوة إلى مقاومة مسلحة عنيفة ضد دولة إسرائيل والعنف ضد المدنيين والإبادة الجماعية لليهود. هل كنت على علم بذلك؟».

هكذا تفهم النائبة الأميركية كلمة انتفاضة على أنها دعوة إلى إبادة اليهود في فلسطين والعالم أجمع. وهذه الادعاءات الباطلة التي تخلط بين حق تقرير المصير وارتكاب المجازر، تحتّم طرح السؤال الآتي: ماذا سيحدث للإسرائيليين المستوطنين في اليوم التالي لتحرير فلسطين من البحر إلى النهر؟ يمكن الإجابة على هذه التساؤل عبر العودة إلى التجارب التاريخية مع الاستعمار الاستيطاني وتحديداً في الجزائر وجنوب أفريقيا كنموذجين يحتذى بهما، وثانياً إلى الرؤية الفلسطينية للتعامل مع المستوطنين اليهود ومدى انطباقها مع قواعد القانون الدولي.

انضاك الجزائري: استقلال لا انتقام

نالت الجزائر استقلالها بعد استعمار استيطاني فرنسي دام 132 سنة، عُدّت خلاله الجزائر الإقليم الجنوبي لفرنسا وفقاً للدستور الفرنسي. ومنذ بدء الاستعمار الفرنسي في تموز/ يوليو 1830، تدفّق على الجزائر عدد كبير من المهاجرين الأوروبيين من المزارعين والأيدي العاملة من جنوب إيطاليا ومالطا وفرنسا وإسبانيا، وصادرت السلطات الاستعمارية أراضي القبائل والقرى والأوقاف، وأعادت توزيعها على المهاجرين المستوطنين. بدأ النضال الجزائري منذ عام 1832 وتوالت الثورات ضد المستعمر الفرنسي. في عام 1945، خرجت تظاهرات مطالبة بالاستقلال في مدن جزائرية عدة، وارتكب المستعمر الفرنسي آنذاك مجزرة قتل خلالها 45 ألف جزائري. وفي عام 1954، شكّل الجزائريون جبهة التحرير الوطني، وبدأت معها حرب الاستقلال. ارتكب الاستعمار الفرنسي جرائم ضد الإنسانية، وحاول طمس الهوية العربية للجزائر باعتبار العربية فيها لغة أجنبية. ونظرت فرنسا إلى الجزائر كأرض خالية من السكان منذ عام 1830 وحتى 1962، متجاهلة كل الحقائق التاريخية والثقافية والجغرافية، وانتزعت الأرض من أصحابها واستحكمت بمقدرات البلاد وثرواتها، فيما عانى الجزائريون من مجاعات ومن سياسة ممنهجة أقرب إلى الفصل العنصري لا على أساس لون البشرة، بل على أساس الانتماء الديني. وشهدت سنوات الاستعمار الفرنسي مجازر عدة وتهجيراً قسرياً لمئات الآلاف من السكان عن مناطقهم الأصلية. ووفقاً لبيانات جزائرية رسمية صدرت عام 2016، فإن عدد الشهداء الجزائريين هو 5 ملايين و630 ألفاً قتلوا بين عامَي 1830 و1962، وأن حرب الاستقلال وحدها أسفرت عن استشهاد مليون ونصف مليون جزائري. ورغم قساوة الاستيطان الفرنسي وبشاعته، اتخذ مجاهدو جبهة التحرير الوطني موقفاً تجاه المستوطنين الفرنسيين تمثل بعدم التعرض لهم، وتكرس هذا الالتزام في البيان الأول الذي صدر عن جبهة التحرير الوطني في الأول من تشرين الثاني/ نوفمبر 1954، ونص على ما يلي:

«انسجاماً مع المبادئ الثورية، واعتباراً للأوضاع الداخلية والخارجية، فإننا سنواصل الكفاح بجميع الوسائل حتى تحقيق هدفنا... إن هذه مهمة شاقة ثقيلة العبء، وتتطلب كل القوى وتعبئة كل الموارد الوطنية، وحقيقة أن الكفاح سيكون طويلاً، ولكنّ النصر محقق. وأخيراً، وتحاشياً للتأويلات الخاطئة وللتدليل على رغبتنا الحقيقية في السلم، وتحديداً للخسائر البشرية وإراقة الدماء، فقد أعددنا للسلطات الفرنسية وثيقة مشرفة للمناقشة، إذا كانت هذه السلطات تحدوها النية الطيبة، وتعترف نهائياً للشعوب التي تستعمرها بحقها في تقرير مصيرها بنفسها، وتتضمن النقاط الآتية1-.... 2 - جميع الفرنسيين الذين يرغبون في البقاء في الجزائر يكون لهم الاختيار بين جنسيتهم الأصلية ويعتبرون بذلك كأجانب تجاه القوانين السارية، أو يختارون الجنسية الجزائرية وفي هذه الحالة يعتبرون كجزائريين بما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات...».

ومع وصول ديغول إلى سدة الرئاسة تم الاعتراف في نهاية المطاف بحق الجزائريين في تقرير المصير. وفي أيار/ مايو 1960، انطلقت محادثات ايفيان بين الحكومة الفرنسية وجبهة التحرير، وأسفرت عن توقيع اتفاقيات ايفيان في 18 آذار/ مارس 1962، وأهم ما تضمنته في ما يتعلق بوضع المستوطنين الأوروبيين: «احتفاظ المستوطنين وعملائهم بالحقوق التي كانت لهم ثلاث سنوات قبل أن يختاروا جنسيتهم النهائية: إما الجزائرية فيصبحون مواطنين جزائريين أو الفرنسية فيغادلون كأجانب».

فرغم قسوة الاستعمار، لم يقدم الجزائريون على الانتقام ولم يتعرضوا لأي من المستوطنين الذين فروا من البلاد (نحو 800 ألف مستوطن أوروبي) مع اقتراب موعد إعلان الاستقلال.

جنوب افريقيا: عدالة ومصالحة

خضعت جنوب أفريقيا لنظام فصل عنصري أنشاه المستعمرون البريطانيون والأفريكانيون (أو البوير) الذين يتحدرون من أصول هولندية. وبموجبه حُجزت معظم الأراضي (87 في المئة) للبيض، وأجلي نحو 3,5 ملايين شخص قسراً من السود ونقلوا إلى «محميات عرقية». وحتى عام 1986، كان على السود التنقل حاملين وثيقة هوية تحدد المكان الذي يسمح لهم بالذهاب إليه تحت طائلة السجن أو دفع غرامة. نتجت من هذا النظام العنصري مقاومة اعتمدت في بداياتها أساليب سلمية كحملات المقاطعة والعصيان، ثم اختار حزب المؤتمر الوطني الأفريقي العمل السري والكفاح المسلح. وفي عام 1964، حُكم على زعيمه نيلسون مانديلا بالسجن مدى الحياة بعد إدانته بتهمة «التخريب». لفت القمع الوحشي للنظام انتباه العالم، ما أدى إلى بدء عزلة جنوب أفريقيا دولياً. وتراكمت العقوبات الدولية ضدها، وفي النهاية تم إلغاء الفصل العنصري في 30 حزيران/ يونيو 1991 وإطلاق مانديلا، وأجريت انتخابات عامة وانتخب رئيساً للبلاد.

ولكن، كيف تعاملت الغالبية السوداء مع المستوطنين من الأقلية البيضاء؟

أنشأت الحكومة الجديدة عام 1995 لجنة الحقيقة والمصالحة للمساعدة في تعافي البلاد، وتحقيق المصالحة بين شعبها عبر الكشف عن الحقيقة حول انتهاكات حقوق الإنسان التي وقعت خلال نظام الفصل العنصري، وتم تكليفها بالتحقيق في انتهاكات حقوق الإنسان التي ارتكبت في الفترة بين عامَي 1960 و 1994، بما في ذلك ظروف وعوامل وسياق هذه الانتهاكات؛ والسماح للضحايا بفرصة رواية قصتهم؛ ومنح العفو؛ وصياغة سياسة التعويضات. وتلقت اللجنة أكثر من 22 ألف إفادة من الضحايا وعقدت جلسات استماع علنية أدلى فيها الضحايا بشهاداتهم حول الانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان، والتي تم تعريفها في القانون بأنها التعذيب والقتل والاختفاء والاختطاف، وسوء المعاملة الشديدة التي عانوا منها على أيدي دولة الفصل العنصري. وأصدرت اللجنة عام 1998 تقريراً تضمّن شهادات أكثر من 22 ألف ضحيّة وشاهد، أدليت في جلسات استماع علنية. وقد زودت لجنة الحقيقة والمصالحة في جنوب أفريقيا العالم بأداة أخرى في مكافحة الإفلات من العقاب والبحث عن العدالة والسلام. ورغم الانتقادات التي وجهت إلى تجربة جنوب أفريقيا تحديداً لعدم ملاحقة مرتكبي الجرائم ضد الإنسانية قضائياً، إلا أنها كانت كفيلة بالحد من إراقة الدماء ودوامة العنف.

المستوطنون اليهود في فلسطين الحرة

يرى المستشار حسن أحمد عمر الخبير المصري في القانون الدولي، (في مقابلة على قناة الغد في 25 شباط/فبراير 2024) أن إسرائيل فقدت حقها في الوجود عندما أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة، في 14 كانون الأول/ديسمبر 1960، القرار عن 1514 المتعلق بإعلان منح الاستقلال للبلدان والشعوب المستعمرة. فقد وضع هذا القرار، سريعاً ومن دون أية شروط، حداً للاستعمار بجميع صوره ومظاهره، ولهذا الغرض ينص على وضع حد لجميع أنواع الأعمال المسلحة أو التدابير القمعية الموجهة ضد الشعوب التابعة، لتمكينها من الممارسة الحرة والسلمية لحقها في الاستقلال التام، وتحترم سلامة ترابها الوطني، ويصار فوراً إلى اتخاذ التدابير اللازمة في الأقاليم المشمولة بالوصاية أو الأقاليم غير المتمتعة بالحكم الذاتي، أو جميع الأقاليم الأخرى التي لم تنل بعد استقلالها، لنقل جميع السلطات إلى شعوب تلك الأقاليم، من دون أية شروط أو تحفظات، ووفقاً لإرادتها ورغبتها المعرب عنهما بحرية، من دون تمييز بسبب العرق أو المعتقد أو اللون، لتمكينها من التمتع بالاستقلال والحرية التامين. وقد دأبت القرارات الصادرة عن الجمعية العامة للأمم المتحدة، في سبعينيات القرن الماضي، إلى ربط فلسطين بالدول المستعمَرة فعلى سبيل المثال القرار رقم 3070 لعام 1973 الذي ينص على أن الجمعية العامة للأمم المتحدة «تدين جميع الحكومات التي لا تعترف بحق الشعوب في تقرير المصير واستقلالها، ولا سيما شعوب أفريقيا التي لا تزال تحت السيطرة الاستعمارية والشعب الفلسطيني. وبالمثل تم تصوير قريبة من حالة الفصل العنصري في جنوب أفريقيا كما في القرار 2787 لعام 1971 الذي نص على أنه «تؤكد مشروعية نضال الشعوب من أجل تقرير المصير والتحرر من السيطرة الاستعمارية والأجنبية والاستعباد الأجنبي، ولا سيما في الجنوب الأفريقي... وكذلك الشعب الفلسطيني، بكل الوسائل المتاحة بما يتفق مع ميثاق الأمم المتحدة" .

وبحسب رأي المستشار، فإنه بناء على القرار 1514 لم يعد لوجود إسرائيل أي أساس قانوني لأنها كيان استعماري، وهي لذلك طالبت الفلسطينيين الاعتراف بحقها في الوجود عند عقد اتفاقيات أوسلو في عام 1993، لأنها تدرك تماماً أنها فقدت شرعية وجودها منذ عام 1960. أما الوضع القانوني للمستوطنين اليهود، فتحدده القواعد القانونية التي كانت مطبقة قبل إنشاء «دولة إسرائيل»، أي صك الانتداب الذي ينص في المادة السابعة منه على أن "تتولى إدارة فلسطين مسؤولية سن قانون للجنسية، ويجب أن يشتمل ذلك القانون على نصوص تسهّل اكتساب الجنسية الفلسطينية لليهود الذين يتخذون فلسطين مقاماً دائماً لهم». وبناء عليه، فإن المستوطنين اليهود الراغبين في البقاء في فلسطين لهم أن يختاروا الجنسية الفلسطينية أو أن يعودوا من حيث أتوا.

التعامل مع الإسرائيليين وفقاً للرؤية الفلسطينية

في 30 أيلول/ سبتمبر 2021 عقدت «هيئة وعد الآخرة» في قطاع غزة، التي شُكلت من أجل إدارة فلسطين بعد التحرير، المؤتمر الاستراتيجي الاستشرافي الأول تحت عنوان «مؤتمر وعد الآخرة»، والذي وضع تصورات لأساليب العمل في المجالات المختلفة إبان تحرير فلسطين. وتضمن البيان النهائي للمؤتمر نقطتين تتعلقان بوضع اليهود المستوطنين وكيفية التعامل معهم، هما:

«15- يجب التمييز في معاملة اليهود المستوطنين في أرض فلسطين، ما بين محارب، يجب قتاله، وهارب يمكن تركه أو ملاحقته قضائيّاً على جرائم، أو مسالم مستسلم، يمكن استيعابه أو إمهاله للمغادرة، وهي قضية تستحق إمعان النظر وتقديم الروح الإنسانية التي اتسم بها الإسلام دوماً.

16- الاحتفاظ باليهود العلماء والخبراء في مجالات الطب والهندسة والتكنولوجيا والصناعة المدنية والعسكرية لفترة وعدم تركهم يغادرون بالمعارف والعلوم والخبرات التي اكتسبوها وهم يقيمون على أرضنا ويأكلون من خيرنا، ونحن ندفع ثمن ذلك كله من دلنا وفقرنا ومرضنا وحرماننا وقتلنا وسجننا».

تحت القوس

الاتحاد الأوروبي يسعى إلى تبرئة نفسه من الإبادة الجماعية

عمر نشابة

تنتشر في وسائل الاعلام اخبار عن إجراءات تتخذها بعض الدول الغربية بحق «إسرائيل». من بين تلك الإجراءات الحد من تصدير الأسلحة اليها. فبعد مرور أكثر من خمسة أشهر على إبادة الفلسطينيين جماعياً في غزة المحاصرة، واستشهاد ما يزيد على 40 ألفاً وجرح عشرات الآلاف، معظمهم أطفال ونساء وشيوخ، وبعد رفض رئيس وزراء العدو بنيامين نتنياهو العزوف عن اجتياح مدينة رفح المكتظة باللاجئين، وبعد تفشّي المجاعة وانهيار القطاع الصحي في غزة، وبعد انتشار آلاف الصور والتسجيلات والتقارير عن حجم التخريب والمذابح والدمار الشامل، تنبهت بعض الحكومات الغربية ودول الاتحاد الأوروبي لمصلحتها، وهي تسعى الى اصدار براءة ذمّة من خلال اتخاذ إجراءات عقابية، ولو شكلية، بحق إسرائيل. علماً ان نفس هذه الحكومات كانت قد عبّرت عن مواقف داعمة لإسرائيل منذ 7 تشرين الأول من العام الفائت، ولا شك ان النبرة العالية لتلك المواقف شجّعت الإسرائيليين على الشروع في حملة عسكرية واسعة النطاق لإبادة الفلسطينيين جماعياً في غزة أو تهجيرهم الى مصر.

رئيسة الاتحاد الأوروبي اورسولا فون دير ليان كانت قد سارعت لزيارة فلسطين المحتلة بعد انطلاق طوفان الأقصى في 7 تشرين الأول من العام الفائت، وأكّدت لنتنياهو ان «أوروبا تقف خلف إسرائيل، ومن حق إسرائيل الدفاع عن نفسها»، واصفة المقاومة الفلسطينية بـ«الشيطان» الذي يريد «إبادة اليهود». وبالتالي، أعطت دفعاً وغطاءً دولياً لردّ الإبادة المزعومة بإبادة فعليّة.

ولشن نتنياهو هجوماً واسعاً على غزة المكتظة بالمدنيين. وفي 22 تشرين الأول 2023 ، صدر عن الولايات المتحدة والمملكة المتحدة وفرنسا وألمانيا وإيطاليا وكندا بيان مشترك دعماً لإسرائيل جاء فيه أن «الزعماء أكدوا مجددا دعمهم لإسرائيل وحقها في الدفاع عن نفسها ضد الإرهاب». وفي 16 تشرين الثاني، ناقش الرئيس الكندي جوستان ترودو خلال اتصال هاتفي مع الحكومة الإسرائيلية «قيام حركة حماس باستخدام المدنيين كدروع بشرية» في غزّة. ولا شك ان بعض الإسرائيليين يعتمدون هذه المزاعم لتبرير قتل عشرات آلاف المدنيين والقاء اللوم على حركة حماس. اضف الى ذلك ان الدول الأوروبية وكندا وغيرها من الدول بذلت جهوداً ديبلوماسية في مجلس الامن الدولي لمنع صدور قرار ملزم بوقف اطلاق النار ووقف الإبادة الجماعية في غزة.

> **لا يمكن للمسؤولين في الاتحاد الاوروبي، المحترفين في التلاعب الديبلوماسي، ان يحتالوا على الرأي العام هذه المرّة**

قد لا يتمكن الأوروبيون والكنديون من التغاضي عن هذه التصريحات، بينما تملأ شاشات هواتف وحواسيب وتلفزيونات الملايين مشاهد الإبادة والتجويع والتعذيب والدمار الشامل.

منسق السياسة الخارجية في الاتحاد الأوروبي جوزيب بوريل حاول جاهداً تبرئة أوروبا من الاجرام الإسرائيلي بحق الفلسطينيين، فأعلن مساء الإثنين الفائت عن قرب موعد فرض الاتحاد عقوبات على «مستوطنين متطرفين» يهاجمون الفلسطينيين في الضفة الغربية المحتلّة.

لكن بدل ان يستجيب او يرتدع الكيان الإسرائيلي من اعلان الاتحاد الأوروبي، سارع وزير المالية الإسرائيلي بتسلئيل سموتريتش الى الرد عليه بالدعوة الى توسيع النشاط الاستيطاني. وحدد سموتريتش ان «الردّ الصهيوني يشمل تعزيز وترسيخ الاستيطان في جميع أنحاء أرض إسرائيل» قاصداً «يهودا والسامرة» (التسمية التي يعتمدها الصهاينة للضفّة الغربية) وقطاع غزّة حيث يتحدث ضباط اسرائيليون عن اعادة بناء مستوطنات «غوش قطيف» و«نيتساريم» و«كفار داروم».

سموتريتش كان قد تفاخر بالإعلان عن مشروع بناء 3300 وحدة استيطانية جديدة في الضفة الغربية، ولم يتجرأ بوريل أو أي مسؤول أوروبي على الردّ عليه، ولم تتخذ اية إجراءات أوروبية جدية بحق «إسرائيل».

ولا يمكن للمسؤولين في الاتحاد الأوروبي، المحترفين في التلاعب الديبلوماسي، ان يحتالوا على الرأي العام هذه المرّة لأن العالم كله شاهد على ردّة الفعل الأوروبية الصارمة تجاه بعض الحوادث التي شارك فيها الجيش الروسي في أوكرانيا، وبالتالي لا يمكن تبرير التساهل الأوروبي مع جرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية وجرائم الإبادة الجماعية التي يرتكبها الجيش الإسرائيلي بدعم من أكثرية الإسرائيليين، بحق البشر في غزة المحاصرة.

قال بوريل إن سلوك المستوطنين الإسرائيليين في الضفة الغربية يشكل «انتهاكا خطيرا للقانون الدولي»، ويبدو انه لاحظ كذلك ان الاتفاقية الدولية لمنع جريمة الإبادة الجماعية والمعاقبة عليها تنص على معاقبة كل من شارك وحرّض وسهّل جريمة الإبادة الجماعية. وبالتالي بدأ مع عدد من المسؤولين الأوروبيين حملة لتبرئة الدول التي تدعم «إسرائيل» من جرائم المشاركة والتحريض وتسهيل جريمة الإبادة الجماعية في غزة علماً ان

- الدول الأوربية دعمت هجوماً عسكرياً على أحد اكثر أماكن الاكتظاظ البشري في العالم بحجة «حق إسرائيل بالدفاع عن النفس»؛

- الدول الأوروبية قامت خلال تشرين الأول والثاني وكانون الأول من العام الفائت بمساعي ديبلوماسية لمنع صدور قرار ملزم عن مجلس الامن الدولي بوقف اطلاق النار؛

- صدرت تقارير دقيقة وموثّقة تشير الى آلاف الأوروبيين (فرنسيين وهولنديين وغيرهم) الذين انضموا الى الجيش الإسرائيلي وشاركوا في قتل الأطفال واستهداف المستشفيات وتعذيب الاسرى.

يُتوقع في الأسابيع المقبلة ان تزيد نسبة الإجراءات الشكلية الأوروبية والغربية بحق «إسرائيل»، ليس فقط لمحاولة تبرئة انفسهم من جرائم الإبادة الجماعية في غزة، بل كذلك لمنع انهيار سلطة محمود عباس المقرّبة من بعض الأنظمة الخليجية المطبّعة مع العدو الاسرائيلي. لكن كل هذه الإجراءات لا يمكن ان تمحو ضلوع أوروبيين في جريمة الإبادة الجماعية كمحرضين وداعمين ومساهمين في ارتكابها ووجوب معاقبتهم بحسب القانون الدولي الذي تناوله بوريل نفسه.

قاووش

«لمّ الشّمل» والتكيّف مع ظروف السجون

كثيرة هي أوجه المعاناة التي يعيشها السجناء اليوم، من اكتظاظ، وصعوبة تلبية الاحتياجات الاساسية كالغذاء والماء والنظافة والامن، وعدم قدرة أهاليهم على زيارتهم وشراء حاجاتهم نتيجة الغلاء المعيشي. يدخل السجين القاووش لتنفيذ عقوبته باحثاً عن مخرج او ملاذ آمن لمساعدته على تخطي كل تلك الصعوبات. فيتكرر مطلب السجناء في لبنان بـ «لمّ الشمل»، لتخفيف معاناتهم خلف القضبان. ماذا يعني لمّ الشمل؟ وكيف يمكن ان يستفيد منه السجناء؟ وهل هو قانوني؟

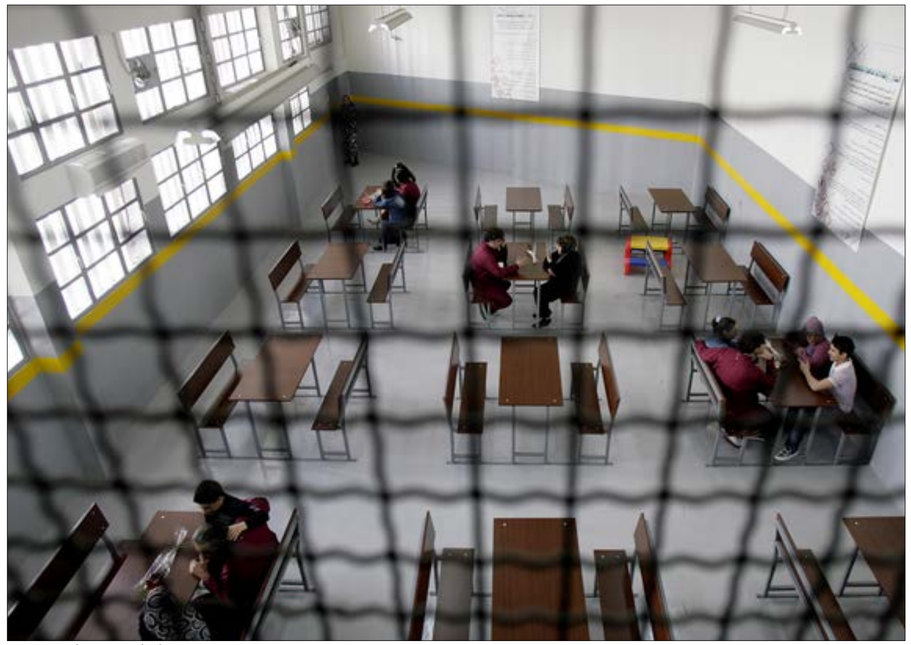

(هيثم الموسوي)

فاطمة فوّاز

«ولا شي، بنزل على النظارة وبطقّ حنك معهم»، يقول أحد الأحداث البالغ من العمر 17 عاماً في الجلسة العلاجية الأولى مع متدرّب من قسم علم النفس في فرع الأحداث داخل سجن رومية. لا علامات قلق على الشاب الموقوف منذ أربعة أشهر بتهمة سرقة دراجات نارية، رغم أن الحكم عليه سيصدر في اليوم التالي. على العكس من ذلك، بدا مرتاحاً ومتحمّساً لخوض تجربة العلاج النفسي، ومستعداً للإجابة عن الأسئلة. فقال إنه تعرّف في السجن إلى معظم القاصرين ممن يقضي كثيراً من وقته معهم، ويشغل نفسه بأعمال مختلفة حسب

> **أولاد عم أبي 16 سجيناً جميعهم في الطابق السفلي**

المهمات التي يُكلفه بها «الشاويش» (السجين المعيّن من قبل إدارة السجن للمساعدة في تنظيم السجناء)، ويذهب إلى النظارة لملاقاة «أولاد عم أبي، وهني 16 سجيناً جميعهم في الطابق السفلي».

وجود هذا العدد من الأقارب في السجن يساعده على التأقلم ويعطيه شعوراً بالانتماء والقوّة والحماية داخل السجن، ما يؤكّد الاطمئنان النفسي الذي يعزّزه «لمّ الشمل» في السجن بالنسبة إلى القاصر وإلى عائلته، لأن وجوده ضمن جماعة متلاحمة يمنع أي تهديد أو اعتداء يمكن أن يتعرّض له.

و«لمّ الشمل» (المصطلح ليس مدرجاً في قانون العقوبات أو في مرسوم السجون) هو ببساطة طلب نقل السجين إلى قسم أو زنزانة يصادف وجود أحد أفراد عائلته أو عشيرته فيها. وبما أن السجن هو صورة مصغرة عن المجتمع، يمكن للنزيل أن يطلب نقله ليكون مع سجناء من المذهب أو الطائفة أو الجنسية نفسها.

فكيف يتكيّف السجين داخل السجن، وهل للعلاقات الاجتماعية (لمّ الشمل) دور مباشر في ذلك؟

عملية التكيّف في السجون

التكيّف هو مجموعة من ردود الفعل التي يسعى الفرد عبرها إلى إحداث توازن بين مطالبه وظروفه من جهة، ومطالب البيئة وظروفها من جهة أخرى بهدف خفض التوتر. تبدأ عملية التكيّف عندما يتم التعرّف إلى موقف يُحتمل أنه يشكّل تهديداً للسلامة الجسدية أو النفسية للفرد، ما يتطلب توجيه كامل الانتباه إليه. بعد ذلك تبدأ المرحلة الأولى، ويتم خلالها تقييم الموقف وما إذا كان الخطر حقيقياً أم لا، وهو تقييم مهم لتحديد الاستجابة، وتسمّى هذه العملية «التقييم الأولي» (Primary Appraisal). بعد تقييم الموقف على أنه تهديد، يدخل الفرد في المرحلة الثانية من عمليّة التكيّف وتسمّى «التقييم الثانوي» (Secondary Appraisal)، يقيّم خلالها الفرد موارده الخاصة، أي قدراته والخيارات المتاحة للاستجابة. وبعد الانتهاء من عمليتي التقييم يقارن نتائجهما التي تقع ما بين مدى خطورة الموقف وحدود استجابته وعمّا إذا كان يستطيع أن يتعامل معه بما يرضيه.

يُتوقع بعد ذلك أن يستجيب الشخص للوضع التهديدي بطريقة ما، وبطبيعة الحال سيختار ردّ فعله من بين مجموعة الإمكانات المتاحة له. لكن اختياره هنا سيعتمد بدرجة كبيرة على أكثر آلية تكيّف ذات فعالية مخزّنة في ذاكرته.

بناءً على هذا التعريف، يفترض تحديد المشكلات التي يواجهها السجناء داخل السجن والإجراءات التي يقومون بها لمواجهتها.

التكيّف والسلوك والتأقلم

أجرى الباحثان في علم الجريمة إدوارد زامبل وفرانك بوربوريئو دراسة مثيرة للاهتمام بعنوان «التكيّف، السلوك والتأقلم لدى السجناء في السجون» في كندا، شملت عيّنة من 184 سجيناً. لفهم كيف يتأقلم السجناء مع بيئتهم، وكيف يتعاملون مع المشكلات التي تعترضهم داخل السجن وخارجه، والمقارنة بينهما.

هذه المقارنة هي السمة التي تميّز الدراسة. إذ من المتوقع أن يكون تعامل السجناء مع معاناتهم خارج السجن تأثير مباشر على كيفية تعاملهم معها داخل السجن. لذلك، جمع الباحثان معلومات وافرة عن سلوك السجناء خارج السجن وخلفياتهم التاريخية ونمط حياتهم باعتبارها من العوامل التي تؤثر في طريقة تعاملهم مع الصعوبات، وكذلك عن سلوكهم داخل السجن، وإدراكهم للواقع وتعاملهم معه عبر إجراء مقابلات معهم.

السجين ليس من كوكب آخر

وقد أظهرت النتائج أن أنماط السلوك لدى السجناء خارج السجن قد تختلف عن الصورة النمطية التي يتوقعها الناس من المجرمين. على سبيل المثال، كان السجناء يقضون معظم أوقاتهم مع الأصدقاء أو في الانخراط في أنشطة سلبية مثل مشاهدة التلفزيون أو استخدام الهواتف الذكية، وهذا ينطبق على الموظفين منهم وغير الموظفين على حد سواء نظراً إلى عدم استقرار وظائفهم. إلى ذلك، يفتقد 83% منهم إلى مهارات التخطيط أو التنبؤ بوضعهم المستقبلي أو حتى وضع خطة واضحة للأهداف القريبة. ورغم قضاء معظم وقتهم في تكوين صداقات، إلّا أنها لم تكن عميقة، بل عابرة وسطحية.

المشكلات التي يواجهها السجناء خارج السجن ليست مختلفة كثيراً عن تلك التي يواجهها الأشخاص غير المحكومين، ولكنّ الفارق يكمن في استمراريتها بدلاً من أن تكون عابرة. فالخلافات بين الشركاء، وهي المشكلة الأكثر شيوعاً، كانت غالباً تعالج عن طريق تجنّب الصراع من دون حلّه. أمّا المشكلات التي تتعلق بالأهداف المستقبلية والعمل، فكانت الأقل شيوعاً، ما يثبت عدم اكتراثهم إلى ما لا يتعدّى اللحظة الحالية والتي كانت تواجه بما يعرف بالتدابير المطلقة، مثل الاستماع إلى الموسيقى أو المشي. وهي على كل حال جميعها يمكن أن تكون مفيدة، ولكنها لا تصلح مع المشكلات المعقدة أو الطويلة المدى والتي تتطلب مهارات حلّ المشكلات والتخطيط.

المشكلات وأساليب الاستجابة داخل السجن

بالمقارنة، وهي جوهر الدراسة مع مشكلات السجناء داخل السجن، ظهر أن أكثر المشكلات تكراراً في السجن كانت تتعلق بالفقد والإشتياق، إما لشخص ما، أو الحرية، أو ممارسة نشاط محدد. وللتخفيف من وطأة المشاعر السلبية التي تنجم عن الفقد، يلجأ السجناء عادة إلى كتابة رسائل كتعبير عن افتقادهم لأشخاص محدّدين، كما يعتمدون على الدعم الاجتماعي من زملائهم في السجن. استخدام هذه الآليات أمر لا مفرّ منه، لأن واقع السجن يفرض على السجناء مشكلات غير قابلة للحل، ولكن ما لوحظ في هذا الجزء تحديداً، أن نسبة ضئيلة جداً من السجناء كانت تعطي قسماً كبيراً من وقتها للتخطيط للحياة في الخارج وابتكار أساليب جديدة للتعامل مع واقع الحياة خارج السجن. أمّا بقيّة الأشخاص، فكانت طرق تعاملهم لمشكلات السجن فقط والتي لا تتعدّى كتابة رسالة أو الحديث مع سجين آخر من أجل عدم التفكير في المستقبل وعيش الحاضر بأقل ضرر نفسي ممكن.

طريف الانحراف

بعد استعراض النتائج، تبيّن أن هناك نمط حياة غير منظّم ومتراخ مشترك بين السجناء، وهو مرتبط في الوقت نفسه بضعف القدرة على التكيّف لديهم. وفسّر الباحثان ذلك بأن ضعف القدرة على التكيّف سينتج بالضرورة سلوكاً غير تكيّفي، وهذا السلوك سيتجلى بطرق مختلفة. فبعضهم تظهر لديه أعراض أمراض عقلية أو نفسية ناتجة من الضغوط، خاصّة إذا لم يحصلوا على الدعم المناسب، بينما يختار البعض الآخر طريق الانحراف كوسيلة للتكيّف مع الظروف الصعبة.

فهل للعلاقات الاجتماعيّة دور في تكيّف الفرد داخل السجن؟ بناءً على نتائج الدراسة التي أظهرت أنّ أكبر نسبة من الوقت الذي يقضيه السجناء كانت تستثمر في العلاقات الاجتماعية وأنّ نسبة كبيرة من العينة كانت تعتمد على الدعم الاجتماعي كاستجابة تكيّف، يمكن الإجابة: نعم ممكن. ويعزّز ذلك في حالة القاصر هنا أنّ بقية السجناء كانوا يتجنّبون توسيع دائرة التحالف لديهم تفادياً للمشكلات والنزاعات، بينما في حالة القاصر لا حاجة إلى ذلك، لأنّ من هم في دائرة علاقاته هم أقاربه.

برامج تأهيلية لإنقاذ الأحداث

من المفترض تسليط الضوء على نتيجة مهمّة وردت في هذه الدراسة يمكن الاستفادة منها في السجون، وهي أنّ آليات التكيّف التي تمّ استخدامها من قبل السجناء في الداخل والخارج، أظهرت فعالية أكبر داخل السجن، يعود ذلك إلى محدودية المشكلات وضعف قدرتهم على الاستجابة كما شرحنا سابقاً، ما يعني أنّ السجن لم يُطوّر من قدرتهم على التكيّف، بل طوّع المكان ليناسب استجاباتهم، وبالتالي عندما يتم إطلاق سراحهم إلى العالم الخارجي حيث التحديات اللامحدودة، سيعاودون استخدام آليات التكيّف نفسها لأنهم يجهلون خلافها، ما سيؤدي إلى العودة إلى سلوكهم الإجرامي، وهكذا تبقى الحلقة مفرغة. من هنا، أهمية الالتفات إلى إخضاع السجناء لبرامج تدريب تعمل على تنمية آليّات التكيّف لديهم، وكذلك مهارات التخطيط وحل المشكلات وترفع من قدرتهم على التحمّل وتعلّمهم الاستجابات بطرق مناسبة. وهنا بعض الاقتراحات لبرنامج تأهيلي يمكن تنفيذه داخل السجن:

- التدريب على مهارات التواصل: تعلّم مهارات التواصل يساعد السجناء على التفاعل بشكل فعّال مع الآخرين ويحسّن جودة علاقاتهم الشخصيّة والاجتماعيّة.
- التدريب على إدارة الغضب والضغوط: تعليم السجناء كيفية التحكم في ردود أفعالهم والتفكير بشكل هادئ ومنطقي في مواجهة المواقف الصعبة.
- التخطيط للمستقبل: مساعدة السجناء في وضع أهداف قصيرة وطويلة المدى، ووضع خطط عمل واقعية لتحقيقها بما في ذلك التعليم والتدريب والتوظيف.
- تعلّم مهارات الحياة اليومية: لتمكين السجناء من تطوير المهارات اليومية التي يحتاجونها للتكيّف والنجاح بعد الإفراج مثل المهارات المالية، العناية الصحية، إدارة الوقت، الثقة بالنفس والمرونة النفسية... إلخ.
- التعلّم المستمر: تشجيع السجناء على مواصلة التعلّم وتطوير مهاراتهم حتى بعد الإفراج سواء عبر دورات تدريبية في السجن أو خارجه.

في الواجهة

الحقّ بالصحّة والطبابة للأثرياء فقط

حصة مديرية الصحة العامة التي تشمل: بحوثاً وتنمية صحية، وكشف الأمراض والوقاية والمستوصفات والخدمات العامة بالاستشفاء الخاص والمساعدات لدور الأيتام	39,946,477,300,000
بالدولار	446,329,355
حصة الفرد من الطبابة والاستشفاء لـ 3 ملايين لبناني	148,8
حصة المستشفيات الحكومية	519,250,777,000

صادق علوية

في خضم الأزمة الاقتصادية، قررت الدولة اللبنانية أن كل ما يتعلق بالطبابة والاستشفاء ليس أولوية، وأنه يتوجب على اللبنانيين عدم المرض، فتركتهم بلا أية تغطية صحية ولا طبابة. ملف الأدوية ليس الا الجرح النازف المستمر الذي سيبقى عصياً على الالتئام طالما كانت وزارة الصحة المؤتمنة على تطبيق قوانينه ترفض ذلك وإن قبلت على مضض فلن يتعدى قبولها الايهام بأنها قبلت به، وما ملف قانون إنشاء الوكالة الوطنية للدواء الا تعبيرا صارخا عن رفض وزارة الصحة للبدء بتطبيقه واعداد مراسيمه التطبيقية. ولكن من المؤكد أننا نعيش في وضع يعاني فيه معظم اللبنانيين من الشغور الطبي والصحي والرعائي. ونسيت الجهات السياسية أن الطبابة حق دستوري ومكفول بموجب اتفاقيات دولية لا بد من ذكرها.

يتوزّع اللبنانيون على عدة صناديق وأجهزة ضامنة، أكبرها الصندوق الوطني للضمان الاجتماعي الذي يغطي 1,273,097 مضموناً، ويعاني من عجز فرعه الذي يتولى الضمان الصحي، أي العناية الطبية. وباختصار، فإن العودة الى تقديمات ما قبل الأزمة تستدعي، بحسب الضمان الاجتماعي، تأمين مبلغ إضافي يوازي 29 ألف مليار ليرة سنوياً، أي ما يزيد على 300 مليون دولار. لذلك فإن التقديمات، وإن تحسّنت بنسب قليلة، إلا أنها لا تزال قاصرة عن تأمين الطبابة والاستشفاء المعترف بهما قانوناً بسبب رفض الدولة للتصدي لهذا الملف بجدية.

وزارة الصحة: الغائب صحيا والحاضر بالكلفة

وزارة الصحة بدورها غائبة، ففي لبنان ، تنحصر موازنة وزارة الصحة للعام 2024 بمبلغ زهيد يمثل 13% من الموازنة العامة للدولة للعام 2024 يتوزع على اللبنانيين الذين لا يشملهم أي نظام تغطية صحية آخر.

ويتعبير أوضح، فإن الوزارة تغطي الذين لا يتمتعون بتغطية من الأجهزة الضامنة الأخرى، كالضمان الاجتماعي وتعاونية موظفي الدولة وصندوق تعاضد القضاة والعسكريين، أي أن مجموع هؤلاء الأشخاص قد يصل الى ثلاثة ملايين إنسان.

ولكن المعضلة ليست هنا. فالأشخاص الذين لا يمكنهم الاستفادة من تقديمات وزارة الصحة بسبب تمتعهم بتغطية صحية من نظام اخر لا يتمتعون اصلا بهذه التغطية من ذلك النظام الاخر.

تبلغ حصة مديرية الصحة العامة من موازنة العام 2024 نحو 39,9 ألف مليار ليرة تشمل: بحوثا وتنمية صحية، وكشف الامراض والوقاية والمستوصفات والخدمات العامة بالاستشفاء الخاص والمساعدات لدور الأيتام، اي ما يوازي : 446 ألف دولار ومعدل 148,8 دولار لحصة الفرد من الطبابة والاستشفاء.

اتفاقيات دولية فولكلورية: الحق بالاستشفاء والطبابة

سبق أن أصدرت منظمة العمل الدولية عام 2012 التوصية رقم 202 بشأن الأرضيات الوطنية للحماية 2012 التي تتضمن حدودا دنيا لأرضيات الحماية الاجتماعية ووجوب حماية أكبر عدد ممكن من الأشخاص المطلوب تغطيتهم، على أن تعتبر أرضيات الحماية الاجتماعية «مجموعة من ضمانات أساسية تضمن حماية ترمي الى القضاء على الفقر والاستضعاف والاستبعاد الاجتماعي أو التخفيف من وطأتها».

أما المفوضية السامية لحقوق الإنسان فتعتبر أن الجوانب الأساسية للحق في الصحّة هي: التوافر، إمكانية الوصول، المقبولية، الجودة، المشاركة والمساءلة.

والصحة لا تعني العافية الجسدية والعقلية والاجتماعية فقط، وهي ليست مجرد الخلو من الأمراض، بل حق أصلي للإنسان يجب أن ترعاه القطاعات الاجتماعية والاقتصادية بالاشتراك مع القطاع الصحي. وليس من المقبول سياسياً

> **التقديمات، وإن تحسّنت بنسب قليلة، إلا أنها لا تزال قاصرة عن تأمين الطبابة والاستشفاء المعترف بهما**

واجتماعياً واقتصادياً اختلال ميزان العدالة الصحية بين الناس، وبالأخص بين الدول المتطورة والنامية، كما أن التنمية الاقتصادية والاجتماعية مهمة لتحقيق الصحة للجميع. فتعزيز الصحة ضروري أيضاً لصيانة التنمية الاقتصادية والاجتماعية، ويملك الناس حق المشاركة الفردية والجماعية في تخطيط وتنفيذ برامج الرعاية الصحية، وتقع على الحكومات مسؤولية رعاية صحة شعوبها عبر إجراءات صحية واجتماعية كافية لتحقيق هذا الهدف.

موازنة وزارة الصحة بالليرة	موازنة وزارة الصحة بالدولار
40,476,780,396,000	452,254,530
الموازنة العامة للدولة	النسبة من موازنة الدولة
308,435,224,000,000	%13,1

إجراءات الحكومة: تطنيش

لم تقدم الحكومة على مقاربة مسألة التغطية الصحية الشاملة مقاربة علمية صحيحة، ولم تبادر إلى إعطاء هذا الملف حقه. فمثلا كلما رفعت وزارة الصحة الأسعار، تقوم بتحميلها للأجهزة الضامنة. ومثال على ذلك ما جرى على صعيد الضمان الاجتماعي الذي قرّر، إزاء ضعف الإمكانيات، تسديد مساهمة الصندوق في أدوية الأمراض المزمنة بصورة مؤقتة على الشكل التالي: 75% لأدوية الـ GENERIC وفقاً للأسعار المعتمدة من وزارة الصحة العامة.

35% لأدوية الـ BRAND وفقاً للأسعار المعتمدة من وزارة الصحة العامة.

مما يعني أن تسعير الدواء يؤثر بشكل كبير على التقديمات. سيما إذا ما علم المسؤولون أن أكثر من 46% من أدوية الأمراض المزمنة التي يستهلكها المضمونون مستوردة.

الوكالة الوطنية للدواء: FDA لبناني

من الإجراءات التي كان يتوقع أي لبناني أن تقدم عليها الحكومة، أية حكومة، تعيين الجهة المولجة بهذا الملف، وهي الوكالة الوطنية للدواء المنشأة بموجب القانون رقم 253 تاريخ 2022/01/05. إذ أنشئت بموجب هذا القانون وكالة تُسمى «الوكالة الوطنية للدواء» تتمتع بالشخصية المعنوية وبالاستقلالين المالي والإداري، وتخضع لوصاية وزير الصحة العامة. على أن تمارس الوكالة أعمالها وفقاً للقوانين والمراسيم والأنظمة المرعية الإجراء، وتتولى المهام التنظيمية والتنفيذية والرقابية لتحقيق الأهداف المحددة بموجب هذا القانون، عبر التعاون والتنسيق مع المؤسسات الرسمية والنقابات المختصة والمنظمات والهيئات الوطنية والإقليمية والدولية المعنية بالصحة العامة، مع مراعاة أحكام الاتفاقات الدولية، والحرص على حماية المنتج الوطني وفقاً للقوانين المرعيّة الإجراء.

المادة 14 من القانون تمنع الإغراق والاحتكار، حيث يتوجب على الوكالة اتخاذ الإجراءات الضرورية عملاً بالقوانين المرعيّة الإجراء، وبالتنسيق مع الوزارات والإدارات المعنيّة؛ لمنع الإغراق والاحتكار في السوق.

ولكن المهم في هذه الصلاحيات هو دور هذه الوكالة في تسعير الأدوية والمستلزمات الطبية التي ينفرد وزير الصحة، عملياً، بتسعيرها من دون أية ضوابط. وفي هذا الملف سيل من الهدر الذي لو تم ضبطه لكانت البلاد في حال أفضل.

ويُعنى قانون الوكالة الوطنية للدواء بشكل أساسي بتنظيم قطاع الدواء والمستلزمات الطبية وإدارته، وفق أسس علمية وشفافة تأميناً لجودته وفاعليته مع المواد الاولية المستخدمة في صناعته، فضلاً عن المتممات الغذائية والمنتجات الطبيعية ذات الصلة واللقاحات، من خلال تطبيق أنظمة رقابية هادفة مبنية على الأسس العلمية والمعايير العالمية المتعارف عليها.

ومن المهمات التنفيذية التي تضطلع بها الوكالة تسجيل المستحضرات المستوردة والمصنّعة محلياً وإعادة تسجيلها وإلغاء تسجيلها وتسعير الأدوية المستوردة والمصنعة محلياً وإعادة تسعيرها وكذلك تسعير المستحضرات وفقاً للقوانين المرعية الإجراء.

إجراءات تيتمة متفرقة

الإجراء اليتيم الذي اتخذ فعليا لحماية الأدوية المحلية هو الاعفاء من الضريبة عند الاستيراد، والذي يشمل المواد الأولية التي تدخل مباشرة في صناعة الدواء وتكون جزءا من الدواء النهائي، سواء في تركيبة الدواء أو في التغليف المباشر له أو في التغليف النهائي. وتم تطبيق أحكام البند (5) من المادة (18) من القانون رقم (379) تاريخ 14-12-2001 (الضريبة على القيمة المضافة) وتعديلاته، المضاف بموجب القانون رقم (6) تاريخ 5-3-2020.

اما تعاونية موظفي الدولة التي تعنى بتطبيب موظفي الدولة فقط، فقد وجدت الحكومة الحل السحري لها، وهو تحويل الاموال من دون اي دراسة علمية او تخطيط بعيد او قريب المدى. وكذلك فعلت بالنسبة لصندوق تعاضد القضاة واساتذة الجامعة اللبنانية وغيرهما من الصناديق التي لا تمول بالاشتراكات، وانما من تحويلات الحكومة بشكل اساسي، في حين ان الضمان الاجتماعي تناول في المادة 66 منه حصول كارثة وطنية، وهو التعبير الذي استعمله القانون عام 1963 وينطبق على ايامنا الحاضرة، وأوجد له حلا اما بدعم من الدولة او برفع الاشتراكات، الامر الذي لم يحصل. وهكذا بقي بشكل اساسي المضمونون ومحتاجو العناية من وزارة الصحة خارج اي تغطية حقيقية وكافية بفضل غياب الاجراءات الحكومية بشكل أساسي.

> **التوصية رقم 202 بشأن الارضيات الوطنية للحماية 2012**

في الواجهة

يبلغ عدد القضاة في لبنان حوالي 600. عام 2017 ارتفعت نسبة القاضيات بينهم من 15% الى 47,5%. ما يبيّن مدى توسّع عمل المرأة القضائي وانخراطها في هذا المجال. إلاّ أنّه على أرض الواقع، لا وجود للنساء المحجّبات في القضاء رغم عدم وجود ما يمنع ذلك اخلاقياً ودينياً واجتماعياً ومنطقياً، والاهم قانونياً حيث لا توجد مواد قانونيّة أو دستوريّة تمنع المحجّبة من دخول السلك القضائي، بل يكفل الدستور والمعاهدات الدولية هذا الحق لها. واتهام المحجّبة بأنّها متحيّزة لطائفة او جهة أو حزب معيّن، أو أنّ الحجاب يتعارض مع مفهوم الدولة المدنية، مردود شكلاً واساساً. فالحجاب غطاء للرأس وليس غطاءً للفكر والعقل، ولا يجوز لأيّ عرف ان يمنع المحجّبات من نيل ابسط حقوقهنّ.

حظر الحجاب في السلك القضائي اللبناني

ظلم وانتهاك للحريات

انطونيو فرح *

احتجّت بعض النساء في 2019/4/10 بسبب منع المحجّبات من أن يصبحن قاضيات، وبعدها اعتصمت طالبات في الجامعة اللبنانية أمام مقرّ وزارة العدل في بيروت مطالبات بإنهاء التمييز القائم ضد المرأة المحجّبة عبر منعها من دخول معهد الدروس القضائية. وتحدثت المحامية أماني سعد عالجي عن تجربتها قبل 15 سنة في رفض طلبها الدخول الى معهد الدروس القضائية لأنّ العُرف يمنع دخول المحجّبات الى السلك القضائي.

(ارشيف ـ الاخبار)

القانون لا يميّز المحجّبات

تُحرمُ السلطة الفتاة المحجّبة من صيرورتها قاضية بذريعة حجابها الذي ترتديه، واعتباره رمزاً دينياً يمسّ بحياد القضاء اللبناني واستقلاليّته. وحيث إنّه، استناداً إلى مبدأ هرميّة القاعدة القانونيّة، فإنّه وبكلّ تأكيد، يتفوّق الدستور والمعاهدات الدوليّة والقانون على الأعراف المطبّقة من قبل الشعب اللبناني. هذه القاعدة الأساسيّة ندرّسُها في السنة الأولى عند دخولنا كليّة الحقوق والعلوم السياسيّة.

فقد نصّت المادة 12 على ما يأتي: «لكلّ لبناني الحق في تولّي الوظائف العامّة، لا ميزة لأحد على الآخر إلا من حيث الاستحقاق والجدارة حسب الشروط التي ينصّ عليها القانون. وسيوضع نظامٌ خاصّ يضمن حقوق الموظّفين في الدوائر التي ينتمون إليها». وذكرت المادة 60 من قانون تنظيم القضاء العدلي التالي: «ينظّم مجلس القضاء الأعلى مباراة الدخول الى المعهد محدّداً المواد التي تجرى عليها ومعدّل علامات القبول. كما يعيّن اللجنة الفاحصة في بدء كل مباراة من القضاة الذين يختارهم لهذه الغاية». وبحسب المادة 61 من القانون عينه، والمادة 9 من نظام مجلس شورى الدولة، لم يتم اشتراط عدم ارتداء الحجاب كشرط للتأهّل قبل الانتساب.

تعليقاً على هذه المواد، يتبيّن أولاً أنّ الدستور كرّس وبشكل صريح مبدأ المساواة بين اللبنانيين كافةً، فلا تفضيل لأحدهم على الآخر، ولا يُؤخذ إلا بالكفاءة والجدارة، هذا بالنسبة إلى الوظائف العامّة.

لم تذكر هذه القوانين إطلاقاً منع الحجاب، وبالتالي عندما تُجري الفتاة المحجّبة المستوفية لكامل الشروط المذكورة - وتكون متفوّقة أكاديميّاً وعمليّاً - المباراة الشفهيّة وتُرفَض، فهذا انتهاك فاضحٌ لهذه القوانين، وظلمٌ بلباس العدالة!

> **لا شيء يمنع المحجّبة مع التزامها وتديّنها من ان تكون مثالاً على تطبيق القانون وتنفيذه والاكثر تحصيناً لإصدار القرارات بطريقة شفافة وغير خاضعة لآراء شخصية وسياسية**

المعاهدات الدوليّة الموقّعة والمصدّقة من قبل الجمهورية اللبنانية تتفوّق على القوانين والأعراف المحليّة، إضافةً إلى ذلك، نصّت المادة 18 من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر عام 1948 والتي أعيد تأكيدها في العهد الدولي الخاصّ بالحقوق المدنيّة والسياسيّة لعام 1966 في المادة 18 أيضاً، على أنّه «لكلّ إنسان حقٌّ في حريّة الفكر والوجدان والدّين ويشمل ذلك حرّيته في أن يدين بدين ما، وحرّيته في اعتناق أي دين أو معتقد يختار». وأكّدت الفقرة 3 من الإعلان المذكور على أنه «لا يجوز إخضاع حريّة الإنسان في إظهار دينه أو معتقده، إلا للقيود التي يفرضُها القانون والتي تكون ضروريّة لحماية السلامة العامّة أو النظام العام أو الصحّة العامّة أو الآداب العامّة أو حقوق الآخرين وحرّياتهم الأساسيّة». فضلاً عن ذلك، تبنّت الجمعيّة العامّة للأمم المتحدة إعلان عام 1981 الذي – رغم أنه لا يتمتّع بالصفة الإلزاميّة - يعدّ اهم تقنين معاصر لمبدأ حريّة الديانة والمعتقد. وقد ذكرت المادّة 4 منه أنّ على الدول ومؤسّسات المجتمع المدني أن تتخذ ما يلزم من تدابير لمنع وٱستئصال أيّ تمييز على أساس الدين أو المعتقد، ومنها:

أ- اتخاذ ما يلزم من تدابير في جميع مجالات الحياة المدنيّة والاقتصاديّة والسياسيّة والاجتماعيّة والثقافيّة.

ب -سَنّ أو إلغاء تشريعات لمنع التمييز إن لزم الأمر.

ج- اتخاذ جميع التدابير الملائمة لمكافحة التعصّب القائم على أساس الدين أو المعتقدات الأخرى في هذا الشأن".

في السّياق ذاته، ذكرت المادّة 2 الفقرة الثالثة من العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنيّة والسّياسيّة ما يأتي: "تتعهّد كلّ دولة طرف في هذا العهد بأن تكفل:

أ- توفير سبيل فعّال للتظلّم لأيّ شخص انتُهكت حقوقه أو حرّياته المعترف بها في هذا العهد، حتّى لو صدر الانتهاك عن أشخاص يتصرّفون بصفتهم الرّسميّة.

ب- لكل مُتظلّم على هذا النحو أن تبتّ في الحقوق التي يدّعي انتهاكها سلطة قضائيّة أو إداريّة أو تشريعيّة مختصّة، أو أيّة سلطة مختصّة أخرى ينصّ عليها نظام الدّولة القانوني، وبأن تُنمّي إمكانيّات التّظلّم القضائي.

ج- قيام السّلطات المختصّة بإنفاذ الأحكام الصّادرة لصالح المتظلّمين".

لا علاقة للحجاب في العمل القضائي

وكان مؤتمر الأمم المتّحدة السادس لمنع الجريمة ومعاملة المجرمين قد طلب، في قراره رقم 16، من لجنة منع الجريمة ومكافحتها أن تُدرج ضمن أولويّاتها وضع مبادئ توجيهيّة تتعلّق باستقلال القضاة واختيارهم وأعضاء النّيابة. وعليه، «يتعيّن أن يكون من بقع عليهم الاختيار لشغل الوظائف القضائيّة أفراداً من ذوي النّزاهة والكفاءة، حاصلين على تدريب ومؤهّلات قانونيّة مناسبة. ويجب أن تشتمل أي طريقة لاختيار القضاة على ضمانات ضدّ التّعيين في المناصب القضائيّة بدوافع غير سليمة. ولا يجوز عند اختيار القضاة أن يتعرّض أي شخص للتمييز على أساس العنصر أو اللّون أو الجنس أو الدين أو الآراء السّياسيّة أو غيرها من الآراء، أو المنشأ القومي أو الاجتماعي، أو الملكيّة أو الميلاد أو المركز، على أنّه لا يُعتبر من قبيل التمييز أن يشترط في المرشّح لوظيفة قضائيّة أن يكون من رعايا البلد المعنيّ».

الحجاب ليس رمزاً دينيّاً، بل جزء لا يتجزّأ من العقيدة الإسلاميّة التي يؤمن بها المسلمون ويُطبّقون شريعتها، وبالتالي فإنّ أيّ طالبة للحقوق من حقها أن تتمتّع بكامل حقوقها وأن لا تتجرّد منها أو من بعضها لأنها محجّبة.

لذلك، فإن رفض البعض لفكرة وجود الحجاب على مقاعد السّلك القضائي ليس إلا دلالة على عدم تقبّل العقيدة الجريمة ومكافحتها أن تُدرج ضمن أولويّاتها وضع مبادئ توجيهيّة تتعلّق باستقلال القضاة واختيارهم وأعضاء النّيابة. وعليه، «يتعيّن أن يكون من بقع عليهم الاختيار لشغل الوظائف القضائيّة أفراداً من ذوي النّزاهة والكفاءة، حاصلين على تدريب ومؤهّلات قانونيّة مناسبة. ويجب أن تشتمل أي طريقة لاختيار القضاة على ضمانات ضدّ التّعيين في المناصب القضائيّة بدوافع غير سليمة، ولا يجوز عند اختيار القضاة أن يتعرّض أي شخص للتمييز على أساس العنصر أو اللّون أو الجنس أو الدين أو الآراء السّياسيّة أو غيرها من الآراء، أو المنشأ القومي أو الاجتماعي، أو الملكيّة أو الميلاد أو المركز، على أنّه لا يُعتبر من قبيل التمييز أن يشترط في المرشّح لوظيفة قضائيّة أن يكون من رعايا البلد المعنيّ».

فلا وجود لأساس قانونيّ يبيحُ هذه التجاوزات. كما لا يمكن اعتبار أنّ الحجاب يشكّل خطراً جسيماً على النظام العام أو الآداب العامّة أو أنّه ينتقض من حقوق الآخر وحرّياته.

وإلى كلّ ما تمّ ذكره، فهذه النّصوص تفرض على الدّول المباشرة باتخاذ كامل الإجراءات اللازمة، كي تستطيع الفتاة المحجّبة التظلّم في حال انتهاكها لحرّياتها وحقوقها المنصوص عليها في هذا العهد تحديداً، ولا سيّما أنّنا نتحدّث عن المادة 18 أي حرّيّة الدّين والمعتقد.

مقارنة بين لبنان ودول عربيّة وأجنبيّة

لقد برزت قاضيات محجّبات في دول أجنبيّة ذات الأكثريّة المسيحيّة وفي دول أجنبيّة ذات الأكثريّة الإسلاميّة، وما زال لبنان يمنع وجودهنّ في السلك القضائي، بحجّة انحيازهنّ واعتبار الحجاب رمزاً دينياً، وهذا مناقض لقاعدة وجود قاضيات محجّبات بموافقة مسيحيّة أو إسلاميّة في دول أخرى. ومن هذه الحالات، نستعرض:

● رنا ضاهر: أول قاضية لبنانيّة محجّبة في نيو ساوث ويلز، تمّ تعيينها بتاريخ 2022/05/12 في نظام المحاكم الأكثر ازدحاماً في الولاية وبدأت مهامها بالفعل حيث حلّت محل قاض انتهت ولايته.

● رافيا ارشد: ذات الأصول العربيّة، تمّ تعيينها نائبة قاض لدى مقاطعة في دائرة ميدلاندز بإنكلترا بعد 17 عاماً من العمل في مجال القانون. وهي حاصلة على بكالوريوس في القانون من جامعة أكسفورد، وماجستير في القانون الدولي من جامعة ليدز، ودبلوم في الفقه الإسلامي.

● نادية القحف: تسلّمت هذه السيدة السوريّة منصبها كقاضية محجّبة في ولاية نيوجيرسي بعدما رشّحها حاكم الولاية "قبل مورفي" للمحكمة العليا الأميركية، وحتى إنها ادّت قسمها وفقاً للشريعة الإسلامية.

● تراسّت قاضية تركية محجّبة لأول مرة في تركيا جلسة في محكمة الدرجة الأولى في قصر العدل بإسطنبول. ورفع المجلس الأعلى للقضاة حظر ارتداء الحجاب المفروض على القاضيات بتاريخ 2015/11/04.

الواقع والممارسات العمليّة

رغم الظلم المتمادي بحق المحجّبات بمنعهن من دخول السلك القضائي، مع ما يستتبعه ذلك من ضرب للحقوق المكرّسة دستوراً: كحريّة المعتقد والحق بالوصول الى الوظائف العامة من دون تمييز، لم تتحرك الجمعيات المطالبة بحقوق المرأة الناشطة بقوة في لبنان، بل نظّم طلاب كلية الحقوق في الجامعة اللبنانيّة، الفرع الخامس، عام 2019 أمام وزارة العدل تحرّكاً رفعوا آنذاك لافتات وشعارات من قبيل "حجابي ليس مانعاً لعدالتي"، "رجاحة العقل في الرأس وليست في غطائه"، "حجابي لا يلغي حقوقي"... الخ.

يؤكّد وزير العدل السابق البير سرحان، في تصريح عام 2019، تعقيباً على تحرّك الطلاب آنذاك، أن "لا مانع قانونيّاً أو عرفياً لدخول المحجّبة إلى السلك القضائي، إنّما المعيار هو النجاح". فإذا كانت الأمور على هذا النحو، أليس من الغريب عدم وجود امرأة محجّبة في السلك القضائي في لبنان؟ وهل يُعقل أنّ جميعهن غير كفوءات؟ تأتي الإجابة واضحة على لسان وزير العدل السابق شكيب قرطباوي، الذي رأى في حديث تلفزيوني في 8 آذار 2019 أن «لا وجود لقاضٍ يرتدي الصليب، وعلى القاضية ألاّ تعطي انطباعاً بأنّها مع أحد المتقاضين ضد الآخر تبعاً لطائفته. الغرف معتمد منذ سنوات، وهو منطقي ويُساعد في منع التمييز بين القضاة، فأيّ تمييز بين قاضٍ وآخر فيه أذية للقضاء».

بعد استعراض القضيّة، يبقى ما نودّ طرحه ختاماً:

1- كيف سيكون في حال ارتدت المرأة القانونيّة حجابها بعد اجتيازها المباراة إلى السلك القضائي؟

2- في حال حصل ما أوردناه، وبما أنّه لا يوجد أي سند قانوني للاحقتها في هذا الصّدد، فهل يستطيع مجلس القضاء الأعلى كمرجع أن يشكّك بأهليّة هذه القاضية؟

3- ولنفترض حصول ذلك، هل سنكون أمام قضيّة رأي عام؟

* أستاذ جامعي ومستشار في الأحوال الشخصيّة

أحكام الشّريعة تعتمد الكفاءة

المرأة في المذهب السنّي يمكنها تولّي مناصب الولاية الخاصة، مثل نائبة أو وزيرة أو أي منصب آخر، تكون فيه مسؤولة عن الشعب والدولة. إلى ذلك، يؤكّد المفتي الجعفري الشيخ أحمد طالب وجود اجتهادات فقهيّة حديثة لدى الشيعة، تسمح للمرأة بدخول السلك القضائي، وحتى إنّها تستطيع أن تصبح قاضية شرعيّة، طالما أنّها تمتلك المؤهّلات العلميّة. فالمعيار عند الطائفة الشيعية هو الكفاءة، بقطع النظر عن جنس الأشخاص، بالإضافة إلى كفاءة المرأة أن تتصدّر الاجتهاد الفقهي.

إنّ التبجّح بأنّ مؤهّلات القاضي هي كمال الرأي وتمام العقل والفطنة، وأنّ المرأة ضعيفة الرأي، تغلب عليها العاطفة، فلا يُؤخذ على الإطلاق. ولمروّجي أنّ عاطفة المرأة يمكن أن تمنعها من إصدار حكم بالإعدام أو حضور تنفيذه وغيره، تردّ عليه القاضية الأردنية المسلمة تغريد حكمت بأنّ العاطفة ليست صفة سيّئة، فالمرأة ذات القرار المتّزن هي التي تكون لها لمسة إنسانيّة أمام بعض القضايا.

فلسطين

16 مؤسسة وطنية لحقوق الانسان تقدّم بلاغ الى المحكمة الجنائية الدولية

لا لإفلات «إسرائيل» من العقاب

قامت منظمة القانون من أجل فلسطين في بريطانيا (L4P)، وبدعم من الهيئة المستقلة لحقوق الإنسان – فلسطين، ومع تحالف دولي أوسع يضم 16 مؤسسة وطنية لحقوق الإنسان في جميع أنحاء العالم العربي، بما في ذلك الشبكة العربية للمؤسسات الوطنية لحقوق الإنسان، وكذلك المؤسسات الوطنية لحقوق الإنسان في كل من الجزائر، البحرين، جزر القمر، مصر، العراق، الأردن، لبنان، موريتانيا، المغرب، عمان، قطر، تونس، جيبوتي، وليبيا، والكويت. إلى جانب 5 نقابات محامين – وهي نقابات المحامين في فلسطين والأردن والجزائر وتونس واتحاد المحامين العرب – بتقديم بلاغ إلى مكتب المدعي العام للمحكمة الجنائية الدولية يتضمن تحليلاً قانونياً لجريمة الإبادة الجماعية التي يرتكبها القادة السياسيون والعسكريون الإسرائيليون ضد الفلسطينيين في قطاع غزة.

تم إنتاج الملف المكون من 157 صفحة من قبل فريق من الخبراء، ويقدم بدقة تحليلاً قانونيًا شاملاً، يوضح بالتفصيل كيف تشكل تصرفات وسياسات الشخصيات السياسية والعسكرية الإسرائيلية حملة ممنهجة من الإبادة الجماعية التي تستهدف الفلسطينيين في غزة. وهو يسلط الضوء على النية الصريحة للقضاء على الفلسطينيين، كما يتجلى في مئات التصريحات التي أدلى بها المسؤولون الإسرائيليون، وخاصة أولئك الأعضاء فيما يسمى بـ "مجلس الوزراء الحربي" الإسرائيلي.

منذ 7 أكتوبر 2023، أطلقت حكومة الاحتلال الإسرائيلي وقواتها المسلحة العنان للاستخدام العشوائي وغير المتناسب للقوة ضد الفلسطينيين في غزة، منتهكة الأطر القانونية الدولية الراسخة، واستوفت معايير الإبادة الجماعية على النحو المحدد في نظام روما الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية واتفاقية منع جريمة الإبادة الجماعية والمعاقبة عليها لعام 1948.

وتؤكد الوثيقة المقدمة التدمير المتعمد الذي تقوم به إسرائيل للموروث الثقافي الفلسطيني، والدمار البيئي (الإبادة البيئية (ecocide))، وتدمير المنازل (إبادة المساكن (domicide))، وأساليب التطهير العرقي، مما يدل على جهد منهجي لمحو الهوية الفلسطينية وجعل غزة غير صالحة للعيش. ومن خلال تصوير كافة السكان الفلسطينيين كدروع بشرية، تبرر إسرائيل سقوط أعداد كبيرة من المدنيين وتدمير البنية التحتية، وهو ما يتعارض مع نظام روما الأساسي واتفاقية الإبادة الجماعية.

ومن خلال وضع هذه الفظائع ضمن السياق التاريخي الأوسع للأيديولوجية الصهيونية والاحتلال الإسرائيلي الدائم للأراضي الفلسطينية، يؤكد الملف المقدم الى الجنائية الدولية على ضرورة المساءلة الفورية بموجب قواعد القانون الدولي، لا سيما بموجب نظام روما الأساسي وقواعد القانون الجنائي الدولي. وتحث القانون من أجل فلسطين والهيئة المستقلة لحقوق الإنسان وشركاؤهما المحكمة الجنائية الدولية على إجراء تحقيق شامل في جميع الجرائم التي تقع ضمن اختصاص المحكمة وإصدار أوامر اعتقال حسب الاقتضاء، كما فعلت المحكمة في تحقيقاتها في حالات أخرى. بالإضافة إلى ذلك، دعت المنظمات الشريكة في هذا التحالف مكتب المدعي العام الى التعاون النشط مع منظمات المجتمع المدني الفلسطينية والدولية لتوثيق وتوصيف الجرائم المرتكبة في السياق الفلسطيني بدقة.

كما دعت المنظمات المدعي العام للمحكمة الجنائية الدولية إلى إعطاء الأولوية للتحقيقات في الأعمال الجارية منذ 7 أكتوبر 2023 في غزة والتي قد ترقى إلى جريمة إبادة جماعية، وذلك من خلال توسيع تحقيقه الحالي في الوضع في فلسطين وإعطاء الأولوية للمحاكمات المتعلقة بقضية جريمة الإبادة الجماعية في غزة. وتطالب المؤسسات الشريكة في تقديم هذا الملف مكتب المدعي العام ممارسة السلطة التقديرية للادعاء بما يتوافق مع الممارسات والسياسات السابقة لمكتبه، مع التركيز على أهمية إعطاء الأولوية للتحقيقات والملاحقات القضائية المتعلقة بغزة. وعلى وجه التحديد، دعوا إلى محاكمة المسؤولين الإسرائيليين عن الأفعال المرتكبة منذ 7 أكتوبر 2023، والتي تعتبر جرائم بموجب المادة 6 من نظام روما الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية، في ظل خطورة هذه الجرائم. إن إفلات إسرائيل من العقاب على انتهاكات القانون الدولي يجب أن ينتهي اليوم.

(منظمة القانون من أجل فلسطين)
www.law4palestine.org

الجيش الإسرائيلي يمعن في تدمير الأدلّة الجنائية في غزة

قرار محكمة العدل الدولية (26 كانون الثاني 2024):
على «دولة إسرائيل» ان تتخذ تدابير فعالة لمنع إتلاف الادلة المتعلقة بالادعاءات، وضمان الحفـــاظ عليها

الادلة البيولوجية
- الجثث والحمض النووي والدم والشعر وسوائل الجسم الأخرى
- لتحديد الضحايا وسبب وطريقة الوفاة

الادلة الاثر
- الألياف، والتربة، والجسيمات المجهرية الأخرى
- لربط جيش الاحتلال بمسرح جريمة ولإعادة بناء وقائع جريمة

ادلة المقذوفات
- الرصاص والقذائف وبقايا البارود
- لتحديد نوع السلاح والذخيرة المستخدمة

الادلة البينية
- تحليل التربة والنباتات والمياه
- للكشف عن ادلة على استخدام أسلحة كيماوية أو بيولوجية

الادلة الرقمية
- صور الأقمار الاصطناعية ورسائل البريد الإلكتروني والرسائل النصية والمحادثات على وسائل التواصل الاجتماعي والصور ومقاطع الفيديو.
- تكشف عن اتصالات سرية أو أوامر عسكرية أو جرائم حرب موثقة

الادلة الوثائقية
- الرسائل واليوميات والسجلات العسكرية والوثائق الحكومية.
تكشف عن خطط الحرب واستراتيجيات دولة الاحتلال في استهداف المستشفيات والمدارس وغيرها من المنشآت الانسانية

ادلة النهب والاستيلاء
- الاموال والذهب المسروق من المدنيين والمنازل والمحلات التجارية والبنوك ومراكز الصيرفة
- النهب الثقافي عبر تدمير أبرز المعالم التاريخية والأثرية والمساجد والكنائس

شهادات الشهود
- توفير رواية مباشرة للأحداث والكشف عن تفاصيل قد لا تظهر في الأدلة المادية الأخرى.
- دعم الأدلة الأخرى مثل الصور أو السجلات، وبناء قضية أقوى ضد دولة الاحتلال.
- مدنيون، عمال إغاثة وصحافيون، أسرى حرب

ادلة سرقة الاعضاء
- تشديد الإجراءات الخاصة بتسليم الجثامين
- اشتراط الدفن الفوري لمنع ذوي الشهيد أو السلطات الفلسطينية من تشريحها للتحقيق في قضية سرقة الأعضاء.
- تعمّد الاحتلال الإفراج عن جثث الشهداء وهي متجمّدة بدرجة قد تصل إلى 40-

اغتيال عيون وآذان العدالة

31000 <	مدني
133	صحفيا
364	كادرا صحيا
48	شخصا من الطواقم الاغاثية

الترهيب والتعذيب

269	اعتقال الكوادر الصحية
10	اعتقال من الصحفيين

اعتقال المدنيين وتعذيبهم وامتهان كرامتهم

التدمير الشامل للقطاع

70000 <	طن من المتفجرات
إبادة عائلات بأكملها	

تدمير السجل المدني واستهداف المنشآت الحكومية التي توثق الإبادة الجماعية

القوس

■ فريق التحرير: **عمر نشابة (المسؤول)، وفيق قانصوه، جنان الخطيب، صادق علوية، ألف باء القانون**
■ تصميم فني وإنفوغرافيك: **رامي عليّان**

alqaous | al_qaous | alqaous22 | alqaous | 01/34 99 54
info@alqaous.com | www.alqaous.com